يوليو (تموز) ١٩٨١ - رمضان ١٤٠١

المختار



من ريـدرز دايـجست

مصر: لغز الهرم الاكبر
(ص ٢٨)

الصحراء تهدد بابتلاع العالم
(ص ١٤)

...ى الأم الحامل: ...منحي طفلك اسنانا سليمة
(ص ٤٥)

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٣٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٢٠٠ف ـ تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٤د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ٦٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٫٢٥د

AL MUKHTAR min Reader's Digest July 1981 № 32.

النجوم المتألقة

TECHNICAL RECORD SERIES

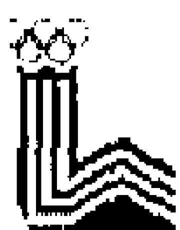
هنا ترى كل ما أنتجته شركة "جي، في، سي"، ونحن نعتقد ان كلا من هذه الاجهزة نجم متألق في ذاته،

فليس في امكان كل شركة سمعية - تلفزيونية انتاج مضخم الصوت "سوبر - ١"، وشريط الكاسيت المعدني الاول في العالم الذي يعمل على جميع أجهزة التلفزيون الملونة وغير الملونة، ونظام V H S لأجهزة الفيديو، ونظام VHD Video Disc الذي أحدث ثورة في الاداء التلفزيوني وسواها من أجهزتنا المتطورة الظاهرة هنا،

هذه الاجهزة خير برهان على خبرة "جي، في، سي" طوال ٥٣ سنة من البحث الدقيق والتطور المستمر ورفض الانصياع للعوائق، وهذا هو السبب الذي جعل لجنة الالعاب الاولمبية تعتمدنا لدورتها الجديدة عام ١٩٨٠،

ان لدى شركتنا عشرة آلاف موظف حول العالم يعملون بنشاط واخلاص تامين ليكون كل ما يصدر عن "جي، في، سي" نجماً متألقاً، جديراً بزبائننا الكرام،

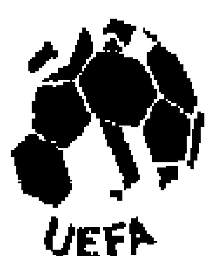
JVC جي في سي



THE OFFICIAL HOME VIDEO SYSTEMS OF THE 1980 OLYMPIC WINTER GAMES



Official Audio & Video Systems of the European Football Championship 1980.



Official Audio & Video Systems of the UEFA Cup Finals.



Official Audio & Video Systems of the FIFA World Cup 1982.



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية.

□ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

□ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

□ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

□ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

□ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

□ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة افكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار": الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

مجلة المختار من ريدرز دايجست
شارع المقدسي - بناية الشرتوني
ص.ب ٨٧٠٧ - بيروت - لبنان.



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب، رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي

أمانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: أمل الزين

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":

رئيس التحرير: ادوارت ت. طومسون، مدير التحرير: آلان دوليرو، المدير العام: جون أ. أوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية – بيروت. الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية، ص.ب ٢٢٦ – ١١ التلكس (الموقت) ANAHAR ٢٣٢٣ LE بيروت. التلفون ٣٤٠٥٥٦ – ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧، ١١، التلكس ٢٢٢٨٨ LE التلفون ٣٤١٥٩٧ – ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest. 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: مطابع تكنوبرس الحديثة – الغبيري – لبنان. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



الغلاف: حي في لشبونة (البرتغال) لكارلوس بوتلهو.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



July 1981 No 32 (New Series) Vol. 3.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٦ لغة

زوجة لا غنى عنها

كاتب ايطالي يحدثنا عن هوس زوجته باختزان الاشياء التي لا نفع منها

منذ اربع عشرة سنة وزوجتي تمنعني من أن افتح قنينة الشراب الاسباني المعتق التي تختزنها في القبو بعيداً عن متناولنا ، وكلما حاولت اقناعها فهي تواجهني قائلة: "علينا ان نحتفظ بها لمناسبة خاصة".

وما تعنيه تماماً بالمناسبة الخاصة لم يبدُ واضحاً لي، لان مناسبات كثيرة مرت بنا وكانت تستأهل فتح القنينة.

وماذا عن ملاءة خالتها؟ تقول انها حيكت من الخيوط القديمة المزركشة حتى انك اذا اردت الحصول على مثلها فعليك ان تدفع مئات الدولارات في هذه الايام.

ان هذه الملاءة القديمة المزركشة محروسة داخل حقيبة. والغاية الوحيدة منها هي ان تعرض على الضيوف كلما تطرق الحديث الى موضوع الاسعار او جهاز العروس او الحرائر والمفروشات. ومع الزمن يصفّر لونها داخل تلك الحقيبة من غير ان تخدم غرضاً.

ان زوجتي تحب ادخار كل شيء حتى اوراق اللعب (الشدة) القديمة التي ضاع بعضها ، وكثيراً ما نلعب مع الاصدقاء ولا ندرك ان احدى الاوراق مفقودة قبل الدورة العاشرة.

ولا يقتصر هوس زوجتي على ذلك. فبعد فك رزمة ما، فانها لا تمتلك القدرة على رمي الخيط الذي عقدت به تلك الرزمة ولا حتى الورق الذي لفت به ولا الكيس الذي وضعت داخله.

Condensed from «Piccolissimo» by Antonio Amurri, copyrigth (c) 1973 by casa Editrice Bietti

وكثيراً ما فتنتها الخيوط٠ فهناك في المطبخ درج خاص وضعت فيه تلك الخيوط بترتيب وعناية فائقين٠ والمدهش حقاً، ان هذا الدرج المخصص للخيوط قد يحوي كل شيء ما عداها٠ فكثيراً ما تلف زوجتي الخيوط وترميها في اي مكان قريب منها٠ واذا حدث ان احتجت الى خيط ما، فمن المستحيل ان تجده٠

وهناك هوس آخر يتملك زوجتي٠ فأي قصاصة ورق يقع عليها نظرها تعمد الى طيها بمهارة، وحتى الى كيها عندما يكون لديها متسع من الوقت٠ وعندما تتكاثر تلك الاوراق المطوية والمكوية وتغدو كافية لملء درج، يكون نصيبها الرمي أو الاتلاف٠

والغريب في ذلك انها عندما توضبها تقول: "سنحتاج الى كل قصاصة من الورق"٠ وعندما ترميها تعلق قائلة: "لا حاجة اليها أبداً"٠

واتساءل لماذا تخزن زوجتي القناني بعد تنظيفها بعناية وازالة الاشارات عنها؟ ولماذا تحتفظ بكيس كبير محشو بملاعق الحليب البلاستيكية؟

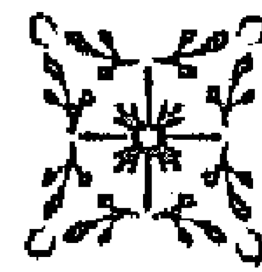
وهناك امور اكثر غرابة٠ فعندما يتوقف قلم الحبر الجاف عن الكتابة تضعه في الدرج٠ وهناك ٥٦ قلماً كهذا٠ "هذا القلم لا يكتب، ضعه في الدرج"، هذا ما تقوله زوجتي٠ وعندما نحتاج الى قلم يكتب لا نجده٠ وقد تجد واحداً تحت الكنبة او على سطح الخزانة أو حتى في الغسالة٠ ولا يحظى القلم بمكان ثابت الا حين يفرغ من الحبر٠

ومن جهة أخرى، تصنف زوجتي النفايات في صناديق كبيرة تكتب عليها "للرمي"٠ وفي موعد معين من كل عام تقول زوجتي: "علينا ان نطرح بعضاً من الاشياء"٠ وحينذاك تتحتم علينا مساعدتها٠

اما بالنسبة الي، فان الاشياء الاولى بالرمي هي الصناديق التي تحوي كل الاشياء٠ وهذا ليس ممكناً، لانه قبل رميها يجب ان تفحصها زوجتي بدقة فائقة٠ واذا لاحظت ان هناك ما يجب الا يتلف، فتأكد من انه لن يتلف٠ بل هو يحفظ في كيس يكتب عليه "للاستعمال ثانية"٠

ومن الواضح ان هذه الاشياء التي "ستستعمل ثانية" ستدخل في العام المقبل صناديق يكتب عليها "للاتلاف والرمي"٠

■ انطونيو اموري

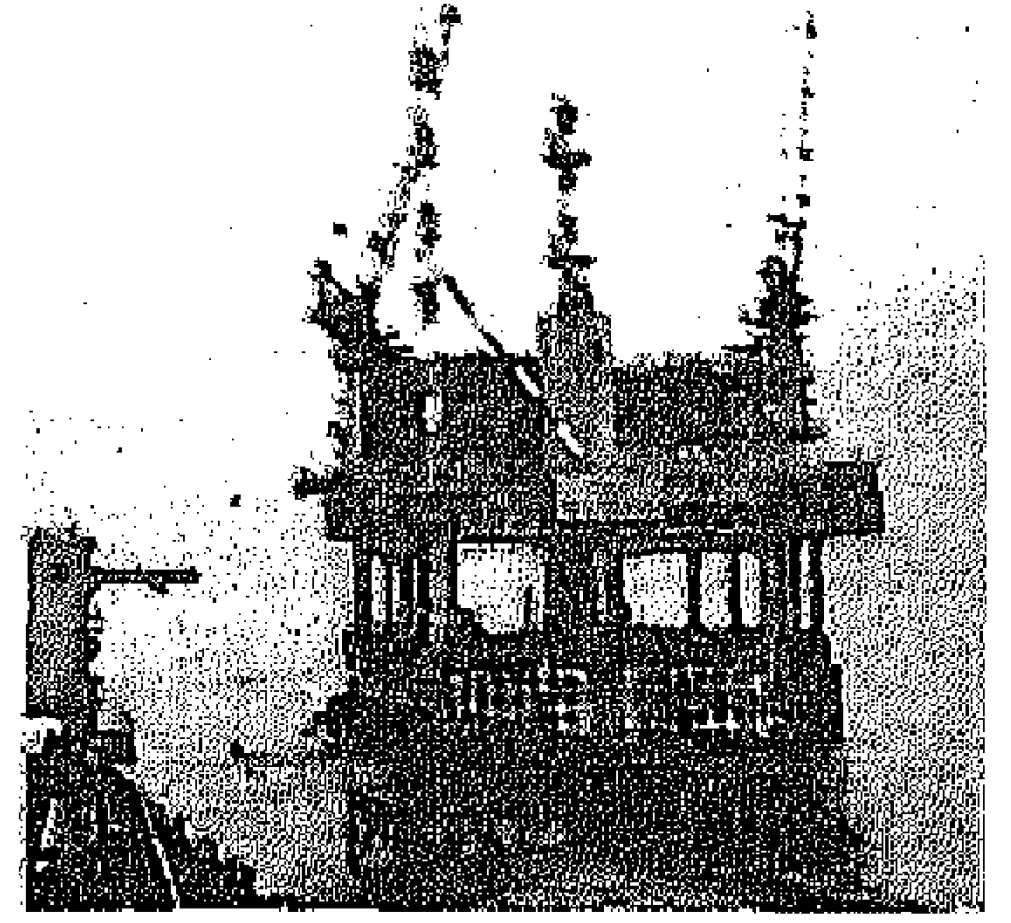


تحليل منزلي

انّ نقل أثاث المنزل يشبه التحليل النفسي الذاتي٠ فهو يوقظ من الذاكرة محتويات غير واعية واموراً أسفنا لها ونسيناها٠ كما يرغمنا على رمي أشياء غريبة تعلقنا بها طويلا٠

د٠ب٠

على عمق ٥٠١ م يعمل غطّاس "كومكس" وساعته رولكس على ما يرام



منصّة غاز ينطلق منها غطّاسو "كومكس" لانجاز أعمالهم

نادرًا ما يخطر ببال مَن لم يمارس الغوص مدى المخاطر المحدقة بالانسان عند ولوجه عالمًا غريبًا يتواجد فيه تحت سطح البحر، هذه المخاطر التي تتفاقم وتهدد حياته على نحو متزايد، كلما توغل في الأعماق.

منذ عام ١٩٦٢ وشركة "كومكس"، المعترف بها كرائدة عالميّة في حقل تكنولوجيا الغوص تحت البحار، تقوم بتطوير أساليب تقنية للتوصّل إلى طرق مستحدثة لا تقتصر على بقاء غطّاسيها أحياء فحسب، بل تفسح أمامهم مجال العمل وسط أعماق كان التحرّك فيها بحرّية يُعتبر مستحيلاً.

لقد آتت هذه الأساليب التقنية الثوريّة ثمارها بتنفيذ مشروع "كومكس" الخاص، "جانوس ٤".

وبعد تعرّض "باتريك رود" أحد غطّاسي "كومكس" لانضغاط دام ٢٤ ساعة أنزل من على سفينة تحديد الموقع الديناميكية "بترل" في ناقوس الغوص الى قاع البحر، على بُعد من ساحل "كافالير".

وعندما خرج "رود" من الناقوس، كان عمق الماء ٤٦٠ مترًا... وهو رقم قياسي عالمي جديد ما لبث أن ارتفع في الأيام اللاحقة الى رقم مذهل بلغ ٥٠١ م.

إستغرق تنفيذ مشروع "جانوس ٤" سنتين من الاختبار الصعب والبحث الدائب والإعداد التكنولوجي الشامل بمنتهى الدقة والبراعة ويمثل ما يتطلبه برنامج الفضاء لتحقيق أهداف معتمدة ومهمّات محفوفة بالأخطار.

ومع ذلك، تمكّن "رود" صحبة غطّاسي "كومكس" الخمسة، من العمل بارتياح تام على هذا العمق السّحيق، والعودة إلى السّطح دون أية أعراض جانبية.



الغطّاسون يتعرّضون لانضغاط طوال ٢٤ ساعة

وهكذا كانت شأن ساعاتهم، رولكس أويستر "سي - دويلر".

وتشترط "كومكس" أن يستعمل غطّاسوها كرونومتر وساعات رولكس الخاصّة بالغوص، لا غيرها، لأسباب وجيهة، حيث أن "سي - دويلر" لم تصنع لتتحمّل ضغط الماء على هذا العمق فحسب، بل لتصمد في طريقها صعودًا الى السطح، بفضل صمام مسجّل ببراءة يسمح للضغط داخل العلبة بالتعادل، كلما ارتفعت.



الرقم القياسي العالمي للغوص، ٥٠١ م.

وقد تنفجر ساعة عاديّة إذا ما تعرّضت لمثل هذا الضغط. واليوم تجد مهندسي "كومكس" منهمكين في حلّ المشاكل العويصة تمهيدًا لسبر أغوار أعمق، وهم على ثقة من التغلب عليها.

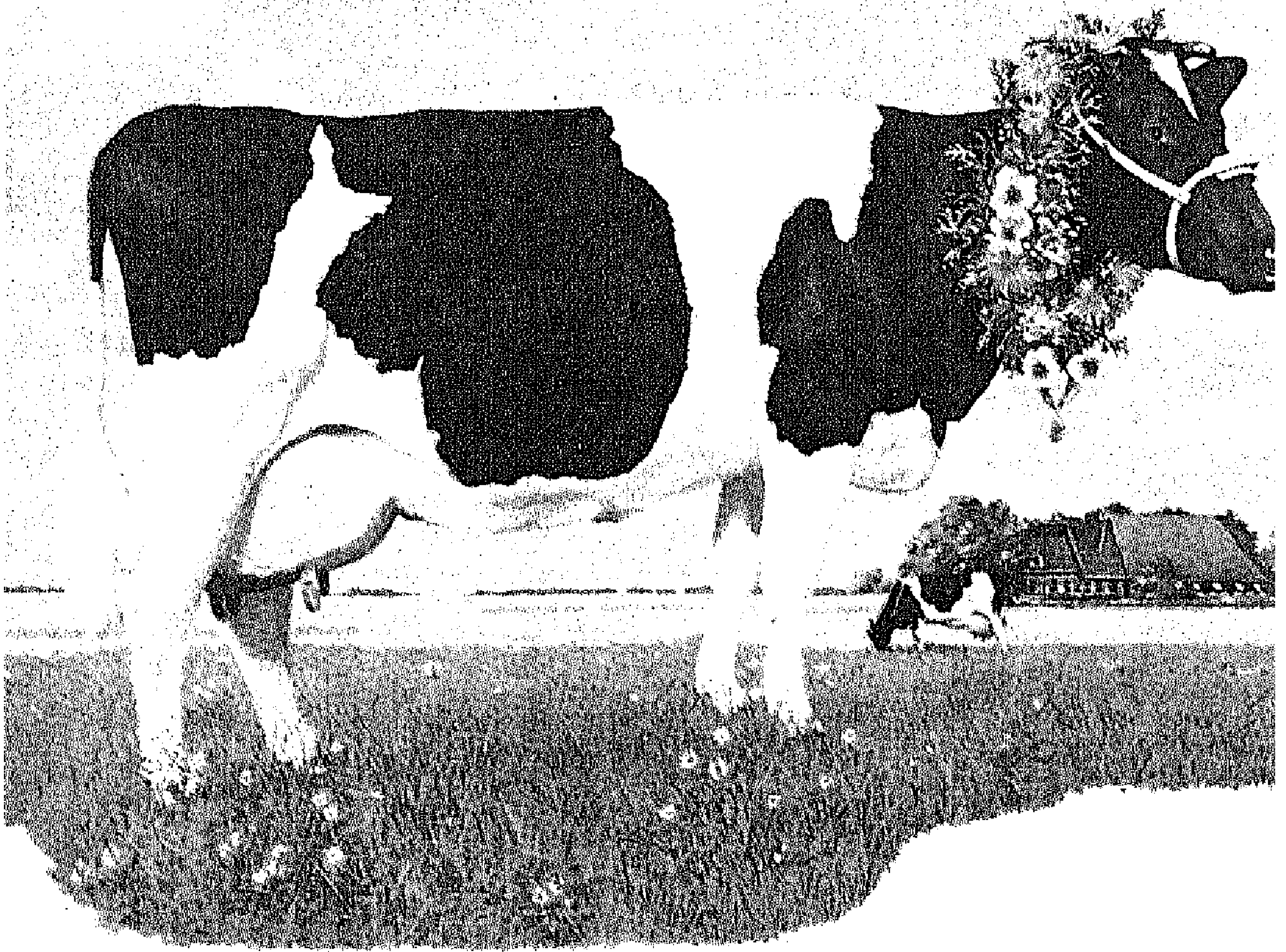
حقيقة واحدة تبقى مؤكّدة...

... إلى حيث يذهب غطّاس "كومكس"، تذهب برفقته ساعة رولكس.

ROLEX
رولكس



ساعة رولكس "سي - دويلر" كرونومتر متوفرة فقط بفولاذ لا يصدأ مع سوار ملائم.



الهولندية صفوة الأبقار

الابقار الهولندية
السود والبيض
هي الاكثر دراً للحليب
والافضل تكيفاً.
وهي تستولد
في اكثر من ٣٠ بلداً،
بما فيها بعض اقطار
العالم العربي

خريطة لافريقيا وشمت على احد جانبيها، وقفاز ملاكمة على الجانب الآخر يميزانها عن البقرات الاربع والستين الاخرى المتمددة في مرابضها مثل جلاميد دافئة مبقعة بالابيض والاسود. وراح المزارع الهولندي فيبرين شتيلفاغن يذري القش، فيما كانت "يانتييه" - وهذا اسم احداها - ترمقه بكبر وازدراء كأنها تقول: "لا تستعجلني يا هذا. ان عملي يتطلب الصبر والاتقان، وانا أرفض الرضوخ للضغط".

تحت سقف الحظيرة المصنوع من

القش، امضت يانتييه يوماً هادئاً تمضغ العلف وترشف الماء وتتنهد وتتجشأ. وراحت قطة تتصيد بين أكياس العلف، بينما استرخى طرزان، كلب المزرعة الكبير الاسود، فوق أكداس التبن. وتسللت أشعة الشمس عبر الشقوق لتشكل اعمدة من غبار.

وفي المساء حان وقت الحلب من جديد. انها ساعة الامتحان، تثبت فيها يانتييه جدوى جهودها الصامتة ذلك اليوم. فوقفت بهدوء وثقة فيما اثبت فيبرين اكواب آلة الحلب على ضرعها. وانصرف المزارع الى بقراته يعنى بها، الا ان عينيه لم تبارحا وعاء يانتييه وهو يمتلىء.

ذلك ان "سترينغ يانتييه السابعة" – وهذا اسمها الكامل الدال على نسبها الاصيل – كانت نجمة متألقة، تدفق من ضرعها المدرار اكثر من مئة طن من الحليب. وهي نفقت في ابريل (نيسان) ١٩٨٠، وكانت في السابعة عشرة من عمرها (اي ما يوازي السن الـ١٢٠ عند الانسان)، بعدما اعطت من الحليب ما يملأ نصف مليون كوب كبير. فغدت بين نخبة الابقار التي جاوز انتاجها المئة طن.

وما زالت اسرة شتيلفاغن تعرض باعتزاز في غرفة جلوسها الجوائز والوثائق التي تشير الى تفوق يانتييه. وبين تلك الجوائز ملعقة فضية منقوشة من ناشري "كتاب قطعان الهولشتاين الملكية"، وميدالية بلدة فرانيكير التي تقوم فيها مزرعة آل شتيلفاغن، قلدها اياها عمدة البلدة في احتفال لائق، وقصاصات من الجرائد حول لقائها

الملكة جوليانا في معرض عام ١٩٧٩. وصادف آنذاك ان اكملت يانتييه الطن المئة من انتاجها في الذكرى المئة لسلالة الهولشتاين. وكان الاحتفال اعترافاً من المزارعين بالشهرة العالمية التي حملها هذا الصنف من الابقار الى ذلك الاقليم الشمالي من هولندا.

الاشهر والافضل – يزعم أ. نوبي، مدير مؤسسة "كتاب قطعان الهولشتاين الملكية"، ان "افضل الابقار في العالم هي الهولندية، وان افضل الابقار الهولندية هي ابقار مقاطعة فريزلاند في الشمال".

وهذه السلالة من الابقار، وهي المعروفة في معظم انحاء العالم باسم "الفريزية" وفي أمريكا الشمالية وبعض الاقطار العربية باسم "هولشتاين" او الهولندية وفي المانيا ولوكسمبور باسم "شفارتز بونت" (السوداء والبيضاء)، هي من أكثر الابقار الحلوب شيوعاً في العالم فضلا عن كونها الافضل. فان اربعة من كل خمسة أكواب حليب في الولايات المتحدة وكندا تأتي من أبقار الهولشتاين، كذلك ثلثا منتجات الالبان في هولندا، ونصفها في المانيا وأكثر من ثلثها في فرنسا. كما انها مصدر تسعة أعشار كمية الحليب الطازج الذي يباع للمواطنين في بريطانيا، ونحو ثلاثة ارباع اللحم البقري المنتج محلياً هناك.

ومنذ الحرب العالمية الثانية تصدر هولندا وبريطانيا ابقار الهولشتاين الى انحاء العالم. فاستقرت هذه الابقار في كل مكان وأثبتت قدرتها على التأقلم. فحين شحنت ٨٠٠ بقرة

منها جواً الى العراق بموجب خطة معونة هولندية، اعطت من الحليب ٢٠ في المئة اكثر مما اعطاه بقر دانمركي في مشروع مماثل، على رغم بلوغ الحرارة هناك ٥٦ درجة مئوية. واثبتت البقرة السوداء والبيضاء قدرة فائقة على التكيف، فغدت تُستولَد في اكثر من ٣٠ بلداً.

الا ان عظمة البقرة السوداء والبيضاء لا تقتصر على حليبها المدرار، بل تتعداه الى نوعية لحمها الجيدة. وفي حين ان العجل ابن اليومين من انواع الابقار الحلوب الاخرى، كبقرة "جيرسي"، يكاد يكون معدوم القيمة، فان عجل الهولشتاين يباع بأكثر من ٢٥٠ دولاراً كي يسمَّن للحمه الممتاز.

اربع مَعِد – كان يوم يانتييه يبدأ في الخامسة صباحاً، لدى شروع فيبرين في مهمة الحلب التي تستغرق ٩٠ دقيقة، وتتكرر في الرابعة بعد الظهر. وبين هذين الموعدين كانت تتم داخل يانتييه صناعة كيميائية حيوية. فالبقرة أشبه بمولد احيائي، وداخل معدها الاربع يتحول أحد مصادر الطاقة، اي العلف الذي تأكله، مصدراً آخر للطاقة هو الحليب.

تعمل المعدة الاولى على تليين العلف الى ان يغدو أملس الالياف. أما المعدتان الثانية والثالثة فتطحنان الاجزاء الخشنة. والطعام الذي يتطلب مزيداً من المضغ يعود الى الفم في شكل جِرّة (★) تشبه لفافة من خيوط الكرفس. ثم ينزل الطعام عبر مجرى آخر الى المعدة الرابعة التي تعمل كالمعدة البشرية، فتسكب الخمائر (الانزيمات) على الغذاء وتحوله نوعاً من السكر هو الغلوكوز الذي ينتقل بالدم الى الكبد. ويرسل الدماغ اوامر الى الكبد التي تقسِّم الطاقة المختزنة فيها وفقاً لحاجات اليوم.

ويغتذي العجل الوليد بحليب امه نحو ستة اشهر. فتطلق الكبد الدهون والغلوكوز والبروتيين التي يحملها الدم الى الخلايا الشبيهة بالاسفنج في ضرع البقرة. وهناك تمتزج عناصر الطاقة هذه بمقدار كبير من الماء لتكوين الحليب. وحتى اذا ابعد العجل عن امه واطعم حليباً اصطناعياً، فان البقرة تواصل انتاج الحليب مدة عشرة اشهر تقريباً، اي الى ان يحين موعد ولادة عجل جديد.

وفي امكان البقرة ان تحمل في اي يوم من السنة. وهي في فصلي الربيع والصيف تحيا في الهواء الطلق حيث تقتات العشب الاخضر الذي ينشط در الحليب.

ويزرع فيبرين العلف في أرضه المستصلحة من البحر، وتبلغ مساحتها ٣٥ هكتاراً. وهو بذلك يعمل على تنظيم حياة قطيعه بحيث يحافظ على انتاج عال وثابت طوال أيام السنة. وفي حين تلد بعض ابقاره او تجف ضروعها، يثابر بعضها الآخر على در الحليب.

بقرة ذكية – ما من بقرة في هولندا امكنها مضاهاة "وينتون بيل ايفا الثانية"، وهي بقرة هولشتاين في مقاطعة يوركشير البريطانية. اذ ضرب عطاؤها رقماً قياسياً خيالياً هو

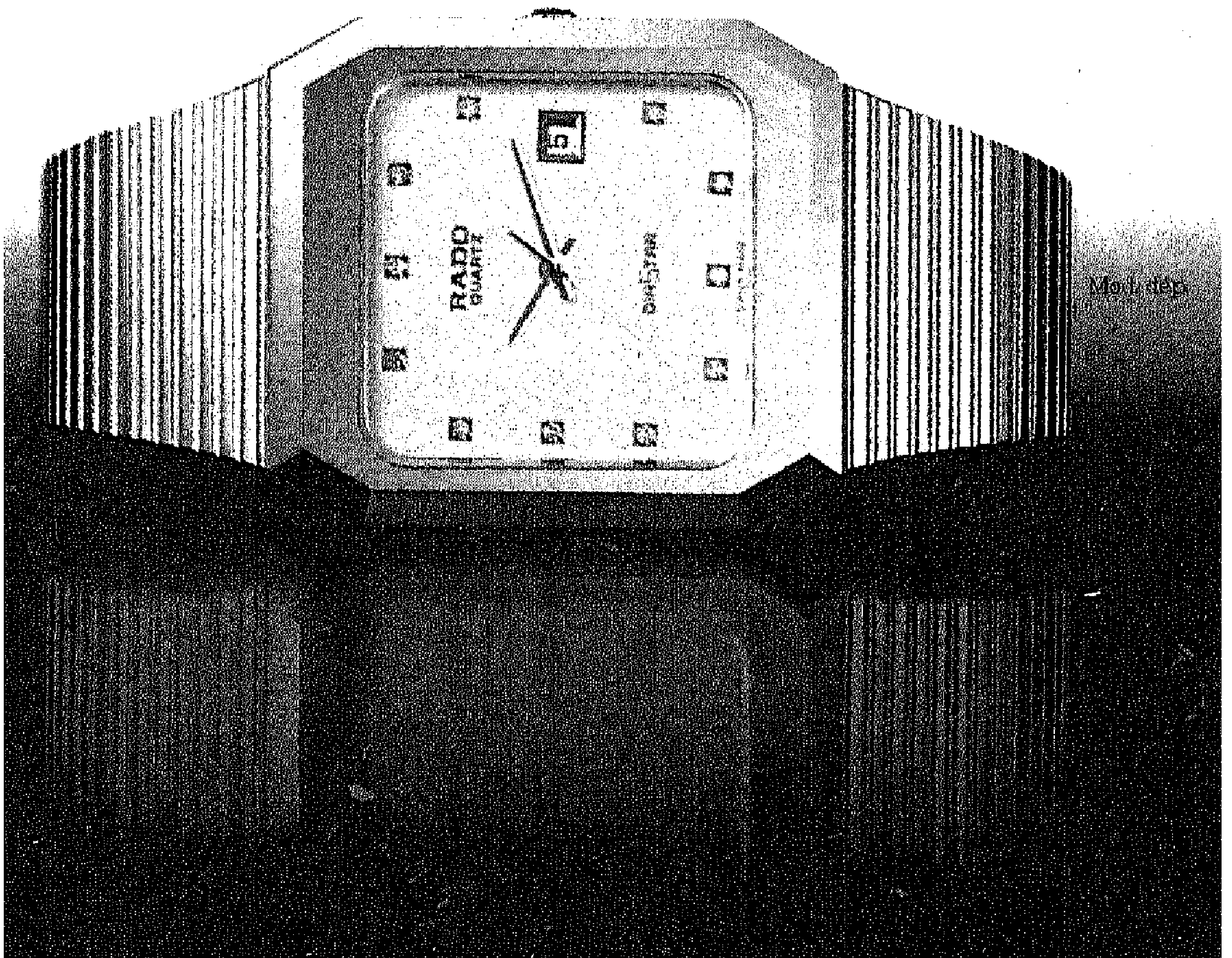
(★) طعام يعيده الحيوان المجتر من معدته الاولى الى فمه ليمضغه ثانية.

مقياس الأناقة

منذ اللحظة الأولى التي ظهرت فيها على
مسرح صناعة الساعات عرفت «رادو دايا ستار»
بتصميمها الفريد - ذلك المفهوم الذي أصبح
القاعدة المعتمدة لتصميم أجود الساعات. دايا ستار
التعبير الوحيد للأناقة، تجمع بين جمال الوضوح وكمال
التوازن وابداع الفكر. رقتها الفائقة وتصميمها
الفريد ومظهرها المترف تضاهيه فقط الدقة
المتناهية لحركة الكوارتز الالكترونية.

RADO رادو

مقياس الأناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن



١٦٤ طناً. فانتاجها اليومي من الحليب هو ٣٧ ليتراً. ويقول صاحبها جون وارينغ: "هذه البقرة تعي تماماً لذات الحياة. ففي حين تتمدد الابقار الاخرى ارضاً قبل هبوب العاصفة، ترى ايفا منتصبة على قوائمها تلتهم العلف حتى اللحظة الاخيرة".

لقد تحسن نسل الهولشتاين على نحو ملحوظ، كما ازدادت فاعلية الوسائل المتبعة في تربية الابقار وانتاج الالبان. فقبل عقدين كان والد فيبرين ومعاوناه يحلبون ٤٠ بقرة بالايدي ليحصلوا على ٢٠٠ طن من الحليب سنوياً. واليوم يتولى فيبرين حلب ٦٥ بقرة، ولا يساعده في ذلك غير طالب زراعة يعمل جزءاً من الوقت. فالتكنولوجيا، كالحيوانات نفسها، هي جزء من المزرعة.

ويكفي ان يضغط فيبرين زراً لازالة الروث من الحظيرة. فتتحرك شفرة خشبية تجرها سلسلة حديد فوق الارض المغطاة بالاسمنت، وتدفع الروث داخل مجرور، موفرة ساعات من الكنس والجرف.

وكان فيبرين يساعد والده في قطع العلف بسكاكين طويلة وتعبئته بالمذاري في عربات تجر بالايدي. وهو عمل شاق كان يستغرق ساعتين كل يوم. اما الآن، وبفضل الجرار الحديث الذي يملكه، فيتم ذلك في ست دقائق. وغدت ممخضة الحليب أشبه بصهريج ضخم، وكرسي الحلب منصة دوارة تمكن المزارع من الوقوف في مكان واحد فيما تدور الابقار حوله على مهل في اثناء حلبها.

وأضحت التكنولوجيا جزءاً من حياة البقرة نفسها. فكل ثلاثة أسابيع يزور المزرعة مراقب رسمي يسجل انتاج كل بقرة ويحلله. وبعد ايام يحمل ساعي البريد الى فيبرين وثيقة افرزها الدماغ الالكتروني تحوي سجلات ابقاره حتى ذلك التاريخ، مع علامتي (+) و (-) تشيران الى تلك التي تدر أعلى مقدار وأدنى مقدار في القطيع. كما يحدد الدماغ الالكتروني نوعية حليب كل بقرة، اي نسبة ما يحويه من الزبدة والبروتيين والسكر، وعدد أيام انتاجه. ومن نتائج هذه القياسات ان متوسط عمر الابقار في مزرعة فيبرين لا يزيد على أربع سنوات وتسعة أشهر، اذ لا يجدر الاحتفاظ الا بأفضل الابقار انتاجاً. وكل سنة يرسل فيبرين الى المسلخ نحو خمس قطيعه.

قوام ممشوق - بيد ان هناك تغيرات أكثر أهمية في تربية الابقار وانتاج الالبان. فحين ولدت يانتييه عجولها الاولى في الستينات، كانت مستولدة من ثور وضع معها في الحقل. أما وليدها الاخير فكان أبوه ثوراً يدعى "تريبل تريت" من مدينة ماديسون في ولاية ويسكونسن الامريكية. فالتلقيح الاصطناعي للابقار، الذي طور ابان الحرب العالمية الثانية لمنع الامراض ودرء خطر التلوث الذي قد ينقله ثور واحد الى قطيع بأسره، أحدث ثورة في تربية الماشية.

ومع ان البقرة السوداء والبيضاء هي نفسها في انحاء العالم، فقد طورت منها انواع عدة تناسب مختلف حاجات المزارعين. فبقرة الهولشتاين الامريكية الشمالية المرباة لانتاج الحليب فقط تمتاز بشكل أفضل للضرع وبطول يفوق ابنة عمها الاوروبية. أما

"الفريزية" الهولندية الاصيلة فهي أكثر اكتنازاً وتتميز بكمية أكبر من اللحم وكمية أقل من العظام نسبياً. الا ان ضروع الابقار الهولندية متدلية، وحين تتقدم بالسن يزداد تدلي ضروعها حتى تصل الى الارض وتجر على الوحل، فيجهزها المزارع بحمالات ضروع ترفعها.

هذه العيوب يمكن تصحيحها في الاجيال المقبلة عن طريق التلقيح الاصطناعي. لذلك تهجن اجود ابقار فيبرين بثيران مثل "بوغيت ساوند" في مقاطعة كولومبيا البريطانية (كندا) و"غارديـنيا تشيف استرونوت) في ولاية مينيسوتا الامريكية، شحن منيها المجلد جواً عبر الاطلسي. وتمكن رؤية تأثيرات الدم الجديد اليوم في بعض أبقار فيبرين. مثال ذلك ان "يانتييه التاسعة والعشرين" ممشوقة القوام على نحو ملحوظ لانها هولشتاين امريكية في ثلاثة ارباعها.

ان اوروبا اضحت ارضاً تتدفق بالحليب، بفضل نجوم متألقة مثل "يانتييه" و"وينتون بيل ايفا الثانية". ويقول بعضهم ان انتاج الحليب تخطى الحد المطلوب، مشيراً الى "جبل الزبدة" المصنوع من الحليب الفائض الذي يخزن الآن في مستودعات مجلدة.

ويعترف فيبرين كزملائه بأن هذه المشكلة تحيره، الا انه يثق تماماً بأبقاره. وهو يقول: "الابقار السود والبيض هي الاكثر انتاجاً والافضل تكيفاً. وهي ستحتل المرتبة الاولى في اي اختبار اقتصادي. ولا شك في انها صفوة الابقار".

■ جون دايسون



صيد الحيوان يصبح رياضة نبيلة يوم تتمكن الحيوانات من حمل السلاح.

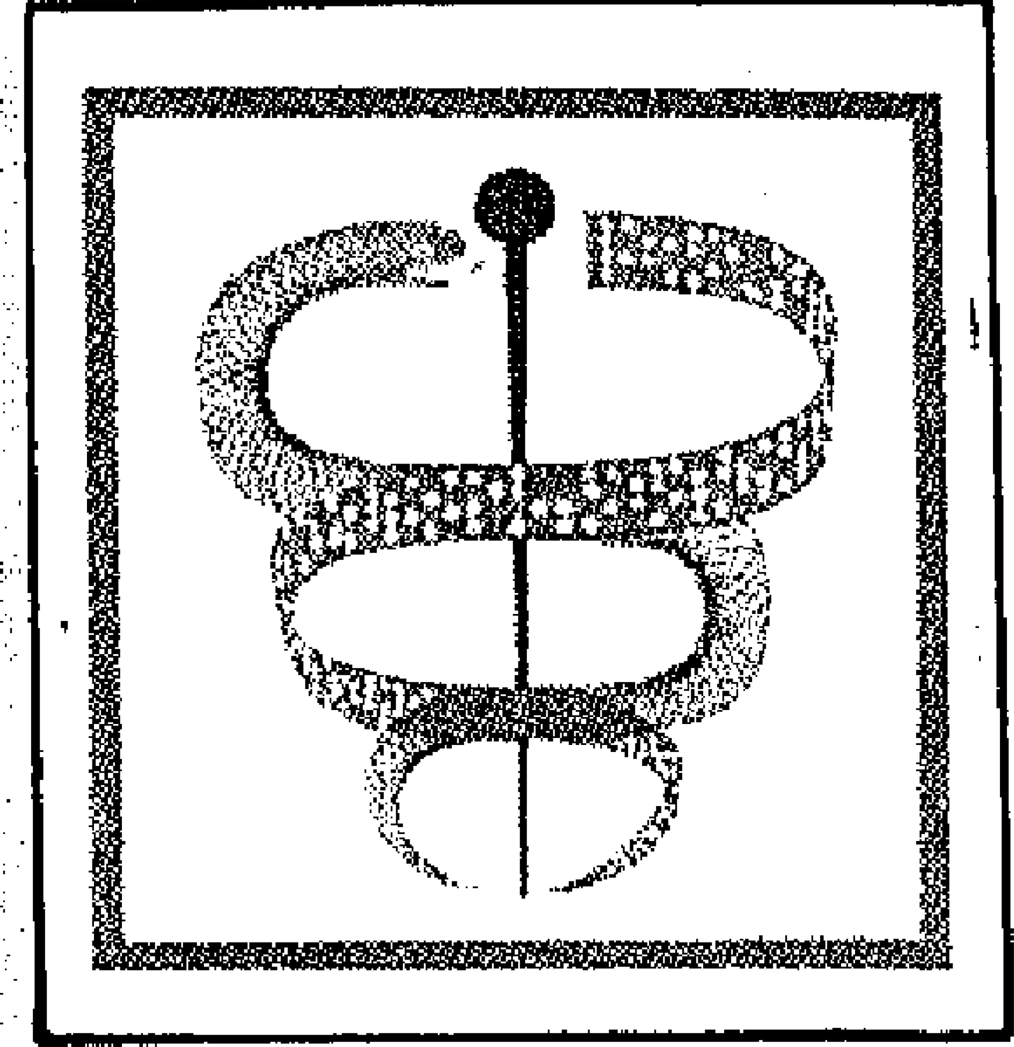
ج.ا.د.

حياة هادئة

يفضل بطل كرة المضرب العالمي بيورن بورغ أن يعيش حياة هادئة على رغم ملايينه. وبينما نرى سواه من الرياضيين يقضي ليلته بين مباراة واخرى مستمتعاً بملذات المدينة، يفضل بورغ أن يمكث الليل في البيت وينام تسع ساعات. ويتذكر آرثر آش ما حدث خلال احدى مباريات بورغ في مدينة لاس فيغاس (ولاية نيفادا الامريكية) الشهيرة بأندية اللهو والمقامرة: "رأيت بورغ وسألته اذا حالفه الحظ على الطاولة. فأجاب أنه لا يدري لماذا اوجه اليه سؤالا عن أثاث المنزل".

مجلة "تايم"

أصداء من عالم الطب



عضّ الجرح يشفي!

عندما يعض حيوان جريح جرحه، فان الريق لا يطهر الجرح فحسب، بل يؤدي الى شفائه أيضاً. ويظن علماء من مستشفى ماساتشوستس العمومي في بوسطن ومن جامعة فلوريدا في غينزنفيل أنهم توصلوا الى معرفة السبب بعد اختبارات أجروها حديثاً على الفئران.

ويظهر ان الشفاء السريع لدى هذه الحيوانات مرده الى مادة شبيهة بالهرمون اسمها "عنصر النمو العصبي"، وهي موجودة بكثرة في ريق الفئران. وتقول ماري كورولي من فريق المختبر: "للمرة الاولى يظهر ان للبروتيين المفرور طبيعياً قيمة علاجية".

وعنصر النمو العصبي هذا موجود في الجسم البشري، لكنه لم يظهر حتى الآن في ريق الانسان. ولكن يؤمل ابتكار دواء يشبه الريق من شأنه تسريع شفاء الجروح والحروق. ويقول الدكتور رونالد مالت، الجراح الذي أجرى أول عملية ناجحة لاعادة زرع أحد الأطراف المقطوعة عام ١٩٦٢: "ثمة عناصر عدة للنمو من شأنها اعادة انماء الأعضاء البشرية".

ك.م.

الركض بالوراثة

البراعة الرياضية نتيجة عوامل كثيرة. الا ان العداء الذي يندفع بسرعة البرق للفوز في مسابقة المئة متر يرجّح أن يكون وُلد بنسيج خاص من الألياف العضلية التي لعبت دوراً حاسماً في انتصاره.

وهناك نوعان رئيسيان من هذه الألياف، احدهما الألياف ذات الشد السريع والآخر الألياف ذات الشد البطيء، والألياف العضلية السريعة تتقلص بسرعة وتولد القوة، لكنها تتعب بسرعة. أما الألياف الاخرى فتتقلص ببطء وتولد قوة ضئيلة، لكنها تستمر وقتاً طويلا من غير ارهاق. ويتمتع الشخص العادي بعدد مماثل من هذين النوعين من الألياف. لكن نسبة الألياف البطيئة في أرجل عدائي المسافات الطويلة العالميين تبلغ ٨٠ في المئة، في حين تتجاوز نسبة الألياف السريعة في أرجل عدّائي المسافات القصيرة الـ٧٥ في المئة.

وجدير بالذكر ان نسبة الألياف العضلية البطيئة والسريعة تأتي عبر الوراثة ولا يدّ لها التمرين. ولكن يبدو ان التمارين الرامية الى تنمية الطاقة على الاحتمال تجعل الالياف السريعة تتصرف كالألياف البطيئة، لكنها لا تجعل هذه تتصرف كتلك. ويقول الدكتور بنت سالتن من معهد اوغست كروغ في كوبنهاغن (الدانمرك): "يمكنك ان تمرّن عدّاء مسافات قصيرة ليصبح عدّاء مسافات طويلة، ولكن لا يمكنك ان تفعل العكس".

صحيفة "نيويورك تايمس"

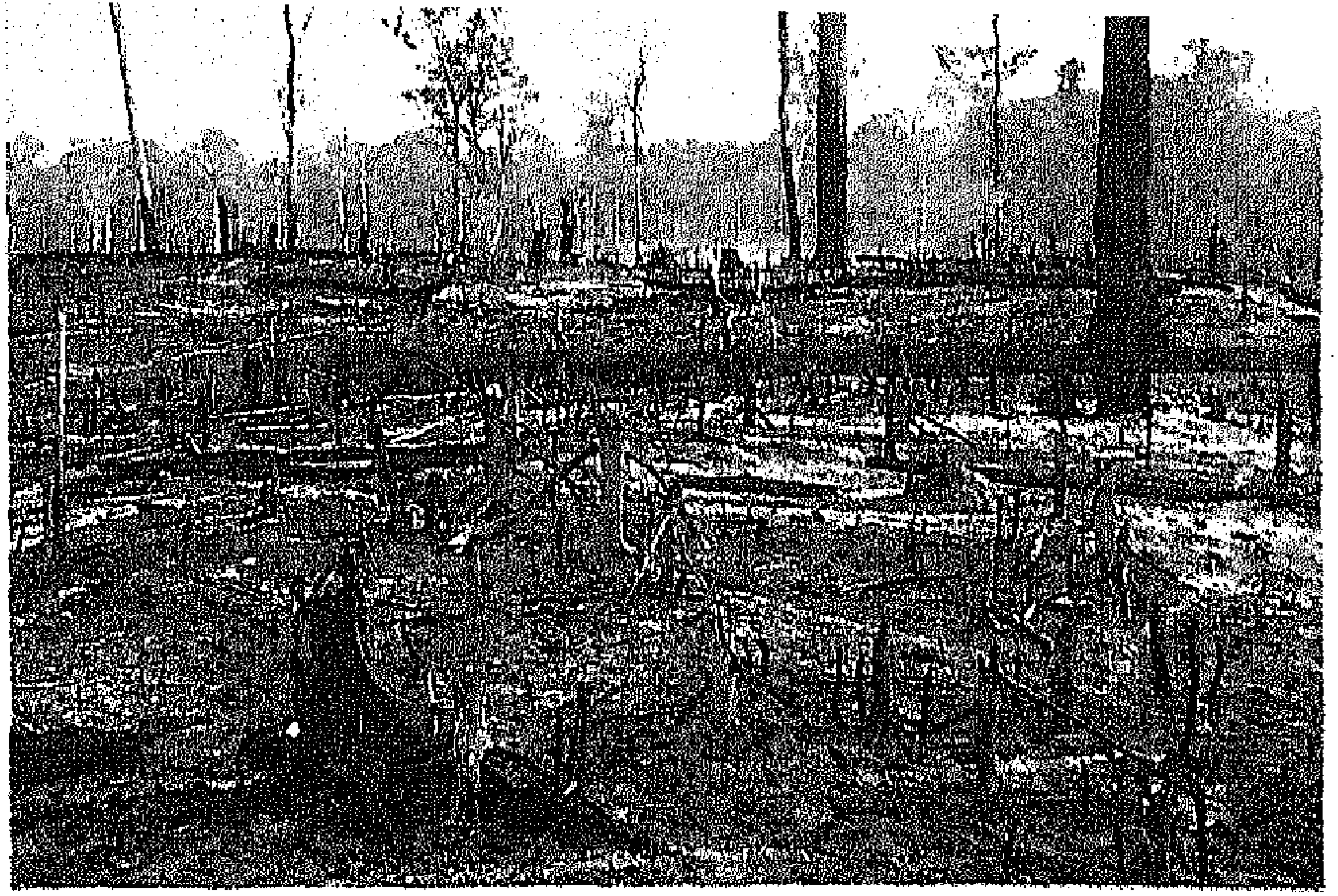
أيها الفقراء والجهلة ماذا فعلتم بالاشجار؟

الصحراء تبتلع العالم

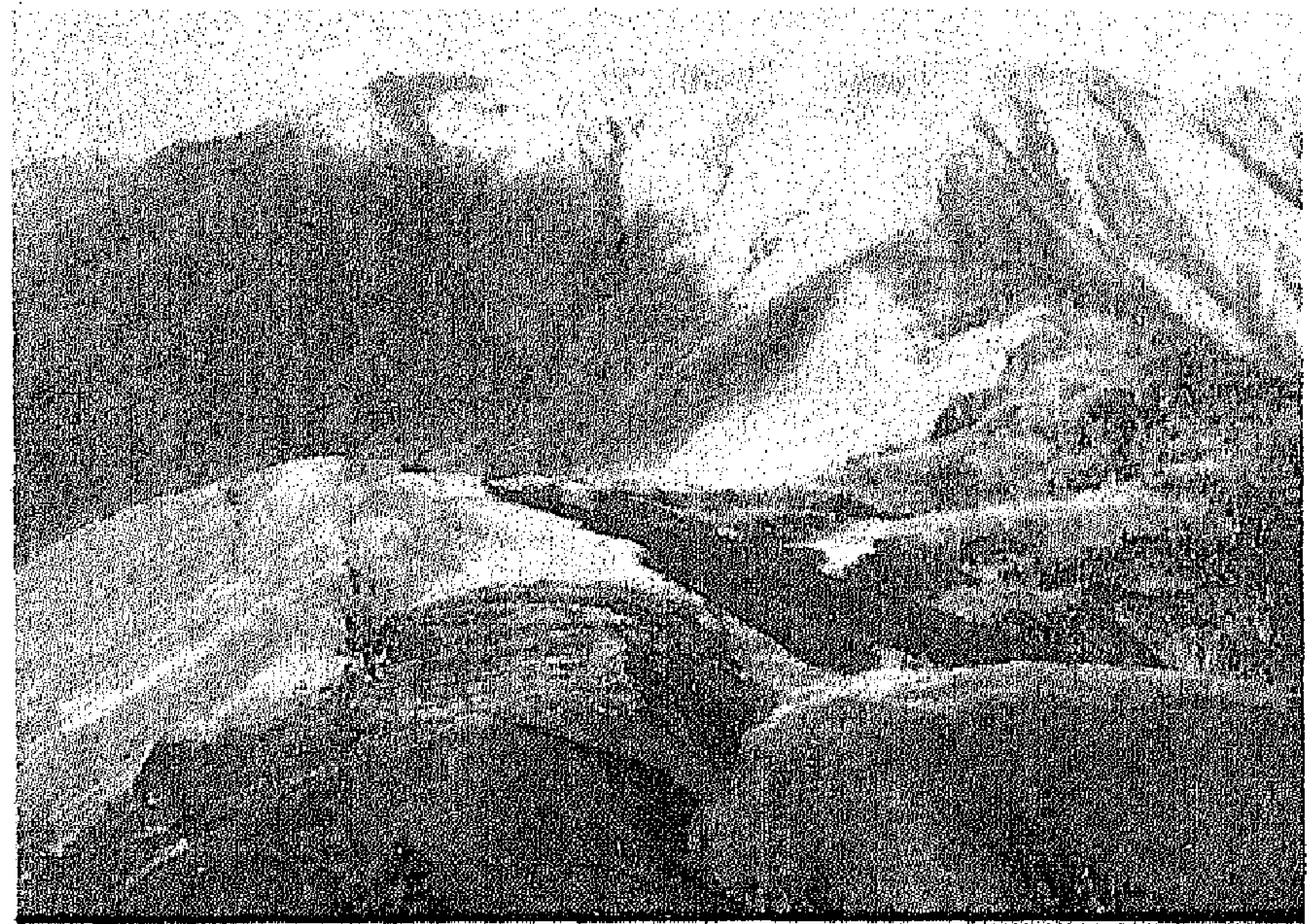
في الوقت الذي تستغرقه قراءة هذه الجملة،
ستعرى مساحة هكتارين ونصف هكتار،
في أمكنة مختلفة،
من أشجارها...
ترى هل يمكننا وقف هذه العملية؟

في جمهورية فولتا العليا، غرب أفريقيا، عرّيت غابة يبلغ عرضها ١٣٠ كيلومتراً من الاشجار ليستعملها سكان العاصمة وقوداً للطهو. وفي هابيتي، احدى جزر الهند الغربية، حوّلت معظم المرتفعات الخضراء هياكل حجرية. أما غابات البرازيل الرائعة فأخذت تتلاشى تحت الدخان المتصاعد مئات الأمتار فوق نهر الأمازون.

لقد اجتمعت الفؤوس والجرافات والمناشير والحرائق لتقضي على ما بقي من أشجار في العالم، بوتيرة عجزت معها الطبيعة والانسان عن التعويض. وربما عرّي نصف غابات العالم منذ العام ١٩٥٠، بمعدل سنوي يراوح بين عشرة ملايين هكتار وعشرين مليوناً. ويقول عالم البيئة اريك ايكهولم: "كل سنة يقضى على غابة في مساحة كوبا (١١٥٠٠٠ كيلومتر مربع). واذا استمرت الحال هكذا، فلن يبقى في نهاية هذا القرن



هنا كانت تقوم غابة برازيلية وافرة الخصوبة والاخضرار، لكنها أحرقت لأهداف زراعية.



جبال عُريت من أشجارها في الفيليبين.

سوى مساحات مبعثرة من الغابات العذراء".

هذا الاجهاز العالمي على الغابات ينطوي على كارثة تضاهي ما يواجهه العالم من نقص في المواد الغذائية والوقود. ولن يفلت أحد من نتائج ازمة تعرية الأرض في حال وقوعها، سواء أكان ذلك من حيث تضاؤل كمية الورق واللدائن (البلاستيك) أو من حيث تبدل المناخ نحو الأسوأ. وجاء في تقرير رسمي حديث ان العالم يمر "بمرحلة انتقال من حال غنى الى حال فقر بما يخص الغابات".

هذا الانتقال بات حقيقة راهنة بالنسبة الى معظم بلدان العالم الثالث. أما اوروبا وأمريكا الشمالية فهما اعتمدتا، منذ القرن الماضي، خطة حكيمة تُوازِن بين القَطْع واعادة الزرع. وعلى نقيض هذا، اجتمع الفقر وفقدان الاجراءات الفعالة ليشنّا حرباً شعواء على الاشجار في الحزام الاستوائي

الأخضر. وفي امريكا اللاتينية، أضمحل ثلثا الغابات. وفي افريقيا غاب النصف. وخسرت تايلاند ربع غاباتها في السنين العشر الاخيرة، في حين خسرت الفيليبين سبع غاباتها في نصف هذا الوقت.

وفي منطقة الشرق الاوسط بدأ انحسار الغابات في القرون الوسطى. وكان السبب الرئيسي استهتار الانسان ببيئته وافراطه في استغلال الغابات من اجل تلبية حاجاته المعيشية. وأدى الرعي الزائد الى تحويل مساحات واسعة من الغابات مراعي وأراضي زراعية.

ان غابات وسهولا كثيرة في سوريا والاردن والعراق ودولة الامارات العربية المتحدة غدت اليوم أراضي شبه صحراوية تغطيها طبقة من الحصى وتزحف اليها الرمال.

وهناك مساحات بأكملها من الأمازون وأفريقيا الوسطى وسفوح الحملايا غدت جرداء كسطح القمر. ويقول اريك ايكهولم: "ان أفقر سكان الارض تدفعهم ظروفهم القاهرة الى تدمير مستقبلهم".

زحف الصحراء – حقاً ان المسألة تتجاوز خسارة ملايين الهكتارات من الاشجار. فالارض التي قُطع شجرها عشوائياً لتصبح مزارع ومراعي – وهذا أهمّ عامل للقطع – تحلّ مكان الادغال الغنية بأشجارها الخضراء المعرضة للشمس. والتلال التي جُرِّدت لاستعمال شجرها وقوداً – علماً ان الحطب هو الوقود الرئيسي لثلاثة أرباع سكان الارض – تتسبب في فيضانات تتلف السفوح.

واذا استنفد العالم الثالث أشجاره فهذا قد يعني نهاية مرة للتنمية. ففي بلدان الساحل الافريقي الجرداء، تكاد المجاعة والتصحُّر يقضيان على الطبيعة. والى الجنوب، من تانزانيا حتى ساحل العاج، عُرِّيت الاشجار من جذورها لاستخدامها وقوداً في المنازل. وفي مدن غرب افريقيا، حيث يكلف تسخين الوعاء أكثر من ملْئه، ترسل الشركات شاحناتها وحميرها وحماليها الى الغابات للاغارة على ما بقي من أشجارها.

وفي نيبال أدى اقتلاع الاشجار الى انجراف التربة السطحية وترسُّبها في الأنهار. وفي المناطق الجبلية المكتظة بالسكان – حيث اضمحل ربع الغابات في العقد الأخير، مع خطر زوال معظم القسم الباقي في مستهل التسعينات – تشهد المحاصيل الزراعية هبوطاً مطرداً. كما ان الطُرُق، التي صُرفت عليها الملايين الآتية من المساعدات الاجنبية، تنهال فوقها الصخور والأتربة وتجرفها الى الانهار. وليست الحال أفضل في الهند، حيث تنجرف ستة مليارات طن من التربة السطحية سنوياً، بنسبة عشرة أطنان لكل مواطن هندي. ويقول خبير في حماية الموارد الطبيعية: "ان البلدان التي تعلن الحرب اذا حاول أحدهم اغتصاب شبر واحد من ارضها تخسر سنوياً ملايين الاطنان من التراب بفعل الانجراف".

وتمتد موجة قلع الاشجار القوية الى جنوب شرق آسيا. فالمزارعون هناك يقطعون جزءاً من الغابات ليغرسوا الحبوب مكان الشجر، حتى اذا استُنْزِفت الأرض بعد سنوات انتقلوا الى أجزاء أخرى.

والى العوامل الزراعية، هناك عوامل تجارية تحملهم على ذلك، وهي تصدير الاخشاب، علماً ان ثلثي حاجة العالم من الخشب يأتيان من بلدان جنوب شرق آسيا، خصوصاً الفيليبين وأندونيسيا. واذا بقيت موجة القطع على هذا النحو، فانه يُتوقّع زوال الغابات السفحية في هذين البلدين بحلول العام ١٩٩٠. أما تايلاند، التي كانت في طليعة البلدان المصدرة لخشب الساج (التيك)، فستصرف هذه السنة ما يزيد على المئة مليون دولار لاستيراد المنتوجات الخشبية.

امريكا الجنوبية – وحدها المساحة، بالنسبة الى أدغال الامازون، أبعد عنها هذا المصير حتى الآن. فمن جبال الانديز حتى المحيط الاطلسي، عبر تسعة بلدان من أمريكا الجنوبية، تنبسط سجادة قاتمة من الاشجار لتكوّن أكبر غابة استوائية في العالم، بمساحة سبعة ملايين و٨٠٠ الف كيلومتر مربع. وفي امكان احتياط الامازون من الحطب سدّ حاجة العالم طوال السنوات العشرين المقبلة اذا بقي معدل الاستهلاك ثابتاً. وما زال ثلثا ادغال الامازون غابات عذراء، لكن الاشجار تتناقص على الاطراف وفي الوسط. وتزمع البيرو على توطين مليوني مزارع في الغابات خلال السنوات الخمس المقبلة. والاكوادور على وشك حفر آبار الغاز والنفط وسط غاباتها ومدّ الانابيب منها الى الشاطىء.

وقد جرّت البرازيل أكبر خراب على غاباتها الداخلية عندما بدأت شق طريق رئيسية تخترق الامازون قبل عشر سنين. وجُرّد نحو ثلاثة ملايين هكتار لاقامة تلك الطريق وسواها من الطرق الفرعية. وأقدم مئات آلاف المزارعين على حرق أعداد هائلة من الأشجار بقيمة مليار دولار سنوياً لازالتها من الطريق. وتشير الاحصاءات الرسمية في البرازيل الى ان معدل تعرية الغابات يبلغ ١٠ في المئة سنوياً.

وعلى رغم مظهرها الخارجي الخصب، الا ان الغابات الغنية بمياه الامطار، كغابات الامازون، هي "فردوس زائف" كما يصفها العديد من العلماء. وعلى نقيض الغابات المعتدلة المناخ ذات التربة الغنية، يحتفظ كثير من الغابات الاستوائية بالعناصر الغذائية في المزروعات، لا في التربة. وهذا يعني ان الشمس تحرق التراب وتحوله قشرة لا حياة فيها اذا اقتُلعت الاشجار. وقد توقف المزروعات او الاعشاب الخراب الشامل، شرط ان تستعمل الاسمدة الاصطناعية باستمرار.

هذه الطريقة جُرّبت على حدود الامازون القديمة، في مقاطعة براغنتينا على ساحل البرازيل الشمالي الشرقي. وهي مقاطعة في مساحة جزيرة صقلية (٢٥٧٠٠ كيلومتر مربع)، حلت فيها الزراعة مكان الغابات منذ بداية القرن الحالي. وفي البدء ظُنّ البرنامج نموذجياً بالنسبة الى تنمية الامازون. لكن التربة استُنفدت مع حلول الاربعينات. فما كان من الحكومة الا ان نقلت سكان براغنتينا الى روندونيا، قرب الحدود البوليفية، حيث واجهوا المصير نفسه في وقت أقصر.

كارثة وشيكة – تشير أحدث

الدراسات الى ان ٢٠ في المئة فقط من غابات الأمازون صالحة للزراعة. وعلى رغم ما حلّ بمقاطعة براغنتينا وسواها من المناطق المنكوبة، الا ان هذه العملية ما برحت تتكرر. وفي العقد الاخير، فاقت مساحة الغابات المقتلعة الثمانية ملايين هكتار. وهي حُولت مزارع للماشية ومخازن للحطب، تملك معظمها شركات متعددة الجنسية. وتشهد حركة قلع الاشجار نمواً مطرداً، سواء أكان ذلك بواسطة العمال الذين يتقاضى الواحد منهم دولاراً في اليوم او بواسطة الجرافات الضخمة التي تنقضّ سلاسلها كالمناجل. ويقول مسؤول سابق لدى الامم المتحدة أمضى عشرين سنة هناك: "ربما اسفرت تلك العملية عن ولادة صحراء كبرى ثانية".

ماذا يعني هذا الدمار كله للعالم؟

ان العلماء الذين يدرسون أثر تجريد الغابات على المناخ يرون نتيجتين متناقضتين. فهناك فئة تتوقع ارتفاعاً في الحرارة يشمل الكرة الارضية، ويغذيه أثر ثاني اوكسيد الكربون (١) المتولد من حرق الاشجار والوقود الحفرية. وتشير أسوأ احتمالاتهم الى ارتفاع معدل الحرارة ١،٦ درجة مئوية فوق ما هو عليه حالياً خلال السنوات السبعين المقبلة، مما سيؤدي الى ذوبان الطبقة العليا من الثلوج القطبية وارتفاع مياه البحار أكثر من ستة أمتار. ويسلم جورج ليديك، المسؤول الامريكي السابق في مجلس حماية الموارد الطبيعية، بأن هذا "محض احتمال. ولكن اذا بقينا مكتوفين حتى حدوثه، لتأخَّرنا كثيراً".

أما الفئة الأخرى من العلماء فتظن ان اقتلاع الاشجار سوف يتيح للارض عكس مقدار أكبر من أشعة الشمس، مما ينقص درجة الحرارة حول العالم. وقد يسفر ذلك عن نتيجة جانبية هي تبدل في معدل هطول المطر يحمل الجفاف الدائم الى مساحات زراعية واسعة في أمريكا الشمالية وأوروبا.

مصنع صيدلي – على رغم ان الغابات الاستوائية تغطي دون ١٠ في المئة من الارض، الا انها تؤوي نحو نصف نبات العالم وحيوانه. وربما ادى قطع الاشجار العشوائي الى القضاء على ٢٠ في المئة من هذه النباتات والحيوانات في نهاية القرن الحالي.

وجدير بالذكر ان ربع العقاقير التي يصفها الاطباء ذات مصدر بيولوجي، وان الكثير منها، خصوصاً الكينين (٢)، مصدره نباتات لا تنمو الا في الغابات الاستوائية. وقد أُطلق على الامازون لقب "المصنع الصيدلي الضخم". وهو ينتج كذلك مئات الزيوت الصناعية والمواد الصمغية والاصباغ. ويقول توماس لافجوي من مؤسسة "الصندوق العالمي للحياة البرية": "ان إشباع الاعداد المتزايدة من الناس وَقْفٌ على البيئة التي يحملنا الجوع على القضاء عليها".

هذه الحركة التي ستسفر عن بقاء عدد كبير من الناس مع عدد قليل من

---

(١) احتباس حرارة الشمس على سطح الارض بفعل غاز ثاني اوكسيد الكربون الذي يسمح بدخول الاشعاعات ذات الموجات القصيرة ويمتص الاشعاعات ذات الموجات الطويلة الصادرة عن الأرض.

(٢) مادة شديدة المرارة تعالج بها الملاريا.

شجرة المستقبل

تخيل اشجاراً ترتفع احداها ستة أمتار في السنة، وتمنع انجراف التربة وتوقف انتشار حرائق الغابات. وهي اشجار ليست مقصورة على الوقود وصناعة الورق، بل تستخدم علفاً للماشية أيضاً. والاهم من هذا كله انها ليست نسج الخيال، لكنها موجودة فعلا. ومع تضاؤل أشجار العالم الاستوائية المطّرد، اتجهت انظار المعنيين بالتشجير الى هذه الاشجار لتغطي الغابات في المستقبل.

هذه الاشجار الخارقة لا تنمو الا في المناطق الاستوائية، ومعظمها من فصيلة البقول. وكأفراد عائلتها التي تشكل غذاء للناس، مثل الفول والحمّص والعدس، تحتوي هذه الاشجار على بكتيريا (جراثيم) في جذورها تمدّ التراب بمادة النيتروجين المغذية. ويسمي نويل فيتماير من الاكاديمية القومية للعلوم في واشنطن هذه البقول: "جُنْد الصدّام في الحرب ضد تعرية الغابات". وهي تنمو سريعاً وتظلل النباتات وتنتج من الخشب عشرة أضعاف ما تنتجه الاشجار في المناطق المعتدلة.

ومن بين عشرات الاشجار البقلية التي تجري دراستها، هناك واحدة تنمو في أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا اسمها "لوكاينا"، وهي أكثرها تكيُّفاً وأقواها على احتمال الجفاف، وهناك مئة ضرب من هذه الشجرة الغريبة، تراوح بين شجرة عملاقة ترتفع ٢٠ متراً ويستعمل حطبها وقوداً، وشجرة صغيرة ترتفع اربعة أمتار ونصف متر وتخدم حاجزاً ضد انجراف التربة. والنبات ينمو بسرعة اذا غُرس بين صفوف اللوكاينا ويحمل أوراقاً غنية بالبروتيين. ويكتمل نموّ هذه الاشجار البقلية بين سنتين وأربع سنوات بدلا من عشر سنين، مما يجعلها هبة ثمينة للمزارعين الذين يغرسون الشجر بهدف قطعه والافادة منه خشباً وحطباً.

وهناك أنواع من الاشجار البقلية تتجاوز قيمتها النمو ضمن تربة قاحلة. ومنها شجرة "الكوبايفيرا" في الامازون التي تخدم عصارتها بديلا من الوقود في محركات الديزل. وهناك "الكاليانذرا" الارجوانية التي توقف انتشار نيران الحرائق بفضل اوراقها القصيرة والكثيفة. وفي شمال البرازيل نوع آخر هو شجرة "الغميلينا" السريعة النمو التي يُصْنَع من لبها الوقود والورق. ويقول خبراء التشجير ان اللوكاينا والغميلينا وما شابههما من أشجار تحتاج الى العناية والتغذية الصحيحتين لتعيننا على حلّ مشكلة غاباتنا المعرّضة للانقراض.

الاشجار يمكن ابطاؤها، وحتى وَقْفها احياناً. فقد زادت مساحة الغابات وعدد الاشجار في اوروبا وأمريكا الشمالية على ما كانا قبل قرن. وما فتىء العلماء يبتكرون وسائل أفضل للعناية بالغابات، فضلا عن تطوير انواع جديدة من الاشجار. وفي كوريا الجنوبية التي خربتها الحرب، كان لاعادة غرس الاشجار خلال السبعينات ثمارها المرجوة، اذ مُلىء ثلْث البلاد بالشجر. وهناك برامج على نطاق أضيق في أمكنة أخرى، تهدف الى حمل المزارعين على حماية بساتينهم وعدم استخدام أشجارها حَطَباً.

أما في العالم العربي، فما زالت مكافحة تعرية الغابات في طور التجربة. وفي سوريا والاردن والعراق وبلدان عربية أخرى انشئت محميات لدراسة الوسائل الناجعة لصيانة

الغابات وانتاج العلف بواسطة التبذير الاصطناعي وتحديد طاقة الارض على انبات الشجر. وتدل النتائج الاولية على ان صيانة البيئة تؤدي الى تحسن ملموس في الحياة النباتية.

ويتخذ بعض الدول العربية اليوم اجراءات جدية لمكافحة التصحر. فمشروع "الجدار الاخضر" في الجزائر الذي بدأته عالمة البيئة الاوسترالية وندي كامبل - بردي، تخطى المرحلة التجريبية. وفي دولة الامارات العربية المتحدة يجري زرع حزام وقائي من الاشجار يبلغ عرضه مئة متر وتسقيه مياه البحر المحلاة، وهو يمتد على طول الطرق التي تربط المدن الرئيسية. كما ان المملكة العربية السعودية ترعى مشروعاً ضخماً لمكافحة زحف الرمال في منطقة الاحساء الصحراوية. وتم انجاز المرحلة الاولى من هذا المشروع التي توخت تثبيت الرمال بالاسمنت والقار (الزفت). وتنطوي المرحلة الثانية على انشاء "حزام اخضر" تبلغ مساحته ١٠٠،٠٠٠ هكتار على التخوم الشمالية والشمالية - الشرقية للمنطقة. ان هذا المشروع، كمثيله في الجزائر، هو على جانب كبير من الاهمية، سواء من حيث تأثيره المرتجى في مناخ المنطقة او من حيث كونه تطبيقاً عملياً للوسائل الحديثة الرامية الى تثبيت الرمال في المناطق القاحلة.

لكن النجاح الذي سجلته بلدان العالم الثالث في مجال اعادة غرس الاشجار يبقى محدوداً جداً. فان ملايين النبتات الصغيرة التي غُرست في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية تلفت سريعاً لعدم توافر العناية الضرورية. وربما كانت السياسة المحلية أحياناً جزءاً من المشكلة، كما في اثيوبيا، حيث تولى الفلاحون الفقراء زرع الغراس التي وزعتها الحكومة، رأساً على عقب لاغاظة أصحاب الارض الاغنياء. يضاف الى هذين العاملين التكاليف المرتفعة التي تنطوي عليها عملية اعادة التشجير. ويقول أحد المسؤولين في ماليزيا: "ان الاشجار الصلبة التي نطمح اليها لا تبلغ ارتفاعها التام الا بعد زمن يراوح بين ستين سنة وثمانين سنة. ولكن هل هناك مصرف في العالم يعطينا قرضاً على ستين سنة؟"

الا ان التحدي لا يقتصر على غرس عدد أكبر من الاشجار. هناك طريقة واحدة أكيدة لوقف قطع الاشجار، وهي خفض العوامل التي تؤدي الى هذه العملية، وأهمها الحاجة الى الوقود والعلف والزراعة الضرورية لاشباع ٥٠٠ مليون شخص تتهددهم المجاعة. وفي غياب المخططات ستبقى الغراس قشاً تذرّيه الريح.

ملخّص من مجلة "نيوزويك"
مع اضافة من "المختار"



الثقافة يجب أن تُخرج شيئاً من شخص حاملها، لا أن تُدخل اليه شيئاً فحسب.
ف.ف.

٣ خطوات تقودكم إلى صحّة أفضل

من لا ينشد الصحة التامة والحياة السعيدة؟ هنا ثلاث طرق من شأنها تحقيق هذه الامنية، وهي بسيطة لا تتطلب سوى الارادة والمثابرة

١. تنفس بانتظام

عندما كسرت قدمي خلال الركض، ظننتُ ان ذلك سيقعدني عن العمل. وكل ما أمكنني فعلهُ آنذاك لم يتجاوز تمارين في التنفّس تعلّمْتُها في التدريب العسكري ومدرسة اليوغا. ووجدت ان التنفّس المنتظم الذي قصدتُ به تحريك صدري وتقوية عضلات معدتي، أدى الى تقليص الالم. وأدهشتني هذه النتيجة ودفعتني الى قراءة بعض ما كُتب حول الموضوع. فوجَدتُ ان للتنفّس المنتظم حسنات جمة في حقول عدة، تراوح بين التمثيل والغناء والرياضة والتأمّل. وكنتُ كلما قرأتُ أكثر، ازدادت قناعتي بأن التنفس هو الحلقة المفقودة من الشروط الضرورية لسلامة الجسم والعقل.

ويختلف الاوكسيجين عن معظم المواد المغذية من حيث عدم امكان اختزانه في الجسم. ونحن نحتاج، كل دقيقة، الى دفعات من الهواء

Condensed From «Total Breathing», (c) 1980 by Philip Smith, Published by Mcgraw-Hill Book Co., New York, N.Y.

النقي. غير ان أكثريتنا تستعمل رئاتها حتى ثلث طاقتها. وهذا حداني على ابتكار بعض تمارين أساسية تقوم على استخدام جهاز التنفّس حتى آخر مداه، بحيث يدخل الجسم أكبر مقدار ممكن من الاوكسيجين ويخرج منه أكبر مقدار ممكن من ثاني اوكسيد الكربون.

وأقوى هذه التمارين فعالية هو تمرين "النّفَس التام". ويحسن بك ان تمارسه حتى يصبح طبيعة ثانية لديك. وعندما يتحقق هذا الامر، ستجد ان تعبك تقلص وان جسمك يؤدي وظائفه على نحو أجدى.

النّفَس التامّ

تنشق الهواء عبر الانف، مستخدماً عضلات وسط البطن، ودعه يملأ أسفل الرئتين. تابع التنفّس حتى ينتفخ بطنك كالطابة ويتمدد الى أقصاه. ثم حرك الاضلاع الى الخارج ليمتلىء صدرك بالهواء.

أخيراً، دع الهواء يملأ القسم الأعلى من الرئتين عن طريق رفع الصدر ونفخه. وهذه العملية يجب ان تدوم نحو خمس ثوان.

حاول، بعد ذلك، ان تلتقط انفاسك خمس ثوان. ومع التمرين، ستجد انه بات في امكانك التقاط نفسك عشر ثوان أو أكثر. وهذا يمكن الرئتين من امتصاص كمية الاوكسيجين كلها.

الآن، ازفر الهواء بهدوء، متيحاً للجزء الاسفل من البطن ان ينقبض اولا. عندئذ سيفرغ أسفل الرئتين من الهواء، ثم تتبعه منطقة الاضلاع فأعلى الصدر.

انتظر ثانية او ثانيتين قبل معاودة الشهيق. كرر العملية عشر مرات. أعدها مراراً خلال النهار حتى يغدو هذا التمرين جزءاً من عادات التنفّس لديك.

ومن أجل تعزيز هذا الضرب من التنفّس، أردفه بالتمرينين الآتيين اللذين صُمّما لتوليد الهدوء والاسترخاء.

النّفَس المهدّىء

اضغط فتحة انفك اليمنى بابهامك الايمن حتى تسد عنها الهواء. تنشّق "النفس التام" بطيئاً، موجهاً الهواء الى جبهتك. أغمض عينيك وتخيّل انك تتنشّق هواء له لون مهدىء: الازرق او الاصفر الفاتح او الاخضر. دع اللون يتغلغل في أعضائك ويمنحك شعوراً غامراً بالراحة والقوة.

بعد انهاء التنشق، أغلق فتحة أنفك اليسرى باصبعي يدك اليمنى الرابع والخامس (البنصر والخنصر). التقط أنفاسك وأنت تعدّ الى العشرة، وفي هذا الوقت تخيّل ان الهواء يجمع التوتر والافكار غير الضرورية ليطردها مع الزفير. دع فتحة أنفك اليسرى مضغوطة، وارفع ابهامك عن الفتحة اليمنى لتطرد الهواء خارجاً. وهذا الهواء المطرود سيحمل معه التوتّرات والسموم التي تجمعت خلال حَبْسك النّفس.

نَفَس النوم

هذا التمرين يمارس قبل الذهاب الى النوم مباشرة. وهو ذو أثر قوي، خصوصاً اذا كنت تعاني الارق. وأن

التنفّس البطيء المنتظم سيعين جسدك على الانعتاق من متاعب النهار. واذا لم يكن فراشك قاسياً، فالافضل تأدية هذا التمرين على أرضية الغرفة.

تمدد على ظهرك ويداك على الجانبين. أغمض عينيك. باشر تنشّق "النفس التام" وأنت ترفع ذراعيك بطيئاً حتى تصبحا فوق رأسك. وفي الوقت نفسه، تخيل ان رؤوس أصابعك تشدها خيوط الى أعلى لتتحرك على هيئة قوس. تابع التنفّس على نحو بطيء جداً وأنت تعدّ الى العشرة. ومتى بلغْت العشرة، يجب ان تكون ذراعاك مشدودتين فوق رأسك ومرفقاك على اذنيك ويداك مرتكزتين الى الارض. التقط انفاسك وعد حتى العشرة. واذا لم تتمكن، في المرحلة الاولى، من حبْس نفسك حتى العشرة، فاكتفِ ببلوغ الخمسة وزد عليها تدريجاً.

ازفر الهواء بطيئاً وأنت تعدّ كذلك حتى العشرة وتعيد ذراعيك الى وضعهما الاول. أعد التمرين عَشْر مرات. وسترى، مع كل محاولة شهيق، انك تكاد تدخل عالم الأحلام، مما يسهل نومك ويجعله عميقاً.

■ فيليب سميث

٢. اهدأ و استرخ

بدا واضحاً ان الرجُل متوتر وفاقد الصبر. فهو رفع احدى يديه بعصبية، فيما حمل في الاخرى علبتي سجائر. وعندما أراد الذهاب الى شقته، لم يكتفِ بضغط زرّ المصعد مرة واحدة او اثنتين، بل ضغطه ست مرات. وإذ لم يقفل الباب، توجه نحو مصعد آخر وهو يطلق سيلا من الشتائم، فيما كان باب المصعد الذي خرج منه ينطبق.

وأدركتُ، وأنا أراقبه، انه من الفئة التي يسميها اختصاصيو القلب "الفئة الِف"، وهي التي يتميز سلوك أفرادها بالعجلة والعدوانية ونفاد الصبر والسرعة الى الغضب. وهؤلاء الناس معرّضون لنوبة قلبية أكثر من سواهم.

ولئِن صحّ انه لا أحد من أفراد هذه الفئة يستطيع او يريد التحول كلياً الى "الفئة ب" التي يتصف أفرادها بالتأمّل والاسترخاء، الا ان معظم أفراد الفئة الاولى يوافق على ان بعض ميزاته الشخصية يعوقه عن العمل المجدي ويجعله غير مرغوب اجتماعياً. ولكن ما هي الخطوة الرئيسية للانتقال من الفئة الاولى الى الفئة الثانية؟ هنا عدد من النصائح العملية في هذا المجال:

إمتحن نفسك

● فكّر ملياً في أهداف حياتك وكيف تقضي أوقاتك وما هي الامور المهمة حقاً بالنسبة اليك والى من تحب. وفي هذا كله، ركز على ما يجدر ان يكونه المرء، لا على ما يجدر ان يكون لديه.

● كفّ عن قياس حياتك من حيث

الكمية: عدد زبائنك او عدد النوادي التي تنتمي اليها او عدد انجازاتك. ووجِّه ذهنك أكثر نحو النوعية، معتقاً نفسك من الواجبات التافهة. وربما وجدتَ، بعد حين، ان انجاز امور قليلة على نحو حَسَنٍ يرفعك في عين نفسك أكثر من فعل أشياء كثيرة غير مجدية.

● توقَّف عن محاولتك ان تكون شخصاً فائق القدرة، يصر على الهيمنة التامة على الشؤون المنزلية ويستقبل الضيوف من غير حساب ويربي اولاده على خير وجه، من دون ان يهمل شيئاً من متطلبات مهنته الصارمة. فهذا لا يتمّ الا على حساب صحتك وزواجك وأولادك. لذلك دع السعي الى الكمال جانباً. وفي البيت كما في العمل، قرر ما تريد تحقيقه بنفسك، وفوض الامور الاخرى الى سواك.

● امكث بعضاً من الوقت وحدك، مع نفسك. احضر حفلة موسيقية، اذهب الى متحف، طالع كتاباً يبعث على التأمّل... أو اجلس بهدوء محدقاً الى السماء.

هدّئ أعصابك

● اعطِ نفسك وقتاً أطول مما تظنه ضرورياً للوصول الى مكان أو تحقيق شيء، حتى اذا اعترضك عائق فلن يحملك على القلق خوفاً من التأخُّر.

● احمل معك شيئاً تقرأه كل مرة ينبغي عليك الجلوس أو الوقوف انتظاراً، او درّب نفسك على عدم القيام بأيّ عمل. ادرس الناس حولك. استرسل في التخيُّل. فكر في شخص تحبه. انعم النظر في حياتك. افتح حديثاً شائقاً مع سواك.

● لا تحشر مفكرتك بالمواعيد او تضع لنفسك مواعيد صارمة لانهاء أعمالك. وتعلَّم ان تقول: "سأكون هناك بين الحادية عشرة والحادية عشرة والنصف" عوضاً عن القول: "سأكون هناك في الحادية عشرة تماماً".

● انهض من النوم قبل موعدك المعتاد بربع ساعة لئلا تضطر الى بدء نهارك على عَجَل. وسيكون الهدوء باعثاً على راحتك الجسدية أكثر من النوم الزائد.

● توقَّف عن مقاطعة الآخرين او انهاء كلامهم عنهم. ودرب نفسك على حسن الاصغاء، مركزاً على ما يُقال بدلا من التفكير في ما هو اكثر اهمية لك. ولا تأخذ عملا من يد شخص يفعله ببطء قبل ان يبرهن على عجزه عن تنفيذ ذلك العمل. واذا لم تحتمل مراقبته وهو يعمل، فالافضل ان تغادر المكان.

● خذ قسطاً من الراحة بين وقت وآخر، حتى وان يكن عليك انهاء عملك في وقت محدَّد، لتتحدث مع جارك او تنظر من النافذة او تمشي قليلا او تفعل ما يريحك.

سَهِّل أمورك

● لا تثر غيظك من أجل امور تافهة كتأخُّر قطار او حماقة نادل او فظاظة تاجر. واذكر انك، في معظم الحالات، لن تتمكن من تبديل مجرى الاحداث.

● ابتعد عن الناس الذين

يغيظونك. اما اذا كان عليك رؤيتهم باستمرار، فلا تحملهم كثيراً على محمل الجد. وكفّ عن التفكير في عدد الناس الذين يقْصرون عن تجسيد مُثُلك العليا. فهذا التفكير يغذي خيبتك من الآخرين وعداءك لهم.

● أقم صداقة مع شخص من "الفئة ب". صحيح انه قليل الكلام، لكنه سيصغي حسَناً الى ما تقوله ويخدم كمثال للهدوء الذي تسعى الى تحقيقه في نفسك.

● اخيراً، لا تَنْسَ ان العجلة في العمل والمنافسة العدائية هما وجهان من السلوك المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنوبات القَلْبِيَّة. لذلك، فكر في الظروف التي تزعجك، ثم جنّد ذهنك والمرح الذي تتمتع به للنفاذ منها.

■ جين برودي

٣. راقب وزنك

اختر الوقت الذي تريد، وستجد ان ملايين الناس في ذلك الوقت يفكرون في خسارة بعض الوزن او يتبعون نظاماً معيناً من الحمية. وجدير بالذكر ان السيطرة على الوزن هي من أكثر الموضوعات التي تراكمت حولها الآراء والاباطيل. واذا كنتَ تريد انقاص وزنك، فيجدر بك التأمّل في الاوهام والنصائح الآتية:

الأوهام

● **أيّ وزن اضافي يعني السمْنة الزائدة.**

هذا خطأ. والمؤسف ان تكون الدراسات الاولية التي قامت بها شركات التأمين أشارت الى ان معدل الحياة يرتفع بالنسبة الى الناحلين وينخفض بالنسبة الى الذين يتجاوزون وزناً "مثالياً" معيناً. والواقع ان الدراسات الحديثة بينت ان الاشخاص المفرطي النحول او السمنة يتهددهم الموت الباكر. لكن هذا لا يعني ان فرَص الحياة المديدة تقتضي المحافظة على وزن واحد، لا ينقص ولا يزيد.

ولكن مما لا شك فيه ان المصابين بارتفاع نسبة السكّر او ضغط الدم لا تلائمهم زيادة الوزن. وهؤلاء، اضافة الى ذوي السمنة المفرطة، يفيدهم كثيراً فقد بعض الكيلوغرامات.

● **أفضل للمرء ان يدخن من ان يكون سميناً.**

هذا خطأ حتماً. فالوزن القليل الذي يخسره المدخن لن يؤثر على صحته اذا أبقاه. أما التدخين فعادة فتّاكة.

● **السعرات الحرارية غير مهمة.**

هذا خطأ. ذلك ان الامر الوحيد المهم هو السعرات الحرارية، خصوصاً التوازُن بين السعرات التي تأتينا يومياً عن طريق الطعام وتلك التي نستهلكها عن طريق العمل. ومن أجل كسب نصف كيلوغرام، مثلاً، علينا ان نتناول ٣٥٠٠ سعرة حرارية أكثر مما نستهلك. واذا تمكن الجسم من الاحتفاظ بمئة سعرة حرارية يومياً، فان وزنه الاضافي لن يزيد على خمسة

كيلوغرامات ونصف كيلوغرام في السنة.

● **بعض الطعام، كالبيض المقلي والليمون الهندي (غريب فروت)، يحرق السعرات الحرارية.**

هذا خطأ، فليس هناك طعام يقتضي هضمه طاقة كبيرة الى حد ان تناوله يؤدي الى انقاص الوزن. ولكن من الممكن تناول أطعمة، كبعض الخضر والحبوب والفواكه، تحتوي على أقل مقدار ممكن من السعرات الحرارية بينما تمنح الجسم أفضل التغذية.

● **حل المشكلة يكمن في اتباع نظام حمية يقتصر على تناول نوع واحد من الطعام.**

غير صحيح. فنظام حمية كهذا، خصوصاً اذا انطوى على كميات قليلة من الكاربوهيدرات، أي السكر والنشاء، يؤدي الى نقص سريع في سوائل الجسم خلال الاسبوع الاول او بعده قليلا. وهذا النقص في الوزن يحمل كثيرين من تابعي الحمية على التوهم ان الشحم "يذوب" من أجسامهم. والواقع ان الشحم الذي يفقدونه تدريجاً خلال اتباع الحمية يعود سريعاً بعد وقفها، علماً ان المرء لا يصمد كثيراً أمام الحمية القائمة على تناول نوع واحد من الطعام. وما قيل عن الشحم يصح على البروتيين. فهو ينقص ببطء خلال فترة الحمية ويعود سريعاً بعد وقفها. والنتيجة ان من يتبع حمية كهذه ينتهي بكمية من الشحم أكبر من التي بدأ بها.

● **التمرين غير ضروري.**

هذا خطأ. فالنشاط الجسدي المنتظم يمكن ان يؤدي الى نتائج ملحوظة. والتمرين يحرق السعرات الحرارية الاضافية التي تتحول شحماً. كما ان القابلية على الأكل هي أكثر انضباطاً لدى الاشخاص الذين يمارسون نشاطاً جسدياً. والتمرين قد يبدل عملية الأيض، اي تمثّل الطعام وانحلاله، على نحو يؤدي الى خفض الوزن. ولا ريب في انه ينقص مستويات ضغط الدم وسكر الدم والكولستيرول.

● **كل شخص يزيد وزنه او ينقص بالسهولة نفسها.**

غير صحيح. فالناس يستهلكون الشحم او السعرات الحرارية بدرجات متفاوتة. أما سبب ذلك فلا يعرفه احد. من هنا، يمكن القول انه ليس هناك أي سر طبي او مفتاح سحري لانقاص الوزن.

النصائح

● **تعلم ان تعيش بالجسم الذي لك.**

قدر حسنات جسدك واسأل نفسك اذا كان ما تبغيه منه ممكناً. ارسم اهدافاً متواضعة وكن على استعداد لاحتمال الوقت الذي يقتضيه بلوغها. تذكر ان الناس يولدون بأشكال وأحجام متنوعة. وتنبغي مقاومة الضغط الذي يتعرض له عدد كبير من الناس، ولاسيما النساء، اذا تجاوز وزنهم حداً معيناً وُضع اعتباطاً. وبدلا من محاولة صب جسمك في قالب هذه السنة، اعمد الى الاسترخاء وارتد الملابس التي تناسب بنيتك الطبيعية.

● **ابتعد عن المآكل التي ترفع ضغط الدم.**

يجب ان تتناول من الطعام ما

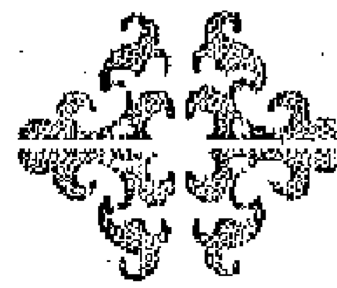
يكفي لمنحك شعوراً بالراحة معظم الوقت. ولئن يكن من الحكمة الا تكثر من المآكل المفعمة بالسعرات الحرارية، الا انه من الحكمة ايضاً الا تحاول الاقتصار على الليمون الهندي والخسّ والشاي المثلج. ولا تخدعنّ نفسك بالظن ان المشي المتمهل او ركوب الدراجة من وقت الى آخر يؤدي الى احراق السعرات الحرارية. كما ان الالعاب الرياضية الخفيفة ليست أفضل حالا.

من ناحية أخرى، مارس العدو السريع الذي يمكنك من التنفّس على نحو أسرع. ولكن تذكر ان البطولات ليست مطلوبة منك. لذلك، ابدأ برنامجاً تستطيع تنفيذه: مثلا، اصرف عشر دقائق يومياً في حركات منشطة، وتوصل تدريجاً الى ٢٥ دقيقة او نصف ساعة في اليوم. ويحسن ان تستشير طبيبك قبل الشروع في اي برنامج شاق.

ان الوزن الاضافي يصبح، عادة، جزءاً من الجسد. وهذا يزداد اذا أصبح الجلوس نمطاً من الحياة. وفي حالات كهذه، على المرء ان يكون متنبهاً ويعاود الحركة ويتوقف عن أكل الحلويات، ناظراً الى ذلك ليس من قبيل حرمان نفسه الأكل، بل من قبيل درء الخطر عن جسده.

بعد هذا كله، يبقى الكثير لنتعلمه عن الشهية والسيطرة على الوزن. في هذه الاثناء، سيثابر المشعوذون على استغلال سذاجة الناس عن طريق بيعهم أنظمة الحمية والمآكل "العجيبة" التي هي، في حقيقة الأمر، غير مجدية وربما كانت خطرة. والافضل ان يلوذ المرء بفطرته وبديهته. فلا يعقل ان نفترض ان كل شخص يمكنه ان يتقيد بمقياس للوزن يبقيه مشذّب الأطراف.

■ ملخص من "رسالة الصحة" لكلية هارفارد الطبية



الذكي هو من يطرح السؤال اذا كان لا يعرف الجواب وأحياناً اذا كان يعرفه.

م.ف.

رحلة الهموم

أوقف رجل سيارته أمام محطة لتزويدها بالوقود، وكان في طريقه لتمضية عطلة ومعه زوجته وأولاده الأربعة وكلبه. ونظر عامل المحطة داخل السيارة المكتظة وقال: "يبدو أنك تحاول الهرب من همومك... أتمنى لك حظاً سعيداً". ونهر الرجل كلبه الذي كان ينبح بشدة، ووضع أحد الأولاد في المقعد الخلفي، وراح يسوّي الحقائب وهو يقول: "ألا ترى أني أحمل همومي معي؟"

ج.م.ك.

لغز
الهرم الأكبر

خمسة واربعون قرناً
مرت على بناء الهرم العظيم ٠
وما زال العلماء
حائرين في دقة هندسته
وغوامض دهاليزه

قلما كانت الآثار التاريخية موضع اعجاب وفضول وتأمل كأهرام الجيزة في مصر، وخصوصاً هرم الفرعون خوفو العظيم الذي اطلق عليه الاغريق اسم "خيوبس" ٠ وعلى رغم ان هذا الهرم شيد قبل ٤٥٠٠ سنة، فهو يعتبر من اضخم الابنية الحجرية التي عرفها التاريخ، اذ تبلغ مساحة قاعدته وحدها حوالى ٥٢ الف متر مربع ٠ ويتألف هذا الهرم من ٢،٣٠٠،٠٠٠ كتلة حجرية يراوح وزن كل منها بين ٢،٥ طن و٥٠ طناً ٠ ويبلغ علوه ١٤٦ متراً، اي ما يعادل علو بناء حديث من اربعين طابقاً ٠ وقدر نابوليون ان اهرام الجيزة تحوي من مواد البناء ما يكفي لاحاطة فرنسا بجدار تبلغ سماكته ٩٢ سنتيمتراً ويصل علوه الى ثلاثة امتار ٠

ويجسد الهرم الاكبر مهارات حاذقة في الفن المعماري ٠ فجوانب

Baltimore Sunday Sun (March 10, '74), (C) 1974 by A.S. Abell Co.,
Calvert & Centre Sts., Baltimore, Md. 21201

مداميكه مصقولة ومقطوعة بدقة فائقة بحيث يصعب ادخال صفحة من الورق في ما بينها. وقد بلغ التناسق الهندسي في هذا البناء أن زاويته الجنوبية لا تعلو اكثر من ثلاثة سنتيمترات عن زاويته الشمالية. ولا يزيد الفارق بين اطول جانب واقصر جانب من القاعدة على ٢٠ سنتيمتراً، اي اقل من ٠،٠٩ في المئة.

وحمل ذلك بعض الباحثين الجديين على طرح النظرية القائلة بان الهرم لا يمكن أن يبنى بهذا الشكل الا بمساعدة ادمغة الكترونية او مخلوقات ذات عقول خارقة جاءت من كوكب آخر، مستخدمة اشعة الليزر لقطع الكتل الحجرية ومستعينة باجهزة مضادة للجاذبية في رفعها. وادعى آخرون أن الاحداث التاريخية الكبرى يمكن التنبوء بها ضمن جدران هذا الهرم. وظن غيرهم أن الهرم ليس سوى نصب تذكاري لجائحة ارضية هائلة، او نظام للمقاييس العالمية يسجل بدقة مطلقة طول السنة وسرعة الضوء ومدار الاجرام السماوية.

اما علماء الآثار المصرية المعاصرون فيعتبرون هذه النظريات ضرباً من الهراء. وقد تم قياس الهرم ودقق في هندسته بأحدث الاجهزة العلمية، ومع ذلك فما زال هذا الهرم يطرح تساؤلات اساسية لا تمكن الاجابة عنها.

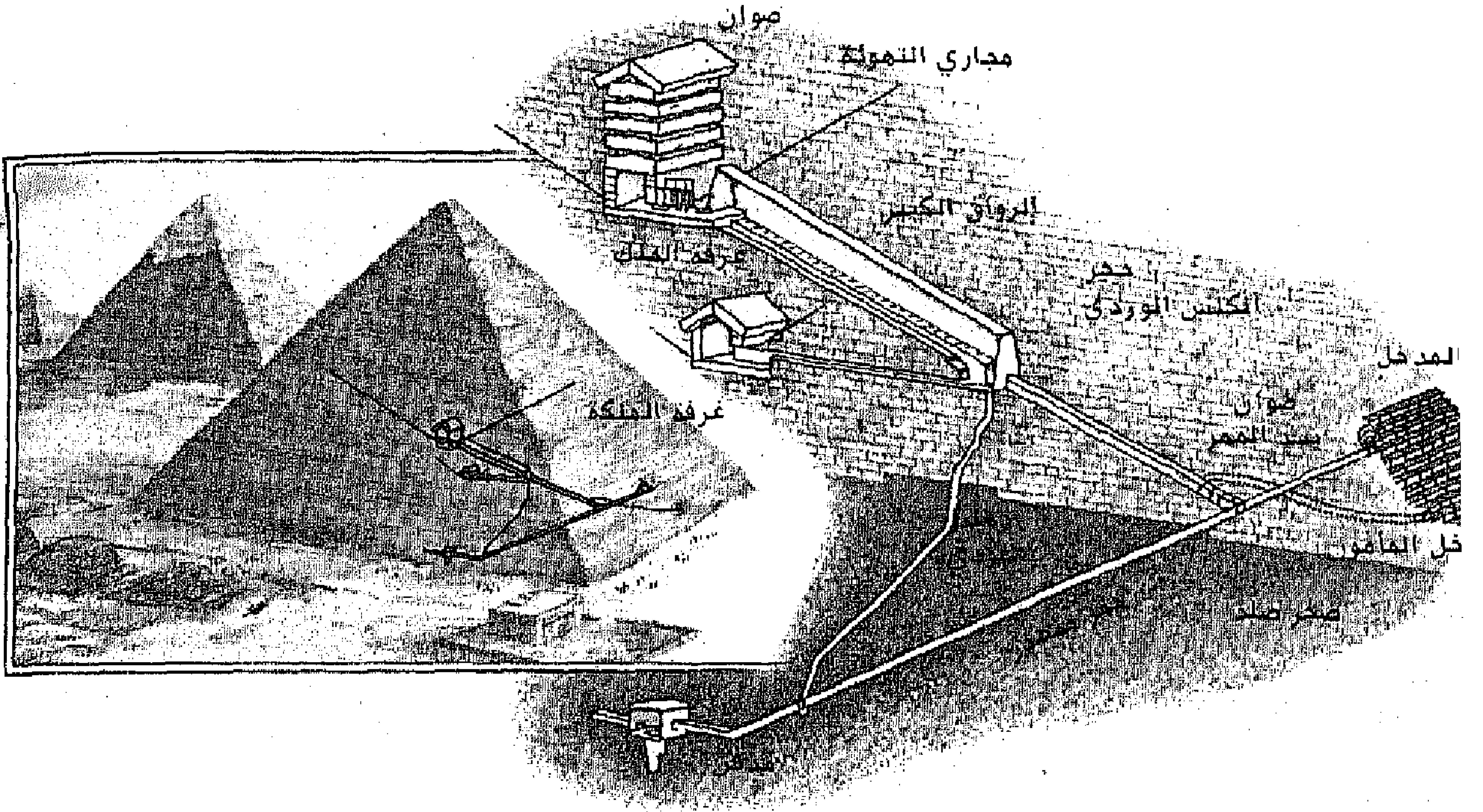
حلقة الالغاز – كيف شيد هذا الهرم العظيم؟

لم يكن المصريون القدماء يستخدمون العجلات او الدواب في اعمال البناء، ولم يعرفوا الرافعات والبكر ومعدات الحفر المتطورة. وجل ما كان لديهم، الى عضلاتهم، بعض معدات حفر نحاسية وحجرية وآلات بدائية لمسح الاراضي. فكيف امكنهم اذاً ان يشيدوا بناء ضخماً متناسقاً كهذا؟

ان الكتل الصخرية المستخدمة في بناء الجزء الرئيسي من الهرم قطعت من الحجر الرملي الاحمر في هضبة الجيزة. والحجار الكلسية التي تكسو البناء من الخارج، والتي اقتلع معظمها منذ سبعة قرون لتشييد الجوامع والقصور في القاهرة، نقلت من ضفاف النيل الشرقية. اما حجار الصوان المستخدمة في بناء الاروقة والحجرات، فمن اسوان التي تبعد حوالى الف كيلومتر الى الجنوب. وقد استخدم الحفارون مطارق ذات رؤوس خشبية مستديرة لاحداث شقوق في الصخر، ادخلوا فيها اوتاداً خشبية كانت تشبع بالماء فتتمدد وتتسع الشقوق الى ان ينفلق الصخر. وبعد ذلك كان البناؤون ينحتون الكتل الحجرية مستخدمين مادة المرو (الكوارتز) الكاشطة لصقل سطوحها.

وكانت الكتل الصخرية الجاهزة ترفع على المزالج بمخول خشبية، ومن ثم تتولى جماعات من العمال جرها الى المراكب الراسية في النيل. وشق في موقع العمل ممر بلغ عرضه ١٥ متراً وامتد ٨٠٠ متر من حافة النهر الى الهرم. وذكر المؤرخ اليوناني هيرودوتس، الذي زار الجيزة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أي بعد مرور ٢٠٠٠ سنة على بناء الهرم، ان هذا الممر كان يضاهي الهرم العظيم بضخامة بنائه.

من هنا تبدأ الالغاز. ان



هيرودوتس الذي استقى معلوماته من كهنة المعابد، كما يبدو، يدعي ان انجاز الممر استغرق نحو عشر سنين، فيما استغرق بناء الهرم عشرين سنة. ويضيف ان مئة الف عامل ساهموا في اتمام هذا المشروع، وانهم كانوا يبدلون بمثلهم كل ثلاثة اشهر. لكن المتخصصين بتاريخ الفراعنة يشيرون الى أن حكم الفرعون خوفو لم يدم اكثر من ٢٣ عاماً، فلو هو مات قبل انجاز البناء لكان من الارجح ان يبقى هرمه غير مكتمل، كما هي الحال في بقية الاهرام.

العالم الآخر – لكن اكثر ما يبعث على الحيرة هو طريقة رفع الكتل الحجرية الثقيلة الى مثل هذا الارتفاع الشاهق.

ويعتقد هيرودوتس انه تم رفع هذه الكتل من طابق الى آخر بواسطة روافع مصنوعة من الواح خشبية قصيرة. ويرد مهندسون على ذلك قائلين انه اذا صح ان روافع كهذه استعملت في بناء الهرم الاكبر فان العملية كانت استغرقت اكثر من عشرين سنة، فضلا عن ان هذه الوسائل غير العملية لا طاقة لها على رفع كتل الصوان (الفرانيت) الكبيرة التي تزن الواحدة منها ٥٠ طناً.

وتوصل معظم الاختصاصيين المحدثين الى الظن أن هذه الكتل الحجرية كانت ترفع بالقوة البشرية على منحدر مبني من الآجر (القرميد) والتراب وكسارة الحجار في محاذاة الهرم. وما زالت آثار منحدرات كهذه قائمة في جوار ثلاثة اهرام اخرى.

وللتوصل الى درجة ملائمة من الانحدار، تعين على البنائين رفع مستوى المنحدر واطالته بعد كل طبقة جديدة من الهرم. اما بالنسبة الى الهرم الاكبر، فان طول منحدره لا بد ان يكون بلغ نحو كيلومتر ونصف كيلومتر، واستهلك اربعة اضعاف ما

استهلكه الهرم نفسه من مواد البناء. ومما يحمل على الشك في صحة هذه النظرية ان الطاقة البشرية التي تتطلبها ورشة ضخمة كهذه كانت على الارجح غير متيسرة في البلد آنذاك.

واذا افترضنا وجود منحدر كهذا، فمن الضروري أن يقل عرضه تدريجاً الى أن يبلغ قرابة ٢٧٥ سنتيمتراً عند قمة الهرم. وفي هذه الحال لا يبقى ثمة مكان لوقوف الرجال المكلفين جر ما تبقى من الكتل الصخرية الى القمة. ويقول مهندسون باستحالة وضع العدد الكافي من العمال على منحدرات ضيقة كهذه حتى لو تسنى لهم الاستعانة بالسقالات الحديثة.

وطرح بعض الباحثين اجوبة بديلة. فمنهم من قال بالرصيف الحلزوني الذي يدور حول جوانب الهرم، ومنهم من ظن ان الحل كان في اسناد الواح خشبية مطلية بمواد دهنية الى جوانب الهرم. ومع ان المصريين القدماء درجوا على تسجيل منجزاتهم التقنية بالتفصيل في المخطوطات ورسوم المدافن، فليس هناك سجل مكتوب او مصور، او اي اثر آخر لمثل هذه الادوات.

لماذا شيد هذا الهرم؟

كان المصريون القدماء يعتقدون ان حياة الآخرة هي وجود جسدي يتمتع فيه الموتى بجميع الملذات الجسدية والامتيازات الاخرى التي عرفوها على الارض. لذلك وجدوا ضرورة لبعض الاشياء.

اولا، كان ينبغي حفظ الجسد. لذلك طور المصريون اساليب التحنيط فلم يبزهم فيها أحد.

ثانياً، كان يجب اقامة تماثيل مطابقة لشكل الميت. فاذا لحق اي ضرر بجثمان الميت يكون التمثال بديلا منه لتبعث فيه الحياة في العالم الآخر بواسطة التراتيل والتعاويذ.

ثالثاً، ينبغي ان يزود الراحلون بما يحتاج اليه المرء في حياته اليومية من ملابس ومجوهرات واسلحة واثاث، اضافة الى الغذاء والشراب بكميات تكفي قروناً عدة. وكانت المدافن تزود بنماذج من الجنود والخدم والزوارق والحوانيت، اضافة الى الصور التي تبين منزلة المتوفي ومكانته وزوجاته واولاده واتباعه ومنجزاته وحتى الالعاب الرياضية التي كان يمارسها. جميع هذه الاشياء كانت تحفظ مع الجثمان في ضريح مغلق، محاط بمعابد مخصصة للموتى يحرسها جماعة من الكهنة.

الناووس الفارغ - ويظهر ان الفرعون خوفو لم يخطط في البدء لصرح ضخم كهذا. فالمدفن الذي انشىء اولا فوق الضريح كان بناء متواضعاً نسبياً، يربطه بالخارج ممر منحدر عرضه متر ويكفي لمرور ناووس المومياء فقط. لكن افتتان الفرعون المتزايد بفن البناء حداه على توسيع الهرم. فشيد مدفناً أوسع يسمى اليوم "غرفة الملكة"، ثم شيد مدفناً ثالثاً وسط الهرم هو اوسع من سابقيه يسمى "غرفة الملك" ويرتفع قرابة ٤٥ متراً فوق سطح الارض. وجعل للهرم مدخلا وحيداً يحجبه باب من حجر الكلس على مستوى الدرجة الثالثة عشرة من الجانب الشمالي بارتفاع ١٧ متراً فوق الارض.

هل دفن خوفو في هذا الهرم؟

في العالم ٨٤٠م، امر الخليفة

العباسي عبدالله المأمون بدخول الهرم الاكبر بحثاً عن مخطوطات علمية وفلكية ظن ان الهرم يحويها، اضافة الى "معادن غريبة مقاومة للصدأ" و"زجاج مطواع يلوى من دون أن ينكسر". ولما تعذر الاهتداء الى المدخل السري شق الباحثون نفقاً في الصخر. وبعد التقدم نحو ٣٠ متراً داخل الهرم، اكتشفوا الممر المتصل بالمدفن السري غير المتمم والذي شرع خوفو في بنائه تحت الارض. الا انهم لم يعثروا هناك الا على تراب وانقاض. واكتشفوا في الممر ذاته منفذاً مسدوداً بحجر الصوان، يؤدي الى ممر منحدر يتصل بغرفة الملكة ومن ثم بغرفة الملك. كذلك هم وجدوا غرفة الملك خالية الا من ناووس ضخم مكشوف وفارغ، مصنوع من الصوان المصقول.

وهذا امر يدعو الى العجب. فالكنز الذي جمعه الفرعون العظيم خوفو خلال ٢٣ سنة من الحكم المطلق يفترض ان يزيد اضعافاً على الكنز الهائل الذي تم العثور عليه في ضريح الفرعون توت عنخ آمون، وهو حاكم عادي توفي في التاسعة عشرة من عمره بعد حكم دام تسعة اعوام. كما يفترض ان يعثر على هذا الكنز بجانب جثمان الفرعون الذي فقد هو ايضاً. اذ ان المصريين القدماء اعتقدوا أن المرء لا يفيد من امواله الا اذا دفنت معه.

وفي العام ١٧٦٣ اكتشف ممر آخر هو دهليز عمودي طوله ٦٠ متراً يؤدي من غرفة الملك والرواق الكبير المجاور لها الى المدخل السري الخارجي، من غير ان يتقاطع مع الممر المسدود. ويبدو أن العمال حفروا هذا النفق من دون علم الفرعون خوفو حتى يتمكنوا من الهرب بعد سد الممر بصخور الصوان. ولا يستبعد ان يكون اللصوص تسللوا من خلال هذا الممر لسرقة النفائس داخل الضريح. لكن هذا لا يفسر عدم وجود الاباريق المليئة بالغذاء التي تم العثور على الآلاف من مثيلاتها في الاهرام الاخرى، بما فيها الاهرام التي سطا عليها اللصوص. كما لا يفسر بقاء الناووس الضخم مكشوفاً.

ان الاحتمال الاكثر اثارة هو ان خوفو لم يدفن قط في هذا المكان. فقد كان شائعاً ان يشيد الفراعنة لانفسهم مدافن عدة للتمويه. فمن المحتمل اذاً ان يكون خوفو وكنزه دفنا في ضريح عادي لم يعثر عليه حتى اليوم.

زورق القمر - هل هناك حجرات لم تكتشف بعد؟

ان هرم جوسر الكائن في منطقة سقارة يحوي كثيراً من الحجرات المتلاصقة القائمة تحت الارض. اما في هرم خوفو فلم يعثر الا على ثلاث حجرات وبعض الممرات.

وفي العام ١٩٦٦ زار المكان العالم الفيزيائي لويس الفاريز، الحائز جائزة نوبل والباحث في مختبر لورنس بيركلي في جامعة كاليفورنيا، ووضع جهازاً لقياس الاشعة الكونية في غرفة تقع تحت هرم مجاور بناه خفرع بن خوفو. وبعد تسجيل اتجاه الاشعة التي تخترق الصخور وتلقيمها دماغاً الكترونياً، امكن الحصول على صورة بالاشعة السينية (اشعة اكس) لداخل

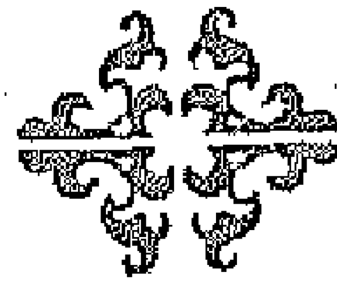
الهرم. والى الآن لم تكشف البحوث وجود حجرات محجوبة في الجزء الاعلى من البناء على الاقل. ولا تزال البحوث، مستمرة.

ويبذل علماء من معهد ستانفورد للبحوث في كاليفورنيا محاولات اخرى لاكتشاف موضع الحجرات السرية مستخدمين اجهزة خاصة بالصدى.

وكان اكتشف في العام ١٩٥٤ زورق مفكك من خشب الارز، يبلغ طوله حوالي ٤٥ متراً، مجهز بقمرة ولوازم مطلية بالذهب، وذلك تحت الرمال في الجهة الجنوبية من الهرم الاكبر. وقد وضع هذا المركب، بعد ترميمه، في المتحف القائم الى جانب الهرم. ويظن علماء الآثار انه "زورق الشمس" الذي كان خوفو يستخدمه في الطقوس الدينية. وبين علماء الآثار من يعتقد ان هناك زورقاً مشابهاً له، هو "زورق القمر"، مطموراً تحت الرمال في الجهة الشرقية من الهرم.

. "ولِمَ لعجلة؟" يسأل امين المتحف المصري: "لقد بقي هذا الزورق مطموراً طوال خمسة واربعين قرناً، فلا ضير اذا بقي مختفياً بضعة عقود اخرى. ومن يدري، فربما كان صاحبه لا يزال في حاجة اليه".

■ رونالد شيلر



حكمة مصرية

جاء في كتاب مصري عمره ٣٥٠٠ سنة: "لا تفتخر بمقدرتك على الشراب. فمان شرب ابريقين من الجعة يكفي لئلا تدرك ما تقوله أنت نفسك. واذا تعثرت فلن يهب أحد الى نجدتك، حتى الندماء. وسوف يقول هؤلاء: "فليذهب الى الجحيم هذا السكير المدمن"".

مجلة "العالم الجديد"، انكلترا

المهنة المقدسة

حضر صديق اجتماعاً صادف خلاله المعلمة التي لقنته مبادىء الفن في المدرسة الثانوية قبل عشرين سنة. وعرفها على نفسه قائلا انه، بفضلها، قرر متابعة الدراسة الجامعية، وانه اليوم رئيس دائرة الفنون الجميلة في احدى الجامعات المرموقة.

وبعد انتهاء الاجتماع صافحته قائلة: "أشكرك على اطراء تعليمي أمام هذا الحشد. لقد جعلت يومي سعيداً".

فأجاب: "بل أنا أشكرك لانك جعلت حياتي كلها سعيدة".

تحطمت الطائرة فوق غابة صنوبر كثيفة ،
لكن الطيار صمد اربعة عشر يوماً
قبل العثور عليه ... حياً

معجزة طيّار في جوف الأدغال



بدا الصوت كما لو ان أحداً يضرب مؤخر الطائرة المروحية بمطرقة. وأخذت الطائرة الصغيرة ذات اللونين الابيض والبرتقالي تضطرب وتدور في الهواء. وأدرك الطيار ولتر بيتس انه على وشك الاصطدام بالارض.

حدث ذلك فوق غابة من أشجار الصنوبر تغطي الارض السبخة على مد النظر شمال شرق مقاطعة كولومبيا البريطانية في كندا. وأبصر بيتس أرضاً مقطوعة الشجر تكفي للهبوط المفاجيء. غير أن الطائرة كانت تهبط بسرعة فائقة لم يستطع معها السيطرة عليها. وفي سرعة فائقة اتخذ قراراً بالتحليق فوق الاشجار ليكون الاصطدام اخف وطأة. ثم رفع الطائرة الى أقصى علو ممكن لوقف اندفاعها.

ووجد نفسه فوق رؤوس الاشجار. وللحال أخذت الطائرة تسقط وسط الغابة. وصرخ ولتر بأعلى صوته: "ساعدني يا الله!" واستجمع قواه لمواجهة القدر. وأسلم نفسه لكابوس من القرقعة والضربات الشديدة والاضطراب. وراح مزلاجا الطائرة يقطعان الشجر واخترق احد الاغصان زجاج الطائرة وضرب جانب ولتر، ثم انحرف الى خده الايسر.

واقتلع باب الطائرة الايمن وهوى، فيما اندلعت النار في الحطام. وفك ولتر حزام الامان واندفع يميناً عبر غمامة حمراء. ونظر الى الوراء ليرى طائرته وقد استحالت جحيماً. وخشي ان يؤدي ذلك الى انفجارها، فقرر الابتعاد عنها. وأخذ يزحف مذعوراً فوق ارض زلقة اختلط فيها الطحلب والماء والصلصال. وما أن ابتعد قليلا عن طائرته حتى خارت قواه. واندفع الى حفرة صغيرة ملأى بالماء القذر. واستلقى ينظر الى طائرته وهي تحترق، غافلا عن برودة الماء الشديدة. ولم يلبث ان أغمي عليه.

حب المغامرة – ولتر بيتس رجل مغامر، طوله ١٧٥ سنتيمتراً ووزنه ٧٠ كيلوغراماً. وهو جمع مالا وفيراً من عمله في حقل العقارات في ولاية تكساس كي يتمكن من التفرغ لاحقاً للحياة التي يطمح اليها حقاً، ألا وهي المغامرة. وكان عمل قليلا مع البحرية في المحيط الهادىء وتدرب على الطيران خلال ١٢ سنة في الشمال، دارساً أساليب مواجهة الاخطار، وأمضى سنة كاملة وحده في الاسكا. وهو الآن في الخامسة والخمسين. وقد صرف فصل الصيف في التنقيب عن الذهب قرب نهر كاسكوكويم في ألاسكا.

وغادر ولتر بلدة فورت نلسون في كولومبيا البريطانية صباح ذلك الاحد الواقع فيه الثاني من سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩، على أمل ان يبلغ تكساس بعد أربعة أيام بطائرته المروحية. وكانت زوجته تريسي تنتظره هناك مع ابنتيهما سوزان وشارولين وابنيهما جاي وغريغوري. ولقد اختبر ولتر بيتس قبلا بعض الاخطار التي تنطوي عليها حياة المغامرة، لكنه الآن كان أقرب الى الموت من أي وقت مضى.

وعندما استعاد بيتس وعيه، كانت طائرته تحولت كتلة من الحديد المصهور. وحاول النهوض على قدميه وهو يرتجف، فوجد انه لن يقوى على ذلك. فالالم في ظهره وصدره كان مبرحاً. ولاحظ أن بعضاً من أضلاعه

كُسر، وعرف في ما بعد أنّ فقرة من ظهره سُحقت أيضاً. وسال الدم من جروح وجهه الى عينيه، مغشياً بصره. وشعر بأنه يغرق وسط بحر من الظلام. وأخذ يجرّ نفسه وهو يقول: "أهذا ما صارَت اليه حالك يا ولتر بيتس؟"

وأمضى ليلته الاولى مضطجعاً فوق مياه المستنقع الباردة وهو في شبه غيبوبة. ولم يستطع الحركة الا زحفاً على يديه وركبتيه. وحاول مراراً أن يقف بالارتكاز الى شجرة. لكن محاولاته كلها اخفقت.

وسط الرماد - في الصباح التالي تمكن ولتر من الزحف الى حطام الطائرة. وصح ما توقعه من أن تكون الاجهزة في مؤخّر الطائرة سقطت وأدت الى اختلال توازنها. ومرر أصابعه بين الرماد، فوجد علبة خوخ مجفّف أصبحت كتلة من الفحم. لكنه حملها وكانت زاده في اليومين التاليين، اذ اقتات على نواها. ثم عثر بين الرّماد على سكينه اليدوية. ووجد آلة التصوير محترقة، ولم يبقَ منها سوى عدسة. فأخذها علها تفيده في اشعال النار في الطحلب المجفّف. أما آلة كشف المعادن فقد صهرها الحريق، كذلك جهاز الارسال.

لكنّ أهم ما عثر عليه كان علبة العدة، وهي تحوي منشار معادن واسلاكاً. وبين الاشياء التي لم يأتِ عليها الحريق وعاء حمله من مدينةَ مهجورة في ألاسكا وقرر استعماله للاحتفاظ بماء المطر. وكان في جيبه علبة حلوى صغيرة وعلبة اخرى فيها سبعة عيدان ثقاب. والاهمّ من هذا كله أنّ حذاءه الثقيل وسترته سلما من الحريق.

وكان اهتمام ولتر الرئيسي منصباً على أضلاعه المكسورة. فالحركة من شأنها تمزيق رئتيه. لذلك قطع بسكينه شرائح رقيقة من خشب الصنوبر ولفها معاً وشدها بالاسلاك على هيئة حزام واق وضعه حول وسطه عله يحفظ أضلاعه في مكانها.

وكان ولتر، على الدوام، يفخر بقوة ارادته. لكنه عرف الآن ان الارادة وحدها لن تنقذه. وأخذ يصلي كي يهتدي رجال الانقاذ الى مكانه. وصلى بحرارة كي يمنحه الله القوة.

وكانت طائرته المروحية سقطت وسط الغابة الكثيفة، بحيث لم يعد في استطاعة طيار الانقاذ ان يبصره الا اذا حلق فوقه مباشرة ولاحظ حطام الطائرة. ولم يتجاوز نطاق رؤيته هو الاثني عشر متراً في الجو الصاحي. ولكن اذا أمطرت السماء، فسيصبح الماء فراشه ولحافه. والزكام، كالحركة قد يكون فتاكاً.

ومرت الايام الثلاثة الاولى بلياليها على ولتر وهو بين الحلم والحقيقة. غير أنه لم يدع أفكاره تذهب أبعد من يوم واحد لئلا يقهره اليأس. وتبلل كله بالماء واخذت تنتابه القشعريرة.

مأوى وقوت - كان على ولتر أن يبني لنفسه ملاذاً أو يموت. وصورت له أفكاره أنّ باب الطائرة الايمن يمكن استعماله سطحاً واقياً. وهكذا جره زحفاً على يديه ورجليه الى مكان وجد فيه أربع جذعات لاشجار صنوبر مقطوعة ترتفع الواحدة منها نحو متر، وقد قطعها مزلاجا الطائرة عند سقوطها. فوضع الباب فوقها وراح يسدّ الفتحات بحطام الطائرة وأغصان الصنوبر التي اقتلعتها.

وجمع كمية من أعشاب المستنقع الطويلة كافية لصنع ما يشبه الفراش. ولكن ما أن اضطجع فوقها حتى وجد نفسه غارقاً في الماء. وتورمت قدماه وتيبستا على غرار المرض الذي يصيب أقدام الجند في الخنادق. وأمضى الايام التالية في الداخل، منتظراً زوال الالم. وكان في الليل يدلك جسده ورجليه وقدميه.

وتوقفت نوبات الصداع والتشنج الناتجة من الجوع بعد اليوم الثاني. وطاف ولتر بحثاً عن طعام يسدّ رمقه، فعثر على جنبات من التوت البري. وكان في تلك الجولات يجمع أخشاب الصنوبر لما سماه "رابية الامل". فهو كان مزمعاً على اشعال النار فيها بعد توقّف المطر لكي يهدي فرقة الانقاذ الى مكانه.

وفي اليوم الرابع قرر ولتر ازاحة ذيل الطائرة الى أرض مقطوعة الشجر تبعد عنه ستة أمتار، على أمل أن تراها بعثة الانقاذ. وبعد صراع دام ساعة، لم يتزحزح مؤخّر الطائرة من مكانه. فاستسلم ولتر للامر الواقع، وزحف الى مأواه حيث غط في نوم عميق.

وأفاق منتعشاً صباح اليوم التالي ودبّ الى الخارج بحثاً عن ثمار التوت البري. وأوقفه حفيف أجنحة، فنظر ليرى طائراً أسود كبيراً جاثماً في شجرة قريبة. وقال له الطائر بوضوح: "تكلم! تكلم!".

وحدق ولتر الى الشجرة وهو لا يصدق ما يرى ويسمع. وقال لنفسه: "اذا كان صحيحاً ما أسمع، فلأكلمه لارى ما يحصل".

وقال له ولتر: "حسناً، أنت تتكلم أولا".

وللحال أجاب الطائر: "بيت بيكل. بيت بيكل". ثم طار بعيداً.

وقال ولتر في سريرته: "هوذا رجل يلقيه حادث وسط غابة صنوبر، ويجد نفسه جريحاً بلا قوت وليس له موضع يسند اليه ظهره. ويزحف على يديه ورجليه فوق أرض سبخة، فيأتي طائر ويبدأ مخاطبته، متفوهاً باسم النائب الذي يمثله... أهذا ممكن يا ولتر ييتس؟ انك تهذْي".

الدبّ الاسود — قبل ساعة من حلول الظلام مساء اليوم الخامس، سمع ولتر حركة عبر الاجمة. ونظر ليرى دباً أسود ضخماً يتكىء على عجزه، بعيداً عنه مسافة تسعة أمتار فقط. وكان ولتر أنقذ بعض رقائق الالمنيوم من الحريق وأبقاها معه فأخذ يطرقها بعضاً على بعض ويصيح. الا أن الدب لم يهرب، بل نهض على قوائمه الاربع وتقدم منه. لقد كان ضخماً حقاً. وأخذ يبرز اسنانه ويحدث صوتاً خفيضاً.

وراح ولتر يصلي دونما انقطاع الى أن وقف الدب على قوائمه الاربع ودار مراراً حول الكوخ، ثم غاب عن البصر... تراه ينتظر حلول الظلام ليشنّ هجومه؟ تلك كانت أطول ليلة عاشها ولتر حتى ذلك الوقت.

في اليوم التاسع وجد ولتر ضفدعة بين الطحلب. واستعمل أحد عيدان الثقاب السبعة ليشعل ناراً يشوي بها الضفدعة عشاء له.

وكان البرد يزداد ليلة بعد ليلة. وعزم ولتر على بناء موقد بقطع المعدن التي جمعها من الركام. فصنع من هذه القطع صندوقاً ربط أجزاءه بالاسلاك، وأضاف اليها أحد أنابيب

لمحرّك كمدخنة. وكان يقتر في اشعال عيدان الثقاب، ولا يوقد النار الا في الليلة الشديدة البرد.

وتوقف المطر عن الهطول عصر اليوم السابع. وصرخ ولتر: "يا الهي! لا تدع المطر يسقط مرة اخرى. فالصحو أملي الوحيد الآن". وفي وقت متقدم عصر اليوم التالي سمع هدير طائرة. فصاح مبتهجاً وهرع لاشعال النار. لكن الطائرة ظلت بعيدة عنه مسافة نصف كيلومتر، حيث حومت مرتين ثمّ اختفت. وظناً منه أن فرقة الانقاذ ستستأنف البحث صباح اليوم التالي، قرر أشعال النار في ساعة مبكرة ليكون دخانها اشارة.

وعند الفجر نزع الحزام عن خصره واستخدمه وقوداً. ولم يكن لديه سوى ثلاثة عيدان ثقاب. وظل يغذي النار حتى أصبحت أكبر حريق رآه بعد الحادث. وجلس ينتظر الطائرة حتى اذا مرت كانت شمس الصباح في أوجها. وأسرع الى وضع الطحلب والاغصان الرطبة فوق النار لتوليد الدخان. وللحال صعد عمود أسود الى السماء مخترقاً الاشجار. غير أنّ الريح القوية صدت الدخان وأعادته الى أسفل.

وحلقت الطائرة فوقه مرتين من غير ان يبصره أحد. ولم يصدق ولتر ذلك. فهذا يومه التاسع هناك، وفرقة الانقاذ حلقت فوقه اربع مرات. فهل يعني هذا انقطاع الامل في عودتها؟ وهوى فجأة الى الارض وأخذ يبكي. وصلى بصوت عال: "يا إلهي! لا أستطيع أن أصبر أكثر مما فعلت. أرجوك أن تمنحني القوة".

وغمر كيانه سلام غريب تأكد انه علامة خير. وراح يدبّ في اتجاه مؤخّر الطائرة. وقال لنفسه: "لقد حاولتُ هذا الامر قبل الآن وأخفقت. وأنا اليوم أضعف خمس مرات مما كنت قبل خمسة أيام. لكنني سأتيح لهم هذه المرة أن يبصروا شيئاً".

قوة متجددة — حين بلغ ولتر مؤخّر الطائرة، انتزع الاسلاك الناتئة منه وزحف قليلا وراءه. واضطجع على ظهره وأمسك بيديه ذلك الجزء من طائرته الذي يزن ٩٠ كيلوغراماً وأخذ يسحبه نحو الخلاء المقطوع الشجر. وكان يسحب بضعة سنتيمترات، ثم يستريح قليلا على جذع شجرة. وفي غياب الحزام، كان يشعر بألم مبرح مع كل حركة عنيفة. وكانت أضلاعه بدأت تبرأ، لكنها عادت توجعه الآن. غير أنه شعر بقوة متجددة داخله لم يدرك مصدرها. فهو الآن يحقق أمراً ظنه مستحيلا.

وما لبث ذيل الطائرة أن علق بين خمس أشجار يراوح قطر الواحدة منها بين عشرة سنتيمترات و١٣ سنتيمتراً. فأحضر منشار المعادن وراح يقصّ حتى أتى عليها جميعاً. وبعد ذلك تابع طريقه. ولدى حلول الظلام، زحف الى كوخه واسترسل في الصلاة. وبعد يومين من العمل المضني، امكنه جرّ ذيل الطائرة مسافة ١٢ متراً.

وخيّل الى ولتر، عصر اليوم الثالث عشر، أنه يسمع هدير طائرة. فجمع بعض الطحلب الجافّ والاغصان الصغيرة. ولم يكن لديه سوى عودي ثقاب، فأشعل واحداً لكنه انطفأ. واجتاحه القلق وهو ينظر الى العود الاخير. وقرر عدم استعماله الا بعد تأكّده من مرور الطائرة. وفكر في

استخدام العدسة التي بقيت من آلة التصوير. وعند توجيه أشعة الشمس عبر تلك الزجاجة الى الطحلب اليابس، اشتعلت النار فيه. وراح ولتر يذكيها طوال ساعة، لكن الطائرة لم تمر".

وفي اليوم الرابع عشر شعر بتعب شديد وتيبّس في عضلاته، بات يتحرك معهما بمشقة. وأمضى جزءاً من النهار يعدل وصيته ويكتب رسائل الى زوجته وأولاده، مستعيداً ذكرياته السعيدة مع كل منهم. وحفر على لوحة المنيوم عبارة "ضحية اصطدام طائرة" بأحرف كبيرة.

"**لقد أُنقِذت**" - في الساعة العاشرة سمع ولتر صوتاً خفيفاً لمحرّك طائرة، فأسرع خارجاً ليصل في اللحظة الاخيرة وهي تحلق مباشرة فوقه. ووصل الى الخلاء الذي وضع فوقه ذيل الطائرة بسرعة مذهلة. وبنشاط متجدد، وللمرة الاولى خلال ١٤ يوماً، رفع جسده الضعيف وأسنده الى جذع شجرة. وتناهى اليه صوت الطائرة مرة اخرى، فقال في نفسه: "انهم عائدون! لقد شاهدوني أخيراً". وأخذ يصيح بأعلى صوته: "لقد أنقذت! أشكرك يا ألله، لقد أُنقِذت". ورفع قطعة معدنية براقة ولوّح بها عندما أصبحت الطائرة على علو منخفض فوقه تماماً. وصرخ: "اني حيّ! انا حيّ... أرجوكم ألا تبتعدوا". وخفضت الطائرة جناحيها، اشارة الى أنّ الطيار رآه.

وانهمرت الدموع من عيني ولتر. وغدت ركبتاه كقطعتي مطاط. وبعد ربع ساعة حلقت فوقه طائرة انقاذ مروحية، تدلى منها خبير الانقاذ ستيف غليدهيل بواسطة حبل غليظ. وسأله: "هل أنت ولتر بيتس؟".

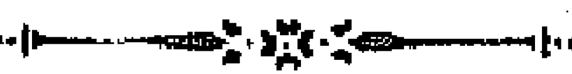
وبدا صوت ولتر غريباً وهو يجيب: "نعم، يا إلهي! نعم". ورُفع الى الطائرة التي نقلته الى المستشفى.

وبعد اجراء فحوص شاملة وتصوير دقيق بالاشعة، أصدر الاطباء تقريراً عن حاله جاء فيه أنّ الفقرة الثانية عشرة في ظهره مكسورة، كذلك ثمانية من أضلاعه. وهو مصاب بتورم وتيبّس في قدميه، لكنهما قابلتان للشفاء بنسبة ٩٠ في المئة.

اما زوجة ولتر، التي لم تستسلم قطّ لليأس طوال تلك الفترة، وابنه جاي، فقط طارا اليه ورفعا معنوياته خلال الايام الثمانية التي قضاها في المستشفى. وفي وقت لاحق، أطلعته فرقة الانقاذ على تقريرها حول ذلك اليوم المشهود الذي تمّ انقاذه فيه: "الطقس رديء في منطقة فورت سان جون. لكنه، لسبب غامض، جلي جداً الى الشمال".

وحين قرأه ولتر، وضع ثلاثة خطوط تحت عبارة "غامض".

■ جو اوستل سمول



كما تبدأ تنتهي

لا يهمّ ماذا ينتظرنا في العالم الآخر اذا لم نهتمّ بما حققناه أو كان يمكننا تحقيقه في هذا العالم.

ا م.

الثمانينات الالكترونية!

هاتف بصري،
كتب فورية
وتلفزيونات في المعصم!
ترقب هذه وغيرها في العقد الحالي

١٩٨١

● نصوص مسجلة على فيديو يبدأ بثها كخدمة تجارية على شاشات التلفزيون الامريكي. وهي تنطوي على صور ساكنة ومعلومات مطبوعة. وهنا يطرح نظامان: احدهما يسمى "تليتكست" ويرسل مقادير محدودة من المعلومات على شاشة التلفزيون، والآخر يدعى "فيوداتا" ويستخدم خطوط الهاتف لنقل معلومات اكثر تنوعاً.

● يبدأ الفرنسيون احلال الدماغ الالكتروني محل ادلة الهاتف المطبوعة.

● توافق لجنة المواصلات الاتحادية الامريكية على اقتراح قدم اليها في العام ١٩٨٠ ويسمح بالبث السيتريوفوني في المحطات التي تعتمد الموجة المتوسطة. كذلك توافق اللجنة على اذاعة تلفزيونية عبر قناتين صوتيتين للستيريو او للبث الثنائي اللغة.

١٩٨٢

● ان زيادة استعمال الادمغة الالكترونية والشبكات الرابطة بينها تشكل منافسة قوية لخدمات البريد في الولايات المتحدة، لان هذه الاجهزة الحديثة ستسمح لملايين الناس ببث رسائلهم الكترونياً بدلا من اللجوء الى البريد. وسيؤدي هذا الوضع الى زيادة الرسوم البريدية تعويضاً للدخل الفائت.

● ينزل الى السوق اول جهاز تلفزيوني مسطح. فيكون صغير الحجم، غالي الثمن، يبث بالاسود والابيض، ويمكن تعليقه على الحائط.

● تبدأ محطات التلفزيون البث الستيريوفوني والبث الثنائي اللغة.

● تزود المنازل بأجهزة متطورة تستجيب لاشارات ترسل من الداخل، بحيث يتحكم المرء بهذه الاجهزة من اي مكان في المنزل.

١٩٨٣

● تغيب الكتب المراجع من السوق، وتحل مكانها تدريجاً بنوك معلومات تتصل بادمغة الكترونية منزلية في مقابل رسوم زهيدة.

● تنتشر شبكات "تلفزيون الكابل" التي تبث في الاتجاهين، ويغدو في وسع المشاهد مثلا المشاركة في استطلاعات الرأي العام وانتقاء برامج وأفلام معينة من لوائح تعرض عليه، كما يستطيع شراء السلع التي تظهر في الاعلانات التلفزيونية وطلب النجدة في الاحوال الطارئة. ويجري ذلك كله بواسطة الكابل.

١٩٨٤

● يباشر استعمال الهاتف البصري. ولقد ادى بعض الاحراجات المزعجة الى ادخال تعديلات جذرية على هذا الاختراع، بحيث بات تشغيل الكاميرا والشاشة في يد المتكلم بدلا من ان يعملا تلقائياً بمجرد فتح الخط. وفي ضوء هذه التعديلات لن يحتاج المتكلم الى ترتيب هندامه لاجراء مخابرة هاتفية، كما سيفوت الخلاعيين ازعاج الناس بتصرفاتهم.

● ينزل الى السوق اول تلفزيون ملون ذي صمام مسطح. فيكون صغير الحجم وباهظ الثمن.

● لن تخزن المكتبات التجارية الا الكتب الاكثر رواجاً. اما الكتب التي يقل الطلب عليها فستتوافر على صفحات ميكروفيش "يطبعها" دماغ الكتروني في المكتبة عند الطلب.

● تصبح ممارسة الالعاب بواسطة شبكة ادمغة الكترونية هوساً يسيطر على الناس كافة. فاللاعبون في انحاء البلاد سيتنافسون فكرياً في العاب سريعة تنتهي في دقائق والعاب طويلة تستمر اياماً او اسابيع.

● يزداد عدد قنوات تلفزيون الكابل المتخصصة، ويصبح في وسع المشاهد ادارة جهاز التلفزيون على قنوات لا تقدم سوى الاخبار او الكوميديا او افلام الكاوبوي او الرياضة.

١٩٨٥

● سيرتبط ناسخو الصور بانظمة فيديو بيتية، فيقدمون الى زبائنهم نسخاً فورية مطبوعة عن الصحف ووسائل الاعلام الاخرى. وفي وسع المشاهدين القاء نظرة سريعة على العناوين الرئيسية في هذه المطبوعات وطلب نسخ عن التحقيقات والاخبار التي تهمهم. وستفهرس المواد الاعلامية المتاحة حسب الاولويات التي يحددها

المشاهد، فتحل الرياضة اولا واخبار البورصة أخيراً، على سبيل المثال.

● سيستمر تزويد الادوات المنزلية بازرار التحكم، الا انها ستستجيب كلها تقريباً للتعليمات الصوتية.

● ان التكاليف الباهظة للنقليات ستؤدي الى نشوء ما اصطلح على تسميته "مكاتب موزعة" وهذا يعني ان الموظفين يلازمون بيوتهم تاركين للادمغة الالكترونية المنزلية مهمة الاتصال في ما بينهم.

● شاشات التلفزيون الملون المسطحة تتسع وينخفض سعرها ويزداد انتشارها.

١٩٨٦

● المكتبات التجارية تبدأ طبع "كتب فورية" على ورق معاد استعماله، فضلا عن ميكروفيش فوري. وسيكون في وسع الشاري انتقاء الحرف الذي يناسبه، فيختار حرفاً كبيراً تسهل قراءته او حرفاً صغيراً يقلل من حجم الكتاب.

● شاشات التلفزيون تكبر باطراد لتصبح في حجم الحائط، فتغدو اشبه بشاشات السينما.

١٩٨٧

● ان الانظمة الموسيقية العالية الاداء (الهاي فاي) الموصولة بشبكات معلوماتية الكترونية ستستهوي عشاق الموسيقى. فما عليك اذاً الا ان تصفر لحناً فيلتقطه الجهاز ويسمعك تسجيلا كاملا له.

● مولدات لبث الاضواء تسلط اشكالا ثابتة او متحركة على شاشات تلفزيونية بحجم الحائط في ما يشبه ورق الجدران.

١٩٨٨

● ينزل الى الاسواق فيديو الاداء العالي، في اعقاب سنوات الاحتجاج على الصور الرديئة التي تضم ٥٢٥ خطاً وتبث على شاشات في حجم الحائط. ان الجهاز الجديد يستخدم كتلا متعددة من قنوات تلفزيون الكابل واجهزة موالفة واسقاط خاصة، فيستقبل صوراً مؤلفة من ٢١٠٠ خط.

● ينزل الى الاسواق "تلفزيون المعصم" ذو الشاشة المسطحة.

١٩٨٩

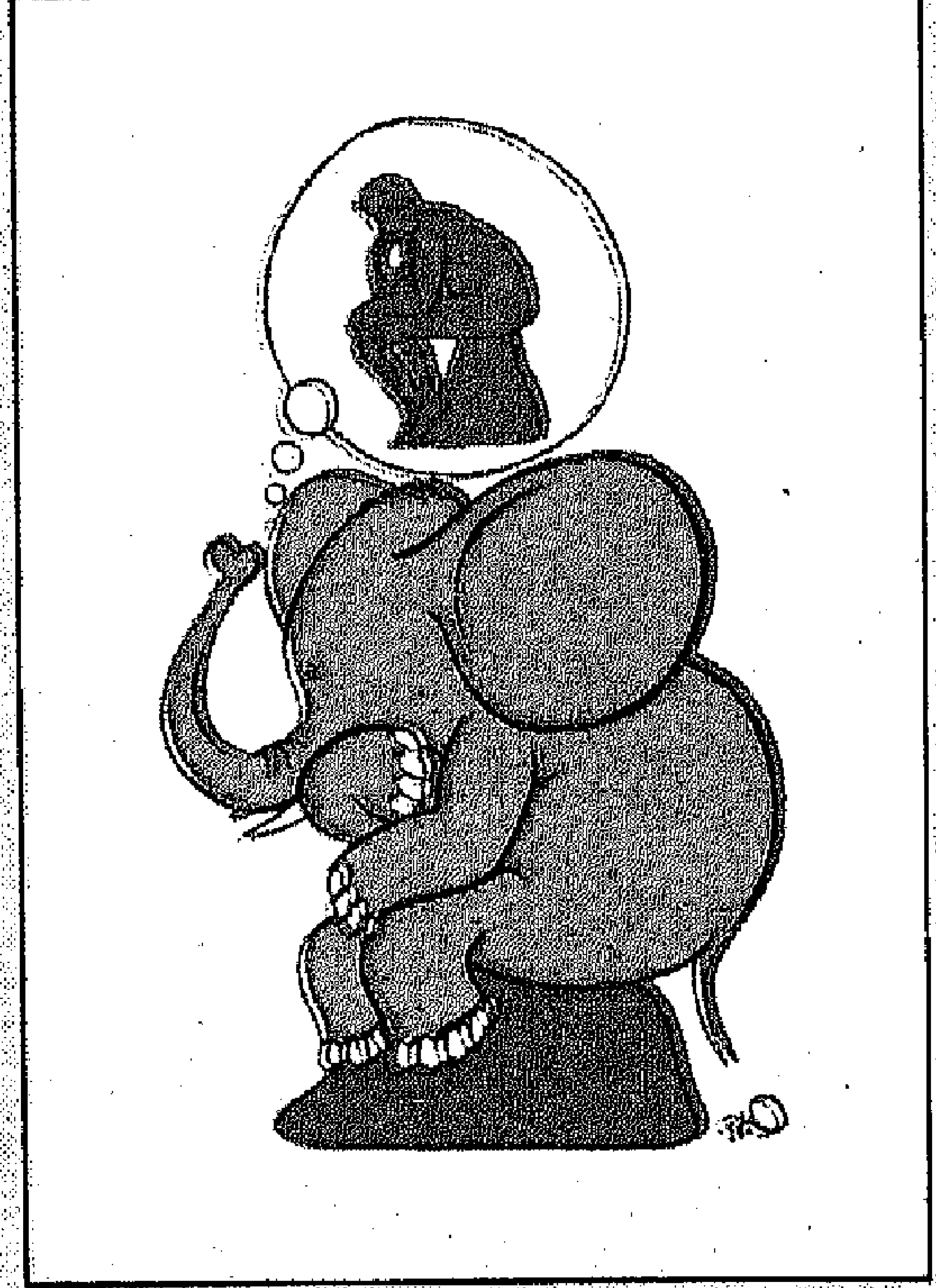
● المجهار (مكبر الصوت) سيتقاسم مساحة الحائط مع شاشات الفيديو المسطحة.

● سيصل الدماغ الالكتروني الى المطبخ. ولن يقتصر ذلك على بنك وصفات الطعام الذي طالما تكهن به العلماء، بل سيشمل كذلك جهازاً الكترونياً لاحصاء البقول التي تدخل رفوف المطبخ او تغادرها وهو سيجري جردات ويقترح قوائم طعام على أساس الاغذية الموجودة في المنزل وأفضليات الحميات الغذائية وأسعار الاغذية.

● سينزل الى الاسواق التلفزيون الهولوغرافي (ذو الابعاد الثلاثة).

■ ايفان برجيه

تأملات معاصرة



معاملة الاعداء

سألت امرأة متقدمة في السن ابرهام لينكولن: "كيف تستطيع التكلّم عن أعدائك في حين يجدر بك أن تحطمهم؟" فأجاب: "سيدتي، ألست احطمهم اذا جعلتهم أصدقائي؟"

كارل ساندبرغ

شرط الابداع

لا يمكن أن يحرك البخار والغاز شيئاً حتى يتمّ حصرهما. ولا يمكن تحويل شلال، وان يكن نياغرا بالذات، نوراً وطاقة قبل أن يحصر ضمن نفق. وهكذا الحياة، فهي لا تنمو ما لم تركز على شيء وتكرّس لشيء وتُنظم.

هـ.ف.

السّهو الخلاق

العقل اللاواعي موقد يعمل بلا نار، وفيه تنضج أفكارنا ونحن سادرون نضيع الوقت. لقد كان نيوتن يهدر الوقت عندما شاهد تفاحة تسقط، فاستمد منها فكرة الجاذبية. وكان غاليليو ساهياً حين رأى المصباح المتأرجح الذي أعطاه فكرة اعتماد الرقاص لقياس الوقت، وكان جيمس واط مسترخياً في المطبخ لدى مشاهدته البخار يرفع الغطاء عن وعاء الشاي، مما ولد لديه فكرة المحرّك البخاري.

وفي أحيان كثيرة تأتينا الافكار الخلاقة خلال ساعتين من التبطّل اكثر مما تأتي خلال ثماني ساعات على طاولة العمل.

و.ب.

الزمن والمدى

ان الكون آلة بسيطة لخلق الزمن، لا تنطوي على أيّ غرابة أو تعقيد، لكنها تعتمد المسافات الهائلة.

واذا حدقنا الى أعماق الفضاء فنحن انما نحدق الى أعماق الزمن اللامتناهية. ذلك ان ضوء النجوم، وان يكن يقطع مسافة ٣٠٠ ألف كليومتر في الثانية، لا يبلغ الارض الا بعد سنوات.

وما علماء الفلك سوى علماء آثار كونيين، يحفرون عبر خرائب عالم سابق. فنحن نرى النجم "الفا سنتوري" كما كان قبل أربع سنوات. ونرى مجرة "اندروميدا" كما كانت قبل أكثر من مليوني سنة. ان يومنا يرتع ضمن مليار أمس.

د.ل.

الادمغة الالكترونية

اننا نكاد نبلغ مرحلة يتعذر معها حلّ المسائل من دون أدمغة الكترونية. وأنا شخصياً لا أخشى الادمغة الالكترونية، بل أخشى تقصيرها.

اسحق عظيموف

دور النساء

لقد حان الوقت لنترك السؤال حول دور النساء في المجتمع لامنا الطبيعة، وهي سيدة جليلة لا يمكن خداعها. وما علينا الا اعطاء الرجال والنساء فرصاً متساوية لنرى، بعد وقت قصير، ما هو في طاقتهن وما هو خارجها. فالذي هو ضمن طاقتهن سيفعلْنه، ولن يمكن الرجال وقفهن عن ذلك.
لكنّ الرجال سيرون أيضاً، كما سترى النساء، أنّ ما هو خارج طاقتهنّ لن يفعلنه ولو أُعطين كلّ فرصة ممكنة لذلك، ولن يمكن الرجال حملهن على فعله.

كلير لوس

بين الهواية واللذة

أنا ضدّ جميع الهوايات. وقد بدأت عداوتي لها منذ وجدت ان ليس بين اعمالي ما يمكن ان يُعَدّ هواية. وفي الطلبات الكثيرة التي ملأتها حتى الآن، كان علي تحديد هواياتي. وأردت دائماً ان أكتب: "القراءة"، لكن القراءة ليست هواية.
اذا كان المرء يجمع الكتب، فهذه هواية. أما اذا كان يقرأها فعلا فذلك ليس هواية.
كما ان مراقبة الفراش في الحقول ليست هواية. لكن قتلها بالدبابيس لوضعها ضمن اطار يُعَدّ هواية.

ر.ك، صحيفة "واشنطن بوست"

"تسبيع الكارات"

على كلّ فرد أن يتمكن من هذه الامور جميعاً: تغيير اقمطة طفل، تصميم غزو عسكري، ذبح حمل، توجيه دفة سفينة، هندسة بناية، كتابة اغنية، ضبط حسابات، بناء جدار، تجبير عظمة مكسورة، مواساة ذوي مفقود، أخذ اوامر، اعطاء اوامر، تعاون، عمل منفرد، رشّ سماد، حلّ معادلات، تحليل مسألة جديدة، برمجة دماغ الكتروني، طبخ وقعة لذيذة، محاربة باسلة، موت فروسي.
فالاختصاص من شأن الحشرات!

روبرت هاينلين، "مذكرات لازاروس لونغ"

ازرع سعادتك

قال احد خبراء الحدائق: "اذا شئت ان تكون سعيداً لمدة ساعة واحدة فعليك بالسكْر. وإن أردت ان تطول سعادتك يومين في الاسبوع، فتزوج. واذا شئت لها ان تدوم الاسبوع كله، فانحر خروفك وكله. أما اذا نشدت السعادة مدى الحياة، فما عليك الا أن تزرع حديقة".

ا.ك. "النيويورك تايمس"

عندما ينطق الجماد

قالت الروائية الكندية مارغريت آتوود انها تفعل ما يفعله أي روائي آخر: "فأنا أكتب عن أمكنة أعرفها. وهذا لا يختلف اطلاقاً عما فعله الروائي الامريكي وليم فوكنر أو سواه. وقد بقيت أظن ان فوكنر يمتاز بمخيلة رائعة وقدرة على الابتكار الى ان صادفت شخصاً من البلدة التي عاش فيها أخبرني الآتي: انه لم يخترع شيئاً من عنده، بل وصف ما رآه".

ا.ك.

ثمن السعادة

لا سعادة تأتي بلا ألم. اما الفرق بين السعادة الحقيقية والسعادة الزائفة فهو ان ثمن الاولى يدفع مقدماً، في حين يدفع ثمن الثانية بعد الحصول عليها.

كاتب مجهول

إلى الأم الحامل

امنحي طفلك أسناناً سليمة منذ الشهر الـ ٣

ان طب الاسنان الوقائي، اذا طبق، يؤدي الى جيل لا تعرف اسنانه التسوس

مع التطورات الجديدة التي طرأت على طب الاسنان الوقائي في السنوات الاخيرة، وصلنا الى نقطة يمكن عندها الوقاية تماماً من أمراض الاسنان عند الاطفال.

فاذا رغبت في تنشئة أطفال يتمتعون بأسنان قوية خالية من التسوس والحفر ولا يشوبها الم، ففي امكانك تحقيق ذلك.

وعلى رغم ان والدي كان طبيب أسنان وان زوجتي تلقت عناية طبية جيدة، فقد كان لنا مع تسوس الاسنان تاريخ مؤلم. ولذلك صممنا، قبل ولادة طفلنا الاول، على الاستعانة بأحدث منجزات "طب الاسنان الوقائي" وتطبيقها في دارنا. ونتيجة لذلك فان ولدينا جوناثان (١٥ سنة) وديفيد (١٣ سنة) لا يعانيان أياً من مشاكل الاسنان. فالاسنان المريضة لا تورث، وتسوس الاسنان لا يحدث بمحض المصادفة. وكان البرنامج الذي وضعناه لولدينا يعتمد العناية بصحة الفم وتوفير الغذاء المناسب واتباع عادات قويمة في ما يتعلق بغسل الاسنان وتنظيفها.

لنلق الآن نظرة على احدى الاسنان ونر كيف يحدث التسوس.

ان التاج، وهو الجزء المرئي من السن، مغطى بغلاف من المينا التي هي أصلب انسجة الجسم، واحدى أصلب المواد الطبيعية المعروفة. وميناء الاسنان تحمي الانسجة الحساسة في الجزء الداخلي من السن من الضغط الناتج من انطباق الاسنان والذي قد يبلغ ٩٠ كيلوغراماً، كما انها تقاوم الاحماض والخمائر (الانزيمات) وسواها من المواد المسببة للتآكل في الفم. ولكن، على نقيض العظم المكسور الذي يمكنه ان يلتئم، فان السن المصابة لا تشفى.

ويبدأ التسوس حين تأخذ البكتيريا، التي تتغذى بالكربوهيدرات (المواد السكرية والنشوية) داخل الفم، في افراز مادة لزجة، هي الغلوكان، تمتزج باللعاب وفضلات الطعام لتكوّن "غشاء القلح"، وهو طبقة لزجة تترسب على الاسنان وتتوالد عليها البكتيريا

(الجراثيم) وتتسبب الاحماض التي تحويها فضلات البكتيريا في تفتيت السن وتهييج اللثة.

وهناك عوامل عدة تساهم في تسوس الاسنان. ولا يصح التمهل في تطبيق طب الاسنان الوقائي، بل يجدر اتباعه قبل ولادة الطفل. فبعد ثلاثة أشهر من الحمل، تبدأ أسنان الجنين بالنمو وتتلقى الكالسيوم والفوسفات من دم الأم. ولكي تمنح الأم الحامل طفلها اسناناً سليمة، عليها ان تُثري غذاءها بالفيتامينات والمعادن في اشراف طبيبها. والطعام المتوازن المحتوي على الاغذية الاساسية الاربع - الحليب، اللحم والسمك، الفاكهة والخضر، الخبز الكامل - يمكنه ان يؤمن التغذية المطلوبة.

وعندما يولد الطفل، فثمة ثلاثة اوجه اساسية يمكن الوالدين ان يطبقوا فيها طب الاسنان الوقائي:

الرضاعة والمضغ - ان طريقة ارضاع الطفل تؤثر في تكوين عضلات وجهه وفكيه، مما يؤثر بدوره في شكل اسنانه. فاذا كان الطفل يرضع ثدي امه، فيجب ان يُحمل في وضع عمودي كي تعمل الجاذبية على عضلات فكيه في أفضل وجه. أما اذا كان الطفل يرضع من زجاجة، فيجب التأكد من ان حلمتها من النوع الذي لا يدع السوائل تتدفق بسهولة، فمن المفيد ان يحرك الطفل خديه ولسانه وفكيه. ولا يجوز اطلاقاً استعمال زجاجة الارضاع لاسكات الطفل، فالحليب او العصير الذي يغمر الاسنان على نحو متواصل قد يسبب تسوساً خطراً.

وعندما يمتص الطفل بقوة ويمضغ ويحرك فكيه، فهو يقوي العضلات التي تتحكم باستقامة الاسنان. وكثيراً ما تساعد "حلقات التسنين"(★) او الحلمات المطاطية في ذلك، فيحسن تشجيع الطفل على استعمالها حتى قبل ظهور السن الاولى. ولكن على الوالدين ايقاف عادة المص حين تبرز الاسنان الدائمة في الفم، لان استمرار هذه العادة يمكن ان يؤدي الى عواقب وخيمة.

ومن العادات السيئة التي قد تجعل تقويم الاسنان ضرورياً، عضّ الشفة والضغط باللسان على الاسنان. وكلما طالت العادة صعب ابطالها. وأول ما يجب عمله في هذا الصدد لفت الطفل الى العادة، اذ انها نمط غير ارادي للسلوك العضلي. وعندما يدرك الطفل ان لديه عادة يجب تجنبها، فعلى الوالدين ان يستعينا بالوسائل التي تنبهه الى ذلك، كاستخدام الادوات التي يعدها اطباء الاسنان او الصاق شريط على ابهامه او وضع جورب في يده قبل ذهابه الى النوم، وينتهي معظم الاطفال عادة الى استيعاب الفكرة.

التنظيف والحماية - ذات يوم سينظر طفلك اليك ويبتسم، فتلمحين في ثغره سنّين جديدتين تومضان كاللؤلؤ. هاتان هما سنا الحليب، وهما طليعة الاسنان التي تبدأ الظهور بين الشهر السادس والشهر الثامن. ويظن كثير من الناس ان تلك الاسنان غير مهمة اذ انها ستسقط على اي حال بين السن الخامسة والسن الثالثة

(★) حلقات من مطاط يعض عليها الطفل.

عشرة. والواقع، ان هذه الاسنان تستحق ان تسمى "أسنان الاساس". فهي تساعد على الهضم الجيد وتؤمن مكاناً للاسنان الدائمة وتشق لها الطريق... كما يمكنها ان تنقل اليها التسوس. ففقدانها او اهمالها يؤدي الى مشاكل كثيرة.

ويمكن ان يبدأ تسوس اسنان الحليب منذ الشهر الثامن. وليس بالامر الغريب ان يبدأ التسوس في السنة الثانية. وأسباب ذلك متعددة، فربما يكون الوالدان اعتادا ترك الطفل ساعات طويلة مع زجاجة حليب او عصير، او درجا على اعطائه حلمة اسكات مغموسة بمادة حلوة المذاق، او اهملا تنظيف اسنانه.

واذا استمر طفلك في استعمال زجاجة ارضاع بعد ظهور أسنانه، فليكن ذلك لفترات قصيرة، وهو جالس باعتدال. واذا استخدمت الزجاجة لاسكات الطفل، فلتكن معبأة بالماء لانه غير مؤذ للاسنان. واذا كان الماء في البلد الذي تعيش فيه يحتوي على الفلور، فسيستفيد الطفل من هذه المادة الحيوية طوال حياته. والطفل الذي يشرب الماء المحتوي على الفلور منذ طفولته وحتى السن الثانية عشرة او الثالثة عشرة سيتمتع بأسنان قوية طوال حياته. فالمينا التي تغطيها تغدو أكثر مقاومة للاحماض التي تسبب التسوس.

واذا كان ماء الشرب لا يحتوي على الفلور، فيمكن لطبيب الاسنان ان يصف بعض المعوضات المحتوية على الفلور باكراً بعد الولادة. وحين يبلغ الطفل السن الثالثة، تحسن معالجة أسنانه بمحلول يحتوي على الفلور خلال الفحوص الدورية لدى طبيب الاسنان.

ويجب ان يبدأ التنظيف الدقيق للفم عند ظهور الاسنان، فالبكتيريا تتجمع على الاسنان البازغة وعلى الطبقة العليا من اللثة (ما يسمى "وسادة اللثة"). فبعد غسل اليدين جيداً، خذي قطعة من الشاش الطبي بين الابهام والسبابة وامسحي لثة الطفل بعناية، وذلك بعد الافطار وبعد الوجبة الاخيرة في المساء.

نظفي الاسنان البارزة بالطريقة نفسها التي نظفت بها "وسادة اللثة"، من الامام ومن الخلف. وعند ظهور الاضراس يمكنك استخدام فرشاة أسنان صغيرة ذات شعيرات ناعمة. وعندما يبلغ الطفل سنته الثانية يمكنه ان يتمرن على استعمال الفرشاة بنفسه، علماً انه لن يؤدي ذلك على نحو مرض قبل بلوغه السابعة.

الغذاء المناسب – اذا اهملت بعض القواعد المتعلقة بصحة الفم، فيمكنك مكافحة التسوس عن طريق تنظيم ما يأكله طفلك. فالحلوى والسكاكر والمرطبات تؤدي فوراً الى تكون الاحماض على أثر عملية الهضم التي تبدأ في الفم. أن اقوى الاسنان وامتنها تأخذ في التسوس كأضعفها اذا علقت بها بقايا الاطعمة السكرية مدة طويلة. واذا كان لا بدّ لك او لطفلك من تناول الحلوى، فتأكدي من تنظيف الاسنان بعد ذلك او من غسل الفم جيداً بالماء على الاقل.

وفي ما يأتي قائمة بالوجبات الخفيفة التي تؤدي الى تلفة الاسنان: الحليب المركز، المرطبات،

المشروبات المحلاة التي تحمل نكهة الفاكهة، الخبز الابيض، المعجنات، الكعك، المربيات، السبوظة (الجيلاتي)، السكاكر، اللبان (العلكة)، الزبيب وسواه من الفاكهة المجففة.

ولحسن الحظ، فان تناول هذه المأكولات ليس حاجة حيوية للجسم، بل هو مجرد عادة. فاذا استعاض طفلك عنها بالوجبات المحتوية على القليل من السكر او الخالية منه، فستقل رغبته فيها. وهاك بعض انواع الاطعمة المفضلة لدي: البيض المسلوق جيداً، الفاكهة الطازجة، الجبن، الخيار، الكرفس، الفجل، الفشار (بوبكورن)، عصير الفاكهة الطازجة، اللبن غير المحلى والحساء. وهناك الى ذلك اطعمة مغذية لكنها تلصق بالاسنان، كاللوزيات والبطاطا المقلية. فيجب تنظيف الاسنان بعد اكلها مباشرة.

وفي هولندا قانون ينقل التلفزيون بموجبه رسالة غير مباشرة الى المشاهدين. فمع كل اعلان عن الحلوى، تظهر على الشاشة صورة فرشاة ومعجون اسنان. والهدف من ذلك ربط فكرة تنظيف الاسنان بأكل الحلوى.

ويمكنك القيام بعمل مشابه اذا نبهت طفلك تكراراً: اذا اكلت السكاكر والحلويات فعليك ان تترك كل شيء وتنظف اسنانك. وكثيراً ما يجد ولداي ان الامر لا يستحق هذا العناء، فيبحثان عن جزرة يلتهمانها بدلا من قطعة حلوى.

ومن الناحية النظرية، يمكن طب الاسنان الوقائي، اذا طبقته بنفسك، ان يجنبك كلياً أمراض الاسنان. ولكن من الصعب ان يتقيد به المرء عملياً على نحو دائم. وغاية ما نأمل هو ان ننوّر اكبر عدد من الناس الى حسناته. اما ولدانا فانهما ينظفان اسنانهما مرتين في اليوم بمعجون اسناء يحتوي على الفلور، ويتغرغران بماء الفلور ويتجنبان الحلويات ما أمكن.

ويمكن طب الاسنان الوقائي ان يخدم عائلتك أنت أيضاً. كما ان التعاون بين الاهل وأطباء الاسنان يتيح خلق جيل لا تعرف اسنانه التسوس.

■ ستيفن موس

دكتور في طب الاسنان ورئيس قسم طب اسنان الاطفال في جامعة نيويورك، وهو يعمل مستشاراً لمكتب التعليم الصحي التابع للجمعية الامريكية لطب الاسنان.

الاقرار بالجميل

عندما كان زوجي طالب دراسات عليا في الجامعة، عُهد اليه تدريس علم الاحياء المجهرية في المختبر. وكان بين الاسئلة التي طرحها في أحد الامتحانات النهائية واحد يسأل الطلاب تسمية الكائن البكتيري المفضّل لديهم. وجاءت جميع الاجوبة عادية الى أن قرأ الجواب الآتي: "اني افضل المكوَّر العقدي على أي كائن مجهري آخر. فهو يؤدي الى تسوس الاسنان الذي، لولاه، لما تمكن والدي - وهو طبيب أسنان - من ارسالي الى هنا".

ه.غ.



أسعد زوجين

ليس الحب، بالضرورة،
يدين ناعمتين
وأنواراً باهتة
وموسيقى خفيفة.
انه يتجسد أحياناً في يدين
قاسيتين وجو تكتنفه المصاعب
وصمت أفصح من الكلام

كل أربعاء بعد العشاء، يركب لستر كلايكومب وزوجته ايفادين شاحنتهما ذات محرك الديزل، ويستهلان رحلة طويلة من منزلهما في بلدة دنكانزفيل من أعمال ولاية بنسلفانيا الامريكية الى بلدة هومستيد في ولاية فلوريدا. ويصلان صباح الجمعة، بعد أن يكونا توقفا على الطريق لتناول الطعام والنوم ساعات قليلة في سرير داخل الشاحنة. وبعد افراغ حمولتهما، يتوجهان الى وسط البلدة لشراء البطيخ والخس والبطاطا، يعودان بها لبيعها في منطقتهما التي يبلغانها ليلة السبت، بعد قطع مسافة ٤٠٠٠ كيلومتر ذهاباً واياباً.

وينتظر لستر صباح الاثنين الباكر ليتجه، عند الساعة السادسة، الى مرأب الشاحنة وراء البيت، ويتفحص اجزاءها لصيانتها. وفي الوقت نفسه، تتولى ايفادين غسل الثياب وأعمال المنزل. وعند العصر تنصرف الى أعمال الشركة، فتضع برامج الرحلات وتساوم شركات الشحن الاخرى وتدفع الفواتير وتحفظ دفاتر الحسابات. وفي أيام الثلثاء، ينطلق الزوجان الى بلدة يورك (بنسلفانيا) لنقل محاصيل محلية، ويعودان الى منزلهما قبيل الفجر بعد قطع مسافة ٥٠٠ كيلومتر. وما أن يأتي مساء الاربعاء حتى يباشرا رحلتهما المعتادة الى فلوريدا.

ويبلغ لستر كلايكومب السادسة والسبعين وزوجته السبعين. وقد مرت على زواجهما أربع وخمسون سنة، صرفا خمسين منها في مصلحة النقل البري عبر الولايات. وقصتهما لا تقتصر على عجوزين هرمين أرغمتهما الظروف على العمل من غير توقف أو راحة، انما هي قصة شخصين يعشقان عملهما ويعشق أحدهما الآخر.

ويبدو لستر نقيض ايفادين. فهي أطول منه وأضخم، اذ تزيده وزناً بأربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام. كما أنها تحب الحديث ورفقة الناس، في حين أن لستر قليل الكلام الى حد ان الناس يظنونه أبكم أحياناً. الا ان هذه الفوارق سطحية. واذا شئنا أن نقيم مقارنة حقيقية، لوجدنا أن لستر وايفادين متشابهان جداً في العمق.

العش الزوجي — انه مساء أربعاء من شهر يناير (كانون الثاني)، والزوجان على الطريق في اتجاه فلوريدا. هناك شعور بالراحة والطمأنينة في السيارة، وهو الشعور الذي تتميز به بداية كل رحلة. ويؤدي الزوجان واجباتهما المنزلية على أتم وجه قبل مباشرة الرحلة لتكون بدايتها ممتعة. وهكذا تستحيل الشاحنة عشهما الزوجي والمكان الذي يشعران فيه بالاسترخاء.

ويبدأ الثلج يتساقط وهما يتجهان الى الطريق الرئيسية ذات الرقم ٧٠. وتصطفق ماسحتا الماء على زجاج الشاحنة الامامي كآلتين موسيقيتين. وتشتعل لوحة القيادة بنور كهرماني (١) يضفي على السيارة جواً دافئاً. وهناك جهاز راديو يوجه تعليمات الى السائقين ويلتقط رسائلهم. ولكن من الصعب أن نتصور لستر متكلماً عبره. وكل ما ينطق به خلال ساعات لا يتجاوز التعليق الآتي: "آه، انه يحدث صوتاً".

اما ايفادين فهي أيضاً تلازم الصمت على الطريق. وتقول: "اذا كلمني لستر، فأنا أجيبه. لكني لا أزعجه بالكلام. وفي امكاننا قطع مسافة مئة ميل من غير أن نتفوه بكلمة واحدة. الا اني اراقب الطريق على الدوام. واذا صادف ان تثاقلت عينا العجوز من النعاس نحو الساعة الثانية فجراً، قلت له: حسناً، دعنا نقود السيارة الى جانب الطريق".

وفي الشاحنة سرير يطوى ويفتح فوق المقاعد. وهو ضيق، لكنه يتسع لاثنين. ويحتوي السرير على كيسين للنوم محشوين بريش الاوز الناعم ومخدتين من المطاط. وربما كان ذلك

(★) اصفر ضارب الى الحمرة.

المكان الاكثر انساً وأماناً بين جميع الامكنة التي تجمعهما، وهما يقضيان هناك لحظات محببة.

أولاد وشاحنات ـ بدأ عهد الصداقة في حياة لستر وايفادين يوم كان هو في الحادية والعشرين وهي في الخامسة عشرة. وهي تقول: "كان لستر من الصنف المهرج الذي يخلط الجد بالهزل، ولم يعرف والدي على أي محمل يأخذه".

وفي السنة اللاحقة تمّ زواجهما، في فبراير (شباط) ١٩٢٨. وبعد أربع سنوات ولدت طفلتهما الاولى آلثيا، وفي تلك السنة باشرا العمل في النقل البري.

وبدأ عملهما بشاحنة واحدة أضافا اليها سريراً من صنعهما. وكان لستر يدق المسامير وايفادين تمسك الخشب. وبما أن الشاحنة أطول من المرأب، كان عليهما ان يتركا باب المرأب مفتوحاً ليلفحهما الهواء الثلجي. ووظف لستر سائقاً للشاحنة، لكنه كاد أن يتلفها. فأعادها لستر وأصلحها، ثم قايضها باخرى أصغر منها.

وفي السنوات العشرين اللاحقة، ولد لايفادين ولستر ستة اولاد غير آلثيا. وفي رحلات كثيرة، كانت ايفادين تحمل معها ولداً واحداً على الاقل. وكانت، أحياناً اخرى، تبقى في المنزل بينما يأخذ لستر أحد الاولاد معه. وأحب ذكريات الطفولة لدى الابنة جودي، وهي اليوم في الرابعة والثلاثين، متعلقة بالايام التي أمضتها مع أبيها في الشاحنة. وكانت تقف على المقعد الى جانبه وتطوقه بذراعها وهو يقود السيارة.

شهدت تجارة آل كلايكومب أوج ازدهارها عام ١٩٤٨، يوم كان اسطولهما البري مؤلفاً من ١٤ شاحنة و١٩ قاطرة، يتولى قيادتها ١٤ سائقاً. وتقول ايفادين: "لقد شاهدنا من الايام حلوها ومرها. وبعد خمسين سنة من العمل المتواصل، أجد نفسي أحياناً متعبة وأتمنى لو لم نعش هذه الحياة الوضيعة. غير أننا لم نختبر شيئاً سوى الشاحنات. واذا أوقفنا هذه المهنة، فلا ندري ماذا نفعل".

وتضيف: "اني لا أزال تحت الطلب اذا دعاني الرجل العجوز من المرأب. وأهب الى مساعدته حالا، وان كلفني ذلك أن أتمدد الى جانبه تحت الشاحنة. وفي رحلتنا الاخيرة من فلوريدا، أفرغنا حمولة كاملة من الخضر والحبوب في ساعتين فقط. وقال لي لستر: "هوني عليك". فأجبته: "انك نعْمَ من يقول هذا. فأنت لم تأخذ فرصة يوم واحد طوال هذه الاعوام الخمسين".

كلمة السر ـ ان يدي لستر كتاب يروي سيرة حياة مفعمة بالعمل المجهد. وتنتأ نينك اليدان من ساعدين تملأهما العضلات كسواعد رافعي الاثقال. وقد شددتهما ايام العمل في اصلاح الشاحنات وقيادتها. أما أصابعه فتكورت بحيث لم تبق مسافة بينها، وغدت عقدها قاسية كالحجر. ويخال الناظر الى هذه الاصابع أنها عاجزة عن تزرير قميص. والحقّ انها الاصابع نفسها التي كان لستر يغير بها أقمطة اطفاله في سرير الشاحنة.

وتقول ايفادين: "لا يمكنني فعل شيء من دون لستر. وقدرتي التجارية

لا تغنيني عن العقل الذي يسير الآلات".

وينطبق هذا الوصف على حياتهما كما على مهنتهما. ذلك ان لستر يفهم الامور المتعلقة بالشاحنات، أما ايفادين فتفهم الامور المتعلقة بالناس. وهو يثق بها تماماً، ولا يضيره أن تكون امرأته أكثر ادراكاً منه لبعض المسائل. وهي تعينه الى أبعد حدود. وهذه العلاقة الخلاقة بينهما، القائمة على التفهم والاحترام وتوزيع الادوار بحكمة واقعية، يحسدهما عليها الآخرون ويصرفان العمر سعياً الى ما يماثلها.

وتضيف ايفادين: "لقد تخللت حياتنا الزوجية لحظات من سوء التفاهم. الا أن أربعاً وخمسين سنة من الزواج علمتنا أن كلمة السر لاعادة التفاهم هي: التعاون. وعلى المرء أن يأخذ ويعطي، أن يكون مخلصاً ويدرب نفسه على موافقة الآخرين. والزواج يكون رائعاً اذا تعلم الشخصان أن يفهم أحدهما الآخر".

وتقول ابنتهما جودي: "انهما لا يدركان كم هما سعيدان في عملهما المشترك، على رغم أنهما لا يملكان الا قليلا من المال. ولكن لو كان لهما الكثير منه، لما عرفا ذلك. ان امي تحب ذلك الرجل حقاً. واذا عمل في حفر الخنادق، فسوف تتبعه حالا لتساعده. وفي ودي أن أنهي حياتي ضمن هذا النوع من الرّباط".

والكلمة الاخيرة هي لايفادين: "لكم هو جميل أن يكون لديك شريك حقيقي!"

■ سام موس



تقليعة

ما أن صعدتُ الى الحافلة ذات صباح واتخذتُ لي مقعداً حتى وجدتُ الى جانبي شاباً يبدو عليه مظهر الهيبيين اللامبالين. وكان ينتعل فردة حذاء واحدة، فسألتُه: "هل أضعتَ فردة حذاء؟" فأجاب: "كلا، بل وجدتُ واحدة".

ت.ا.هـ.

اخت الرجال

كانت السيدة الراحلة ساروجيني نايدو أول من تولى منصب حاكم الهند العام بعد نيل شبه القارة استقلالها. واشتهرت السيدة نايدو بسرعة الخاطر، ولم ينجُ حتى العظام من نكاتها اللاذعة.

وزارت ذات مرة راجا غوبالاشاري حاكم مقاطعة البنغال، فقام واياها بجولة على دار الحكومة. ولدى دخولهما غرفة نومه، أشار الحاكم بيده الى سريره وقال باكتئاب: "ما نفع هذا كله لي، أنا المترمل السبعيني؟"

فأجابت السيدة نايدو على الفور: "لقد هببتُ لمساعدتك في مناسبات عدة. أما الآن فلا يمكنني ان أفعل لك شيئاً".

ك.م.

"طريق الصداقة" بين الصين وباكستان

بعد عشرين سنة من العمل الشاق في الاقاليم النائية، قتل خلالها مئات العمال، اكتملت طريق كاراكورام التي تشكل اهمية استراتيجية واقتصادية بالنسبة الى الصين وباكستان

على منبسط صخري يعلو ٣٠٠ متر عن نهر الهندوس شمال باكستان، تدلى الرجال بالحبال كالدمى المتحركة محاولين حفر الثقوب في الصخر لزرع الالغام. وعندما خذلهم الصخر الصلب، راحوا يحشون الشقوق الصغيرة بالبارود آملين بتفجير تلك الثقوب المحشوة. وهكذا كان الانفجار الذي دمر كتلة صخرية هائلة وسبب انهياراً جرف معه ٢٣ عاملا الى النهر حيث لقوا مصرعهم. والى الشمال اختفى قسممن الطريق تحت ركام يعلو ٢٠ متراً من الصخر والوحل. كما انهار في نهر الهونزا جسر حديث البناء يبلغ طوله ٥٠ متراً. لكن العمال نصبوا جسراً موقتاً وتابعوا مهمتهم.

والى الجنوب، بالقرب من باتان الهندية، حدث زلزال عنيف. وطمرت الصخور المنهارة الطريق وبعض القرى. ويقول احد رجال الانقاذ: "لا أحد يعلم كم بلغ عدد القتلى. فكثيرون دفنوا تحت الانقاض".

الموت واليأس والعقبات التي تكاد لا تصدق واكبت شق كل جزء من طريق كاراكورام التي تمتد ٧٧١ كيلومتراً وتربط باكستان بالصين. وهي تعتبر معجزة في فن بناء الطرق. فطوال ٢٠ سنة، ابتداء من العام ١٩٥٨، راح الجيش الباكستاني يشق تلك الطريق عبر المناطق المعزولة. ومع ان الصين شاركت في هذا العمل لفترة عشر سنين، فان باكستان تستأهل تقديراً خاصاً. فعلى رغم انها حرمت الثروات الزراعية والصناعية والمعدنية، فقد اظهرت باكتسان ما يمكن دول العالم الثالث انجازه اذا تيسر لها الخيال الرحب والقيادة والعزيمة.

تغلب الباكستانيون على صعاب جمة باستعمالهم الادوات البدائية وتشغيلهم رجال القبائل المحلية. وعلى طريق كاراكورام في منطقة كوهستان المنخفضة تصل الحرارة الى ٤٨ درجة مئوية، فتلذع عمال الطرق، فيما الجزء الاعلى من الطريق، يخترق على جبال العالم - جبال حملايا وكاراكورام وهندوكوش.

وعلى ارتفاع يفوق الـ٤٥٠٠ متر، حيث تهبط الحرارة في فصل الشتاء الى ٢٩ درجة مئوية تحت الصفر وتسجل الرياح سرعة ١٥٠٠ كيلومتر في الساعة، تحتم على العمال السقوط من قمم الصخور الى الممرات الضيقة في الاسفل. واعلنت السلطات الرسمية ان ٤٠٦ عمال، بين باكستانيين وصينيين، لاقوا حتفهم خلال بناء الطريق، اي بنسبة قتيل في مقابل شق كيلومتر واحد. اما الجرحى فبلغ عددهم ٣١٤. لكن المصادر تصر على ان اكثر من الفي باكستاني وخمسمئة صيني وهبوا حياتهم لاكمال الطريق.

ومهما تكن الحقيقة، فان تضحية الجنود والعمال كانت بمثابة خدمة لامن بلدانهم لا تقل عن التضحية في ساحة القتال. لان مرتفع كاراكورام يشكل اهمية استراتيجية واقتصادية بالنسبة الى الصين وباكستان. فالطريق الجديدة تقتطع من الارض الصينية الفي كيلومتر على الاقل، من كاشغار في مقاطعة سينكيانغ وحتى البحر. وهي تمتد ٣٢٠٠ كيلومتر وصولا الى ميناء كراتشي في باكستان.

والواقع ان هذه الطريق تضيف الى الاقتصاد الباكستاني رقعة غنية بالمعادن تتوافر فيها الحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والعقيق، والمعادن كالنحاس والحديد والرصاص والميكا (١).

تلك الاودية التي تخترقها طريق كاراكورام شهدت عبر التاريخ مواكب الجنود. وعبر هذه الممرات شق الاسكندر الكبير طريقه الى الهند في القرن الرابع قبل الميلاد. ولمدة تزيد على الف عام من عهد سلالة "هان" المالكة (٢٠٦ق.م - ٢٢٠م.) كانت القوافل الصينية تجتاز تلك القفار محملة بالحرير والشاي والخزف الصيني (البورسلين) لتقايضها بالذهب والعاج والجواهر والتوابل في الهند وآسيا الصغرى واوروبا.

وفي ايامنا تأتي هذه الطريق قريبة جداً من تجمع خمسة بلدان هي

(١) الميكا مادة زجاجية تستخدم كعازل كهربائي.

باكستان وافغانستان والصين والهند والاتحاد السوفييتي.

الاغراءات ـ والفضل في شق طريق كاراكورام يعود الى المارشال ايوب خان، الديكتاتور العسكري الاول في باكستان. فقد اقلقه تهديد الهند للقطاع الباكستاني من اقليم كشمير، ورأى ان طريقا الى الاقاليم الشمالية المتناثرة وغير المحصنة هي ضرورة ملحة لامن البلاد.

ففي اواسط العام ١٩٥٠ أمر ايوب خان مهندسي جيشه بتخطيط الطريق ما بين جيلجيت، العاصمة الادارية التي كانت تقفل بفعل رداءة الطقس طوال تسعة اشهر في السنة، وقرية كورورا في امارة سوات التي هي اليوم ارض باكستانية. هذه الطريق التي بلغ طولها ٤٠٠ كيلومتر وصلت لاحقاً بمدينة ابوتاباد التي تبعد ١٢٠ كيلومتراً عن العاصمة اسلام آباد.

ان جنود شق الطرق في باكستان، الاعضاء في "منظمة العمل الجبهوي" في الجيش، يعجبون اليوم من جهلهم للعقبات التي كانت تنتظرهم. لقد قال احد المحاضرين للضباط خلال تدريباتهم: "نحن لا نعرف الناس هنا ولا طبيعة الارض. فالخرائط مساحات فارغة، وكل ما نعرفه هو ما نراه من الطائرة".

احد الضباط الشباب الذين تطوعوا للمشروع كان الرائد غلام سافدار بات الذي ذهب في اغسطس (آب) ١٩٥٨ مع الحملة الاولى لاستكشاف المناطق النائية في سوات.

كانت تلك المناطق موطن القبائل الجبلية ومنفى الخارجين على القانون لقرون خلت. ففي القرون الوسطى كان يسكن هذه المنطقة شعب همجي يدعى "ياغستان" كان افراده يلفون اقدامهم بجلد الماعز. وكلما هب رجال القبائل لسد الممرات، كانت فرقة الرائد بات تغريهم بالملح والسجائر. وغالباً ما كان الحقد يسود عندما يشعر هؤلاء القبليون بالخوف من ان تقضي هذه الطريق على أراضيهم الزراعية. فكانوا يعمدون الى اتلاف علامات مسح الارض التي وضعت هناك.

وكثيراً ما سرق القرويون اسلاك الهاتف ليربطوا بها الماعز او لينصبوا فخاخاً للحيوانات. كما انهم سطوا على مستودعات المتفجرات. وكثيراً ما عكرت تفجيراتهم امسيات الجبل الهادئة.

واحتاج هذا المشروع الى العمال المحليين. لكن التجنيد لعمل كهذا كان غاية في الصعوبة. فشجع الجيش سكان الجبال على العمل في مقابل اعطائهم الشاي والسكر والكاز والالبسة الجاهزة التي فتنتهم، اضافة الى انشاء مقاهي الارصفة والمطاعم التي تقدم الاطعمة التي لا عهد لهم بها. فشجعت تلك الاغراءات سكان الجبل على العمل. ويقول بات: "عندما اعتاد رجال القبائل تناول الشاي وتعلقوا به قلنا لهم انه لا يمكنهم الحصول عليه الا في مقابل العمل".

وعند ذاك فتحت العيادات الطبية وعالج اطباء الجيش الضحايا الكثيرة التي اصيبت بالملاريا وامراض العين والصدر. ولخلق المزيد من الحوافز عرّف الجيش نساء القبائل الى الحلي والمرايا، فضمنوا حث النساء ازواجهن على العمل.

الدابة العطشى ـ ان بيئة الشعوب القبلية البدائية خلقت مشاكل اخرى غير متوقعة. فالاماكن المستوية كانت تشكل نوعاً من الرفاهية. فعند غروب الشمس وتوقف العمل، كانت العائلات تتدفق الى الطريق للنوم. وقيادة السيارة هناك بعد ادراك الظلام كانت كابوساً للسائق الذي يقضي ساعات في ازاحة المواشي وايقاظ المئات من النيام المتذمرين:

ولم يقتنع رجال القبائل جميعهم بمنافع تلك الطريق. فالكوهستانيون المستقلون عبروا عن سخطهم على ضآلة التعويضات التي دفعت عن الاراضي. ففي شهر مايو (ايار) ١٩٧٧ حملوا السلاح وحاصروا ٢٥٠٠ باكستاني وصيني من العمال، مما اضطر الجيش الباكستاني الى دحرهم.

وكثيراً ما جعلت المشاكل المالية والتموينية العمال يشكون في قدرتهم على اتمام الطريق. فكان عليهم ان يمهدوا الممرات لقوافل الحمير المحملة بالمؤن، ويسووا الدروب الشديدة الانحدار. اما آلات الحفر فقد فككت وحملت اجزاء على ظهور الرجال.

وامضى ٨٠ عاملا يومين كاملين لتحريك آلة حفر مسافة ١٢ كيلومتراً، وكان جذب الرجال والاحمال الى الصخور يتم بواسطة الحبال.

ولما تأخرت التجهيزات سنة كاملة للوصول الى مكان البناء، اضطر العمال الى استعمال البارود الذي استخرج من القنابل والالغام. ويقول الكولونيل حجاز الدين خان، المهندس المتمرس في "منظمة العمل الجبهوي": "لم نحسن تقدير هذا العمل بل استخففناه. ففي منطقة كاميلا ـ باتان، مثلا، كان في وسع الوحدات التي ارسلناها شق ١٩ كيلومتراً في السنة، بينما كنا نحتاج الى شق ٣٢٢ كيلومتراً خلال سنتين. فارسلنا اربعة اضعاف الفريق الاول، ثم ضاعفنا العدد وضاعفناه ثانية قبل حصولنا على العدد الكافي من الرجال".

وفي بعض الاحيان كانت معنويات العمال تهبط على نحو مأسوي. ففي توركامار التي تبعد ٢٩٩ كيلومتراً عن جيلجيت، تقرر شق الطريق على طول منبسط صخري شبه عمودي. وفوق رؤوس الرجال لاحت قمة تعلو ١٢٠٠ متر، فيما هدر تحتهم نهر الهندوس. وغالباً ما كانت التفجيرات تقذف الصخور فتتساقط شلالات فوق مساحة ثلاثة كيلومترات. وعندما بدأ شبح الموت يخيم على العمال بادر احدهم الرائد بات قائلا: "لن نصدق ان في امكانك اكمال هذه الطريق الا اذا انجزت هذه المرحلة" وأخيراً، وبعد سنة قتل خلالها ثلاثة عشر عاملا، شقت طريق توركامار.

وفي العام ١٩٦٢ قاد بات اول سيارة عسكرية (جيب) على طول تلك الطريق. وعندما توقف في قرية قرب توركامار، عمد بعض الرجال الذين لم يروا سيارة في حياتهم الى وضع وعاء ماء امام عجلتي السيارة الاماميتين شفقة على تلك "الدابة" التي مشت مسافة طويلة فغدت في حاجة الى الارتواء.

خطط الباكستانيون لربط طريقهم بالطريق الصينية عبر ممر خونجراب.

وفي العام ١٩٦٧ بدأ الصينيون شق الجزء الصعب من الطريق بين خونجراب وهالغوش، ويبلغ طوله ١٥٧ كيلومتراً. وبقيت المساهمة الصينية سراً حتى العام ١٩٦٧، عندما ارسل رئيس الحكومة الباكستانية آنذاك، ذو الفقار علي بوتو، تعازيه الى بكين على اثر مقتل ٢٥ عاملا على بعد ١٦ كيلومتراً شمال باتان.

وفي ذلك الوقت كان ٩٥٠٠ عامل صيني (رفعت بعض الروايات غير الرسمية العدد الى ٤٠ الفاً) يعملون على طول طريق كاراكورام التي سمتها دوائر الدعاية والاعلام في الصين وباكستان "طريق الصداقة". وبنى الصينيون معظم الجسور وزينوها بتماثيل الاسود.

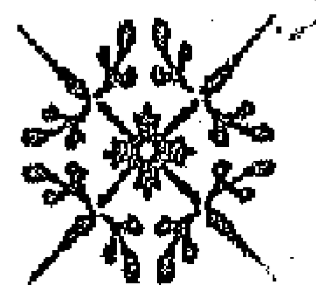
وفي العام ١٩٧٨ اقيمت حفلة الافتتاح على جسر "ثاكوت" الذي بناه الصينيون. ومثل "منظمة العمل الجبهوي" الرائد المهندس بات الذي اصبح آنذاك جنرالا ومديراً عاماً للمنظمة.

اما اليوم فيمكن هذه الطريق ان تتيح للسياح مجال القيام بتجربة غير عادية. فأين يمكن الانسان ان يذهب بسيارته مسافة ٨٠٠ كيلومتر بين جبال العالم العظيمة، ويجلس امام سيول الثلج البلورية، ويراقب رجال القبائل بشواربهم الكثيفة وبنادقهم القديمة الطراز وقد شدوا الى صدورهم احزمة محشوة بالرصاص؟ واين يمكن الانسان ان يختبر ذلك الابتهاج وتلك الاخطار التي لا يعرفها سوى الرواد الحقيقيين؟ فالانحدارات والفيضانات ما زالت تحيط المسافرين بالاخطار.

ان طريق كاراكورام تنطوي على مغزى عميق بالنسبة الى شعوب البلدان النامية، ويجسد هذا المغزى نصب اقيم على جانب الطريق جنوب هونزا. وفوق هذا النصب، الذي اقامه مهندسو الجيش تخليداً لذكرى العمال الذين قضوا خلال العمل، ثبت مخل احد العمال القتلى وعلى النصب حفر بالاوردية (٢) بيتان للشاعر والفيلسوف الباكستاني الدكتور محمد اقبال: "عندما يعقد الرجال العزم، ففي امكانهم تفتيت الجبال".

■ انطوني بول ودنيس واليس

(٢) لغة باكستان الادبية.



صغارهم وكبارهم

ابتعد عن اولئك الذين يحاولون الاستخفاف بطموحك. انهم صغار الناس. اما العظام حقاً فيجعلونك تشعر بأنك أنت أيضاً يمكن أن تصبح عظيماً.

مارك توين



نقش حجري من اعمال هـ. بندل (١٨٤٥).

كان المعلم في الثامنة والستين، اشعث وغير حليق، حين واجه قيصر روسيا الاسكندر الاول. وكان هذا اقام مقر قيادة موقتاً في مدينة بازل السويسرية بعدما دحر جيش نابوليون. وادرك المربي السويسري الناحل، يوهان هاينريك بستالوتزي، ان قوات القيصر ستحول معهده التربوي في قلعة ايفردون مستشفى عسكرياً.

ومع ذلك فقد تجاهل بستالوتزي قضيته الخاصة وانتهز فرصة الكلام ليطرح قضية ملايين الاميين في روسيا البعيدة. فمد ذراعيه الى القيصر وهتف منفعلا: "دع الفقراء ينهضون من شقائهم. شيد لهم مدارس ليتسنى لهم تحقيق الكرامة الانسانية!" فتأثر القيصر ودمعت عيناه، وقبل العجوز على وجنتيه.

كان بستالوتزي يشعر بدافع الى المساعدة حيثما كان هناك ألم وجهل وظلم. وهو ايقن ان الشقاء في العالم امر لا يتعذر استئصاله وان مفتاح التقدم هو التربية المبنيةعلى المحبة والتفهم. وحث العالم على وجوب فسح المجال امام كل طفل لينمي

"كم اتوق الى خدمة بلادي ونشر الفرح والخير بين مواطني"! وسوف اتجاهل الدموع في عيني زوجتي وانسى اولادي اذا اقتضت الضرورة"

هاينريك بستالوتزي

معلّم الفقراء

قدراته ومواهبه الطبيعية. وأثرت عبقريته في العديد من المربين.

ولد هاينريك بستالوتزي عام ١٧٤٦ لأب من زوريخ كان "طبيب جروح"، اي جراحاً من دون شهادة طب. وفي الخامسة فقد والده، فربته امه التي غالت في حمايته، تعاونها مدبرة المنزل الصارمة. وكثيراً ما سخر منه اترابه لارتباكه في الصف. لكن هذا الارتباك كان يزول حين يلعب مع اولاد الفلاحين خلال العطل المدرسية. ولم تكن مثل هذه الصداقات مقبولة عند ابناء العائلات الكريمة.

وتعرف هاينريك تدريجاً الى شقاء هؤلاء الاولاد. ولاحظ ان كثيرين ممن لعب معهم ذات صيف كانوا يختفون في الصيف التالي. واكتشف انه تم "تأجيرهم" لفلاحين اكثر يسراً في مقابل بضعة اكياس من البطاطا والدقيق. وراعه ما سمع عن اعمال الضرب والاشغال الشاقة التي كانت تفرض على هؤلاء من الفجر الى الغسق، وعن الغذاء الرديء الذي كانوا يقتاتون به وادرك الصبي انه صغير وعاجز، الا ان عاطفته بدأت تتحرك.

ودرس بستالوتزي الشاب الفلسفة. لكنه ما لبث ان تحول الى الزراعة. فهو شعر انه عاجز عن مساعدة الفقراء الا اذا شاطرهم حياتهم. وحين تعرف الى آنا شولتيس، وهي ابنة اسرة نافذة في زوريخ، كتب اليها متنبئاً: "كم اتوق الى خدمة بلادي ونشر الفرح والخير بين مواطني"! وسوف اتجاهل الدموع في عيني زوجتي وانسى اولادي اذا اقتضت الضرورة". وغدت آنا زوجة بستالوتزي على رغم معارضة امها.

واقترض العروسان مالا لشراء عقار واسع اسمه "نيوهوف"، في كانتون (★) آرغاو المجاور. الا ان قلة خبرتهما اوصلتهما الى الافلاس في غضون سنتين. وبيع العقار كله باستثناء المنزل، واعلن هاينريك لزوجته: "سأحول نيوهوف ملجأ للاولاد الفقراء". ثم غادر المنزل ليعود ليلا باربعة صغار خائفين، حاملا احدهم على ظهره. وببساطة قال لزوجته

(★) الكانتون اقليم سويسري.


Pestalozzianum, Zurich

بستالوتزي بريشة ف. شونر (١٨١١).

المذهولة: "هذا الولد اعجزه الجوع الشديد عن المشي".

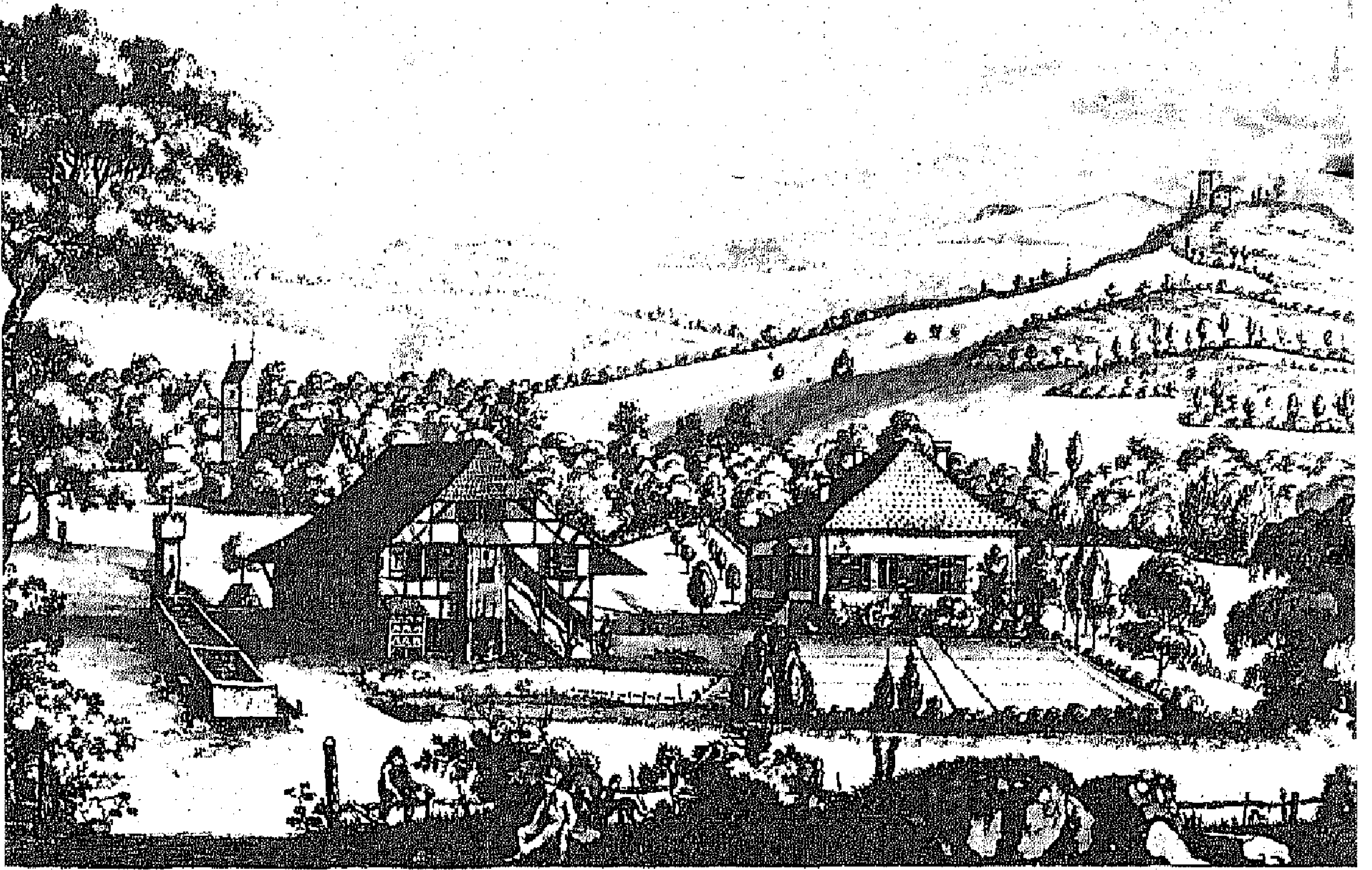
وراح بستالوتزي يجوب بحثاً عن اولاد هزيلين يرتدون الاسمال، هاربين من اعمال مجحفة وضرب لا يطاق. وكان يأخذهم الى نيوهوف، فيعاملهم معاملة ابنه الوحيد هانس جاكوب. وشق على آنا ان تغسل عشرات المشردين الصغار وتطعمهم وتكسوهم، الا انها امضت تلك الايام المرهقة من غير توان او تذمر.

ليعيشوا احراراً — وكان بستالوتزي يغمر الاولاد بمحبته منذ وصولهم الى نيوهوف. وبصبر عجيب كان يقنعهم بأن الانضباط والجهد هما طريق الحياة. وعلمهم القراءة والكتابة، اضافة الى مهارات كالحياكة، ليساعدهم في كسب عيشهم في ما بعد. وكان يقول لهم: "العلم هو دربكم الوحيد الى الخلاص عليكم ان تكسبوا خبزكم لا ان تستعطوه".

وساعدت عائدات الزراعة والحياكة والتبرعات في بقاء ذلك الملجأ الفريد ست سنوات. وهو آوى ٣٧ ولداً راوحت اعمارهم بين الرابعة والتاسعة عشرة. لكن بستالوتزي اضطر الى اغلاقه عام ١٧٨٠ لنفاد المال. فسحق الحزن قلبه، ولم يجد عزاء الا في الكتابة. فضمن كتبه وصفاً لاحزان الحياة الريفية وافراحها، وعلاجات لمظالم عصره، وتأملات في مصير الانسان. وغدت روايته الشعبية "لينهارت وغرترود" كتابه الاكثر رواجاً. وتتحدث الرواية عن اصلاح أسرة رجل فقير، وبالتالي قرية بأسرها، بفضل جهود امرأة طيبة ومخلصة. وختمها الكاتب بالمغزى الذي اصرّ عليه حتى نهاية حياته: ضرورة التعلم. وجاء في كتابه ان ما من بلد يمكنه ان يأمل في النهوض ما لم يثقف فقراءه.

وغاص بستالوتزي، نفسه، في الفقر لكنه بقي سخياً بالقليل الذي عنده. فاستضاف الزائرين وصنع الخبز للفقراء. وفيما كان يسير يوماً الى بازل ليقابل ناشر كتبه، اقبل عليه فلاح معدم. فأشفق بستالوتزي عليه ونزع عن حذاءيه ابزيميهما الفضيين وقدمهما الى الغريب قائلا: "بعهما واشتر بثمنهما خبزاً لاسرتك".

وبعد مشروع نيوهوف بثماني عشرة سنة، طلبت الجمهورية السويسرية



نقش ليوهان هاينريك شولتس (١٧٨٠)٠ "نيوهوف" عام ١٩٨٠ حين كان يضم مأوى بستالوتزي٠
Pestalozzianum, Zurich

المعلنة حديثاً الى بستالوتزي ان يفتح مأوى لايتام الحرب في دير مهجور في مدينة ستانس وسط سويسرا، لان الغزو الفرنسي لسويسرا عام ١٧٩٨ خلف وراءه مئات الاولاد المشردين٠

وضع بستالوتزي نصب عينيه هدفاً هو ان يثبت ان لكل ولد قدرات فطرية لا يوقظها فيه غير الرعاية المُحبة٠ وفي غضون اشهر حول بستالوتزي الاشقياء الثمانين الموضوعين في عهدته اسرة متعاطفة٠ فعاملهم بالتساوي وعلمهم الاستقلال٠ وتوجد الى الاولياء: "ليكن ولدكم حراً ما امكن٠ ليذهب ويصغ، ليعثر وينهض، ليخطىء ويجد"٠ وما من احد قبله اصر بمثل هذه القوة على تلافي افراغ الاولاد في قوالب تلائم مفاهيم البالغين٠ وبعد فتح المدرسة بسبعة اشهر حولتها الحكومة مستشفى عسكرياً٠

ثم طُلب الى بستالوتزي ان يدير مدرسة ابتدائية ودار معلمين تمولهما الحكومة، وذلك في قلعة من القرون الوسطى في برغدورف قرب برن العاصمة٠

في ذلك الزمان كان التعليم الابتدائي يتألف في معظمه من الحساب ويقوم على حفظ النصوص غيباً٠ وكان المعلمون في كثير من الاحيان جنوداً سابقين او حرفيين معدمين يفرضون الانضباط بالتهديد والضرب٠ اما اسلوب بستالوتزي فكان

مختلفاً على نحو مفاجىء. فهو جلس بين تلاميذه وتحمل ضحكهم ولهوهم، لكنه افلح في تنشئتهم على التوق الى التعلم.وهو علم الاحداث الحساب بواسطة ثمار البندق والتفاح. واخترع اللوح الحجري للتمرن على الكتابة، واوجد اسلوباً في التعليم يعتمد مراقبة الحياة اليومية طريقاً الى الفكر المجرد. ان الغناء والرياضة والدراسة في الهواء الطلق ملأت الايام حياة وبهجة، ولم تكن هناك امتحانات ولا شهادات ولا عقاب. بيد ان تعلم الاولاد هناك كان اسرع وافضل من تعلم التلاميذ في المدارس العادية على نحو لا يقارن.

وفي مئات المخطوطات التي كتبها بستالوتزي ليلا، اوضح مبادئه التربوية: على الام ان تحيط وليدها بمحبتها ورعايتها. وفي ما بعد ينبغي ان يسود المدرسة جو من الاطمئنان والثقة. كما يتعذر تحقيق التوازن لدى الطفل ما لم تُنَمَّ قواه الجسدية والفكرية بالتساوي.

كرامة الانسان- اشتهرت صنائع بستالوتزي وكتاباته، فراح المربون والكتاب والشخصيات المرموقة يؤمون برغدورف. واعجب هؤلاء بالنتائج التي حققها التلاميذ هناك. وزعم انه كان في وسع ابن ست سنوات ان يكتب رسالة طويلة خالية من الاخطاء. وفوجئوا ايضاً بملامح بستالوتزي القبيحة وبآثار الجدري في وجهه كما لفتهم هندامه المتواضع.وروى معلم الماني: "جاءه ملك هولندا في زيارة قصيرة غير متوقعة فرأيت بستالوتزي يسرع نحو الملك.كان رداؤه يتدلى من غير ترتيب وقد غطاه الريش، فهو نادراً ما يغير ثيابه بين الليل والنهار. وكان جورباه مرتخيين. فهرعت اليه وقومت جوربيه ونفضت رداءه".

وكان زائروه ينسون مظهره الخارجي الصاعق حالما ينظر اليهم بعينيه الثاقبتين. وقال احد المربين الالمان: "لم أعِ يوماً كرامة الانسان بمثل العمق الذي وعيتها في حضور هذا الشخص العظيم!"

وتغيرت الحكومة، وتقرر تخصيص قلعة برغدورف للمكاتب الادارية. فسمح لبستالوتزي، على نحو غير متوقع، باستخدام القلعة القديمة في اقليم افردون غرب سويسرا. وبهمة الشباب أنشأ بستالوتزي كلية ومأوى للاولاد الفقراء. وبحلول العام ١٨٠٩، كان معقله الجديد يؤوي ١٦٦ولداً ومعلميهم، واربعين شاباً يدرسون طريقة بستالوتزي في التعليم. ولم يكن برنامج العمل المرهق الذي يدوم ١١ ساعة يومياً ابتداء من السادسة صباحاً، يتيح المجال لاي ضجر. وعبر تبادل الآراء بحرية بين المعلمين والتلاميذ، تعلم الاولاد القراءة والكتابة بيسر ومرح.

وذات يوم لاحظ بستالوتزي شاباً كان يعمل في ترميم القلعة، يسترق السمع الى احد الصفوف. فابتهج وشجعه على الحضور. وتعلم الشاب الامي القراءة والكتابة وواصل اجتهاده في العمل. وفي نهاية الامر اسس معهداً للبنات في فيزبادن (المانيا الغربية). وبلغت شهرة مدرسة يوهان دو لاسبيه حداً شجع الشاعر الالماني العظيم غوته على زيارتها.

الا ان ايام ايفردون المجيدة كانت معدودة،فقد توفيت زوجة بستالوتزي· والغت القوات القيصرية احتلال القلعة، فاستولت الفوضى على المعهد· واضطر بستالوتزي الى اقفال مدرسته على اثر منشورات حاقدة اصدرها منافسوه ونزاع نشب بين المعلمين· وغادر المكان الى نيوهوف تعصره المرارة وهناك امضى السنتين الباقيتين من حياته في الكتابة· ووافته المنية في ١٨٢٧·

ان المجلدات الاربعة والعشرين التي تضم كتابات بستالوتزي، وبعضها ترجم الى ٢٥ لغة، الهمت العديد من رجال الدولة والمعلمين والاولياء في انحاء العالم· وساهمت افكاره في انشاء المدارس الابتدائية والمهنية في اوروبا والولايات المتحدة· واطلق اسمه على عدد كبير من معاهد التعليم و"قرى الاولاد"· ويزيد عدد الكتب والمقالات التي كتبت حوله على ١٣ الفاً· وخلال السنوات الخمسين الماضية حملت جميع الاصلاحات التربوية في سويسرا بصمات بستالوتزي·

وكل سنة يزور الوف المعجبين، من انحاء العالم، قبره المتواضع في جوار مبنى مدرسة ابتدائية في بلدة بير قرب نيوهوف· وعلى شاهدة القبر كتبت هذه العبارة: "كل ما لديه ملك للآخرين، ولا شيء لنفسه"، ملخصة ٨١ عاماً من التضحيات· وهذا تكريم يليق برجل ما زالت رسالة المحبة التي بشر بها سارية في عصرنا بمقدار ما كانت ابداً·

■ ليلي فولدز



الصهر سند الظهر

قال شاب متزوج حديثاً لعروسه:"أما وقد تزوجنا، فأريد ان تكفي عن التصرف كابنة رجل ثري الا في مسألة واحدة"·
ـ وما هي؟
"ألا تتوقفي عن طلب المال من والدك"·

ي·ن·

خارج السجن الذهبي

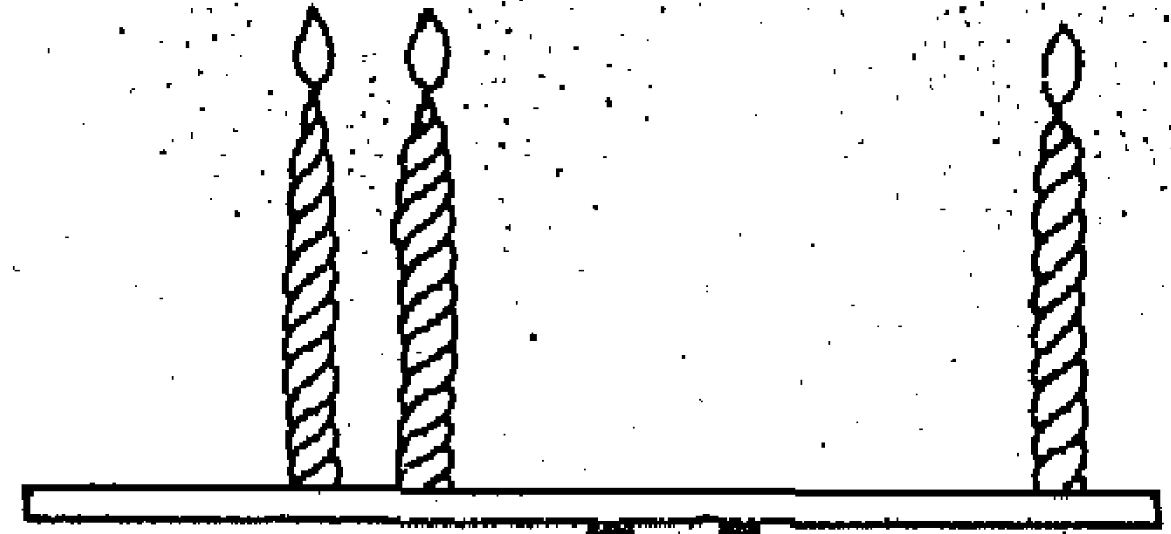
انّ دودة الحرير تنسج شرنقتها بمحبة كبيرة وصبر لا يعرف حدوداً، وهي شرنقة جميلة، لكنّ الدودة لا تخرج منها، بل تختنق في داخلها·

والعالم المادي يشبه شرنقة جميلة· فنحن نبنيه بمحبة عظيمة ونسجن أنفسنا ضمنه، غافلين عن وجود أشياء أكثر جمالا خارج هذا العالم·

سري راماكريشنا

اختبر قدرتك على الملاحظة

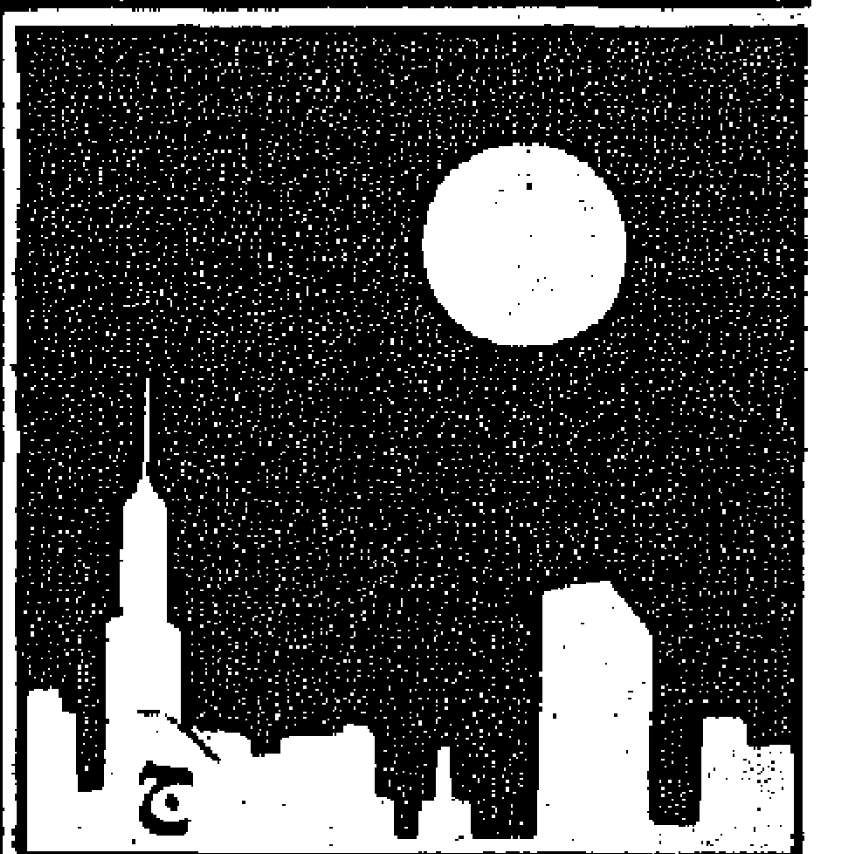
ربما لم تكن لديك اي فكرة عن طريقة حدوث التركيب الضوئي، او ربما انك نسيت معادلة التسارع الناتج من الجاذبية الارضية. ان هذا لا يهم، لانك لا تحتاج هنا الى تلك المعلومات الاكاديمية. فالالغاز العلمية الآتية عن عمل الطبيعة لا تقتضي سوى قوة الادراك وسلامة التقدير والملاحظة. والعلامة الكاملة هي ١٠٠ نقطة.

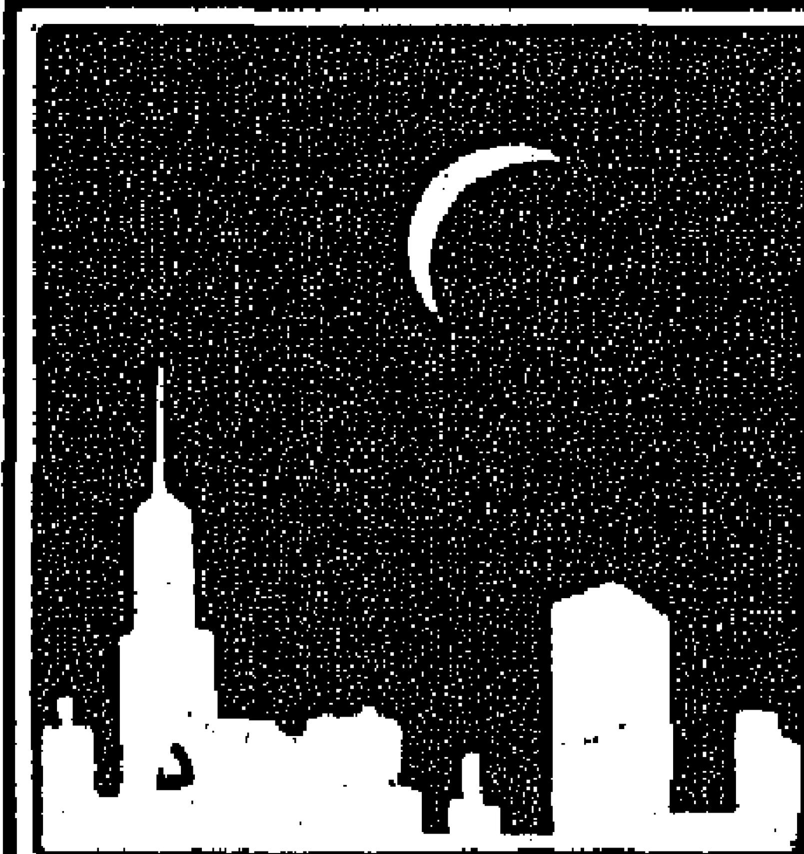


١- (١٠ نقاط) هناك عصا متوازنة على محور ارتكاز (أ). وقد اشعلت للتو الشمعات الثلاث الموضوعة فوق العصا، وهي تحترق كلها بالمعدل نفسه فهل تبقى العصا متوازنة بعد فترة قصيرة من بدء الاحتراق؟

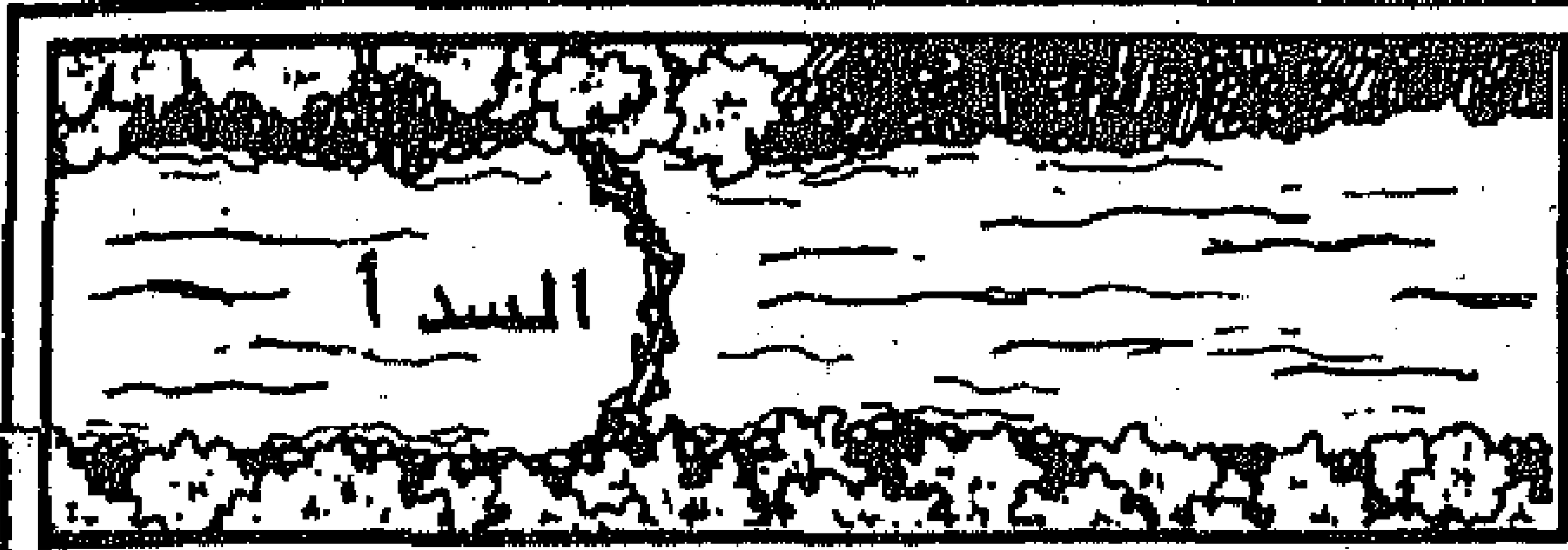


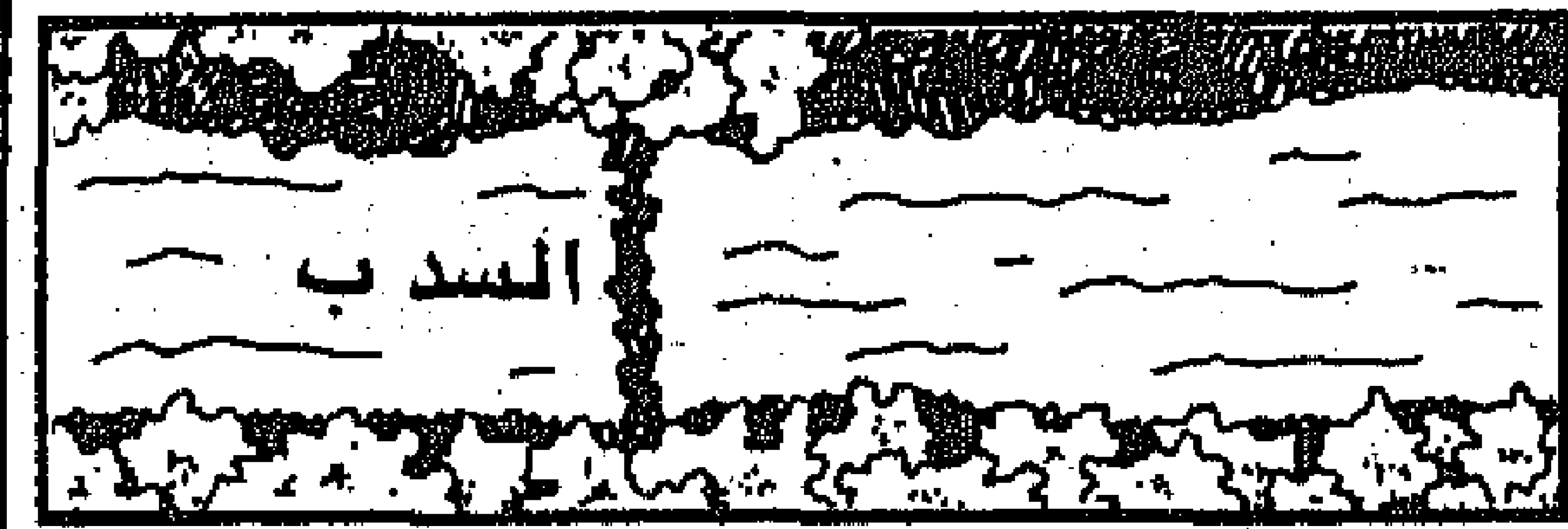






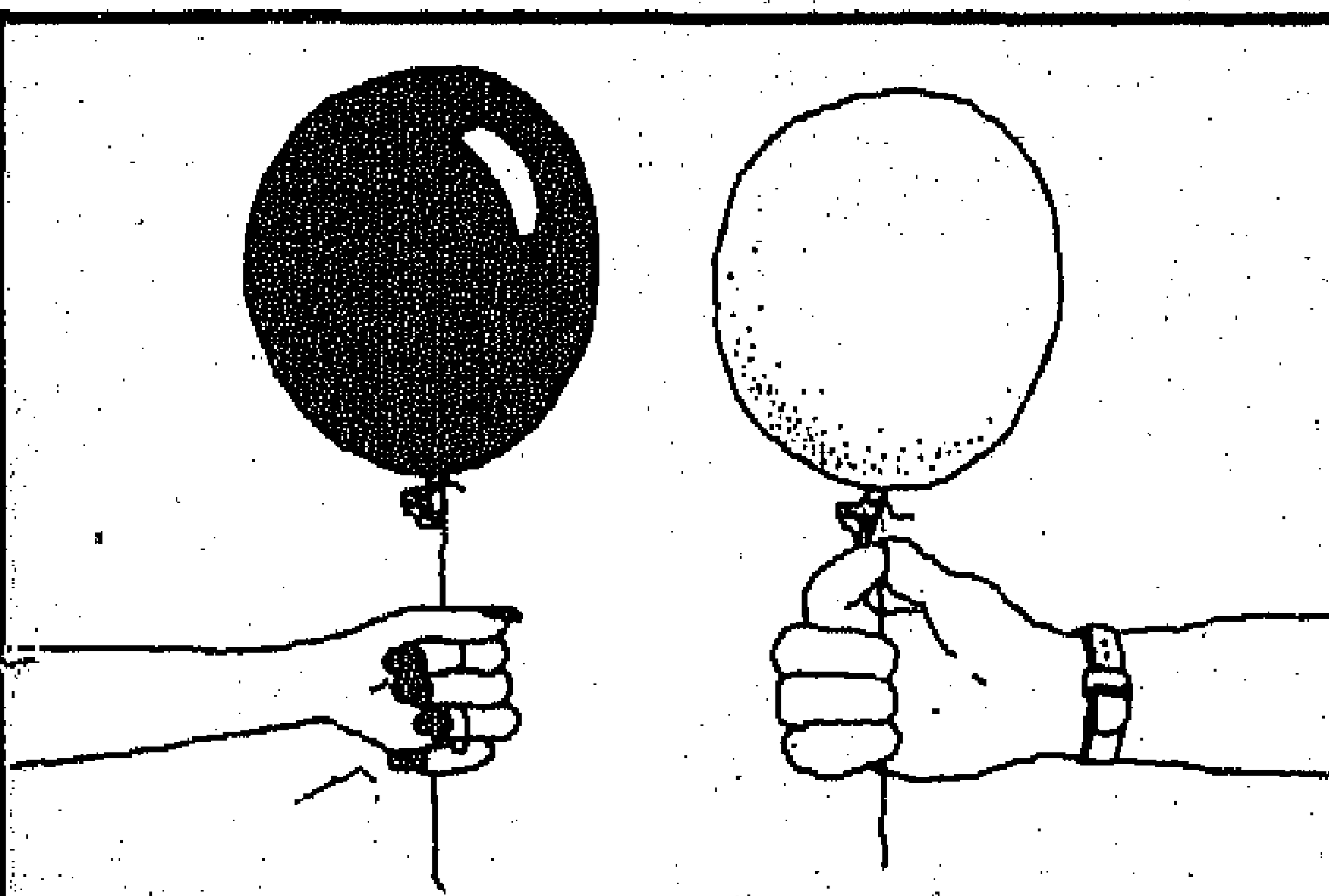
٢- (٥ نقاط لكل صورة و٢٠ نقطة للجميع) امامك اربعة رسوم للقمر ليلا في نصف الكرة الارضية الشمالي. فأي من هذه الاوضاع محتمل الحدوث وأيها غير محتمل؟



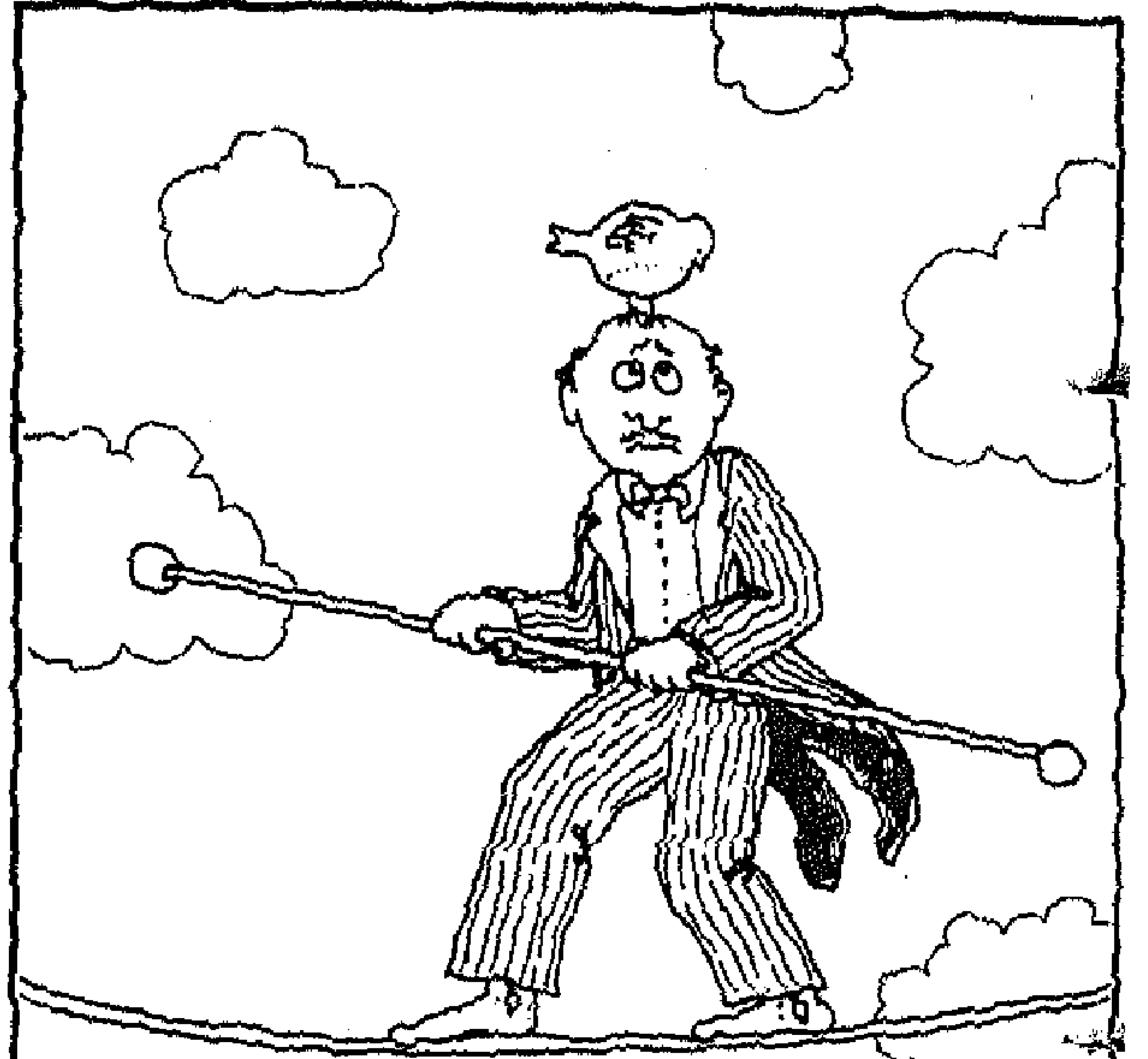




٣- (١٢ نقطة) اي هذه السدود الثلاثة هو الاقوى، ولماذا؟



٤- (٧ نقاط) هذان البالونان لهما الحجم نفسه ومملوءان بالكمية نفسها من غاز الهيليوم، فأيهما يرتفع بسرعة أكبر في يوم مشمس؟

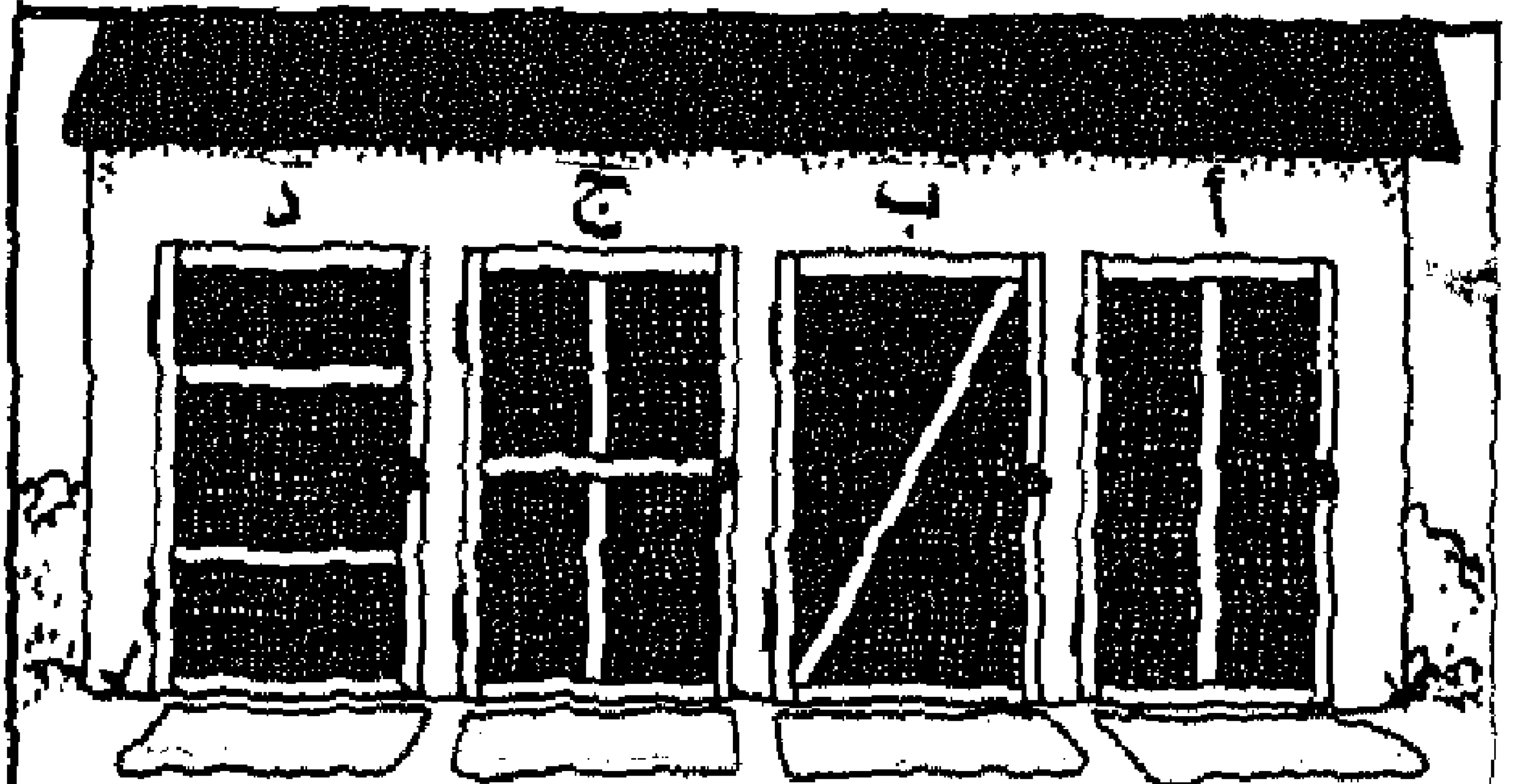


٥. (٤ نقاط لكل سؤال والمجموع ١٢ نقطة) رجل يمشي على حبل مشدود مستعيناً بقضيب توازن.

أ. أيهما يتيح له توازناً أفضل: قضيب طويل أم قضيب قصير؟

ب. أيهما يتيح له توازناً افضل: قضيب ثقيل أم قضيب خفيف؟

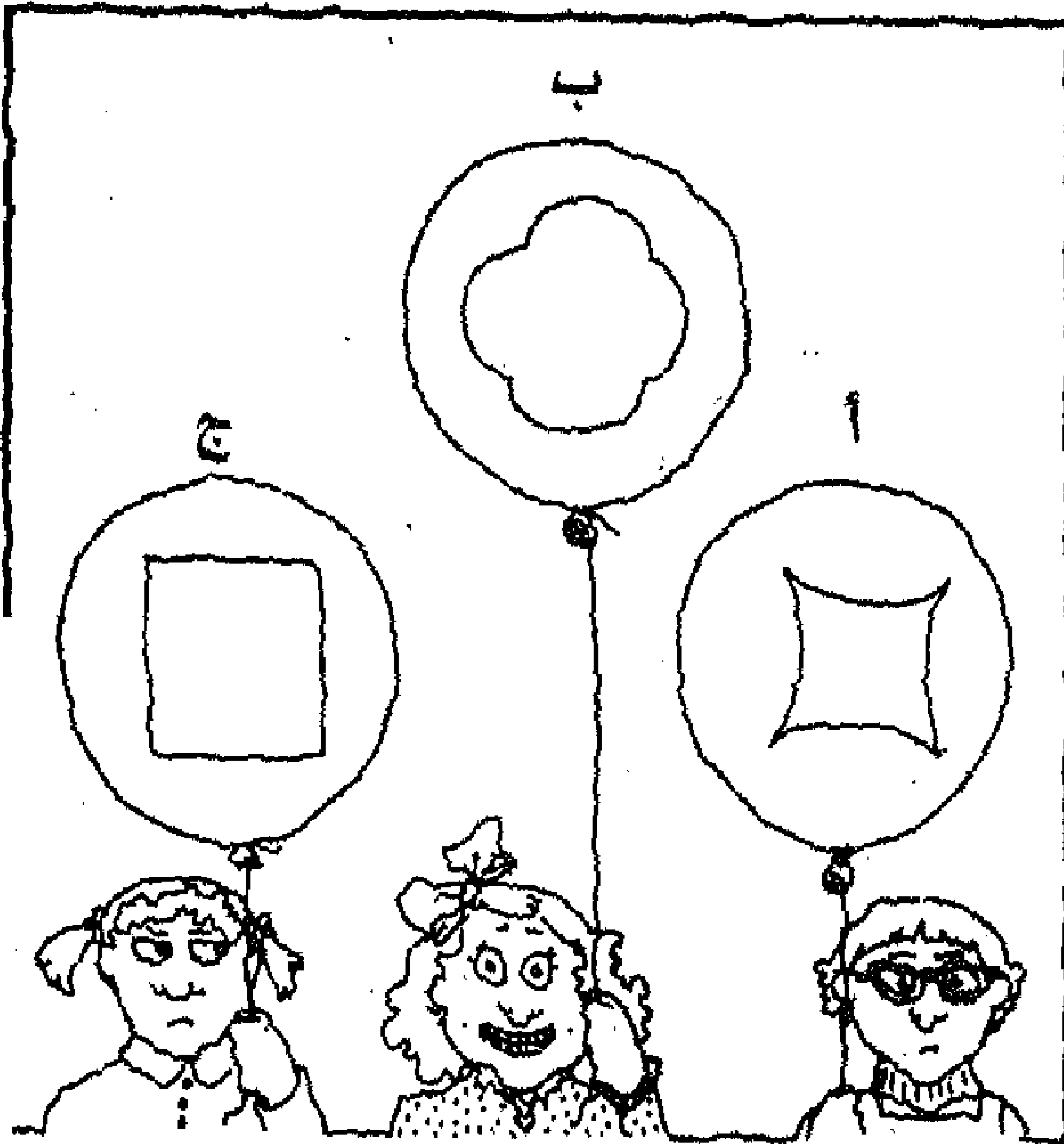
ج. أيهما يتيح له توازناً أفضل: قضيب مستقيم أم قضيب منحن الى اسفل؟



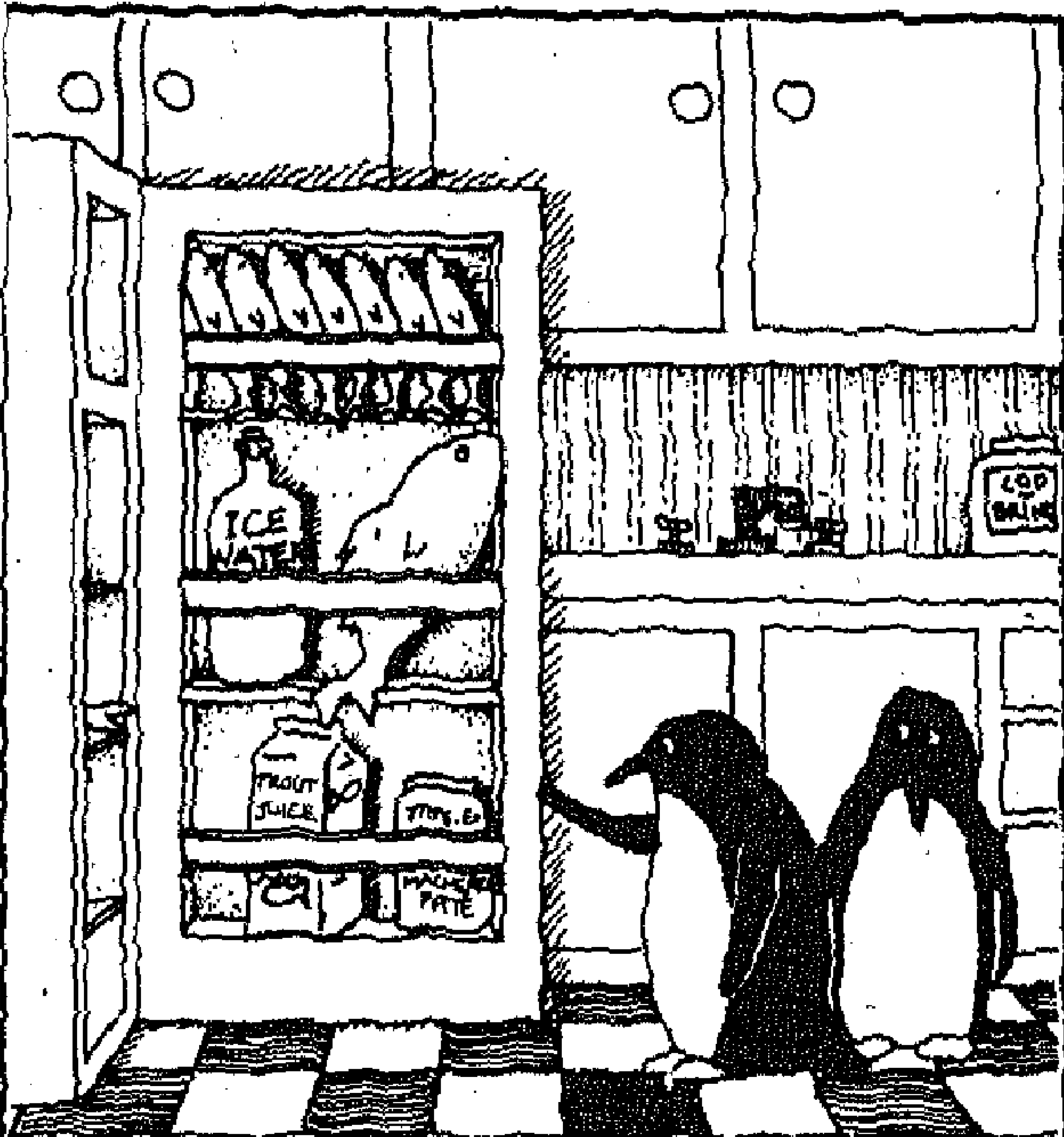
٦. (١٠ نقاط) اي دعامة من دعائم هذه الابواب هي الاقوى؟



٧. (٧ نقاط) اي النملتين تحمل وزناً اثقل؟



٨. (١٢ نقطة) خذ قلماً وارسم به مربعاً على بالون غير منفوخ. فأي الاشكال التي في الصورة يتخذها المربع عندما تنفخ البالون؟



٩. (١٠ نقاط) لديك مطبخ صغير جداً فيه ثلاجة. فهل يمكنك تبريد المطبخ بترك باب الثلاجة مفتوحاً؟

الاجابات عن اسئلة "اختبر قدرتك"

١٠ ستظل العصا متوازنة مع تضاؤل حجم الشموع، لان القوة (عزم اللّيّ) المفروضة على ذراع التوازن بواسطة كل شمعة تعتمد على وزن الشمعة وبعدها عن محور الارتكاز. فاذا فقدت كل شمعة نصف وزنها، مثلا، فان العزم الكلي المفروض على كل واحد من جانبي العصا سينقص، بمقدار النصف كذلك.

٢٠ ليس من الممكن ابداً ان يبدو القمر في السماء كما هو مبين في الصورتين"ب" و"د". فلكي تتسنى لنا رؤية الهلال الاعلى من القمر كما في "ب" و"د"، لا بد من ان يتزامن ظهور الشمس في السماء مع ظهور القمر فيها. وهذه استحالة منطقية، ذلك لان الصورة ترمز الى الليل. كما ان الوضع المبين في الصورة "ب" مستحيل منطقياً لوجود نجم يسطع من خلال القمر.

٣٠ السد "ج" هو أقوى السدود، لان ضغط الماء على مقدم السد المتقوس يتحول الى الضفتين. وتقوم القوس هنا بدور القنطرة في الجسر، وتزداد قوتها كلما زاد الثقل المفروض عليها. أما السدان "أ" و"ب" فيسهل تحطيمهما لان قوة اندفاع الماء تعمل على اقتلاع السد وابعاده عن الضفتين.

٤٠ البالون الاسود هو الذي يرتفع بسرعة تفوق سرعة البالون الابيض. وذلك لان الشمس تسخن غاز الهيليوم الموجود داخل كلا البالونين فتجعلهما يتمددان. ونظراً الى أن الالوان القاتمة تمتص مقداراً من الحرارة يفوق ما تستوعبه الالوان الفاتحة، فان البالون الاسود يتمدد بسرعة أكبر، ويحتل مقداراً أكبر من حجم الهواء فيرتفع بسرعة أكبر.

٥٠ أفضل انواع قضبان التوازن هو القضيب الطويل، الثقيل، المنحني الى اسفل. فالقضيب الطويل الثقيل هو اصعب تحريكاً من القضيب القصير الخفيف، ولذا يظل أكثر ثباتاً عندما يمسك به السائر على الحبل المشدود لحفظ توازنه. ويفضّل القضيب المنحني الى اسفل لان مركز ثقله اقرب الى الحبل، ومركز الثقل المنخفض يؤدي الى تحسين التوازن.

٦٠ أقوى الدعائم هي دعامة الباب "ب"، لان الدعامة القطرية تقسم الباب مثلثين، وهما شكلان صلبان لا يمكن ثنيهما عند الزوايا. اما دعائم الابواب "أ" و"ج" و"د" فهي تقسم تلك الابواب اشكالا مستطيلة لا تتميز بالصلابة ويسهل تغييرها لدى الضغط على زواياها.

٧٠ النملة الامامية تحمل ثقلا أكبر لانها اقرب الى مركز القلم. ولو كانت تلك النملة تحت مركز القلم تماماً لاصبحت تحمل ثقله بكامله.

٨٠ الشكل "ج"، عندما ينفخ البالون يصبح المربع أكبر مساحة، ولكنه يبقى محتفظاً بشكله.

٩٠ كلا، لان الثلاجة لا تبرّد الهواء في الحقيقة، وانما هي تزيل الحرارة من داخل الثلاجة وتطلقها في الغرفة. واذا ترك باب الثلاجة مفتوحاً فان الحرارة الزائدة خارج الثلاجة ستوازن "البرودة" داخلها. والواقع ان حرارة الغرفة ستزيد بسبب الحرارة الاضافية الناتجة عن محرّك الثلاجة.

■ ديفيد وبستر

المستوى

٩٠ ــ ١٠٠ ممتاز
٧٥ ــ ٨٩ جيد جداً
٦٠ ــ ٧٤ جيد
صفر ــ ٥٩ لا تفقد الامل



الضحك خير دواء

عصفور بحجرين

قال العاشق الخجول لوالد صديقته: "لقد أصبح عمر صداقتنا ١٥ سنة، فهل لديك معارضة اذا قرننا الزواج؟"

فأجاب الوالد كمن انفرج كربه: "اني لا أعارض البتة، لكني كنتُ أخشى أن تطلب تعويضاً بعد هذا الوقت كله".

ا.ر.

التقدم الى الوراء

قرر رجل أن يزور صديقه المريض في يوم شديد الثلج والعواصف والبرد، وانزلق مراراً على الطريق قبل أن يبلغ منزل صديقه وهو يرتجف، وقال: "لقد ذقتُ الامرين قبل وصولي، وكنت كلما خطوت خطوة الى الامام، انزلقتُ اثنتين الى الوراء".

فاستفسر الصديق المريض قائلا: "انتظر لحظة! اذا كانت كل خطوة الى الامام تقابلها خطوتان الى الوراء، فكيف استطعت الوصول؟".

ـ كدت ألا أصل، لكني استدرتُ راجعاً الى البيت، وما هي الا دقائق حتى كنت عندك!

ك.ر.س.

الكلب الطروب

راح صبيّ صغير يؤدي تمارين على الكمان في غرفة الجلوس فيما كان والده يحاول قراءة الصحيفة في الحجرة الملاصقة، وكان الكلب جاثماً عند رجلي الوالد، ولما بلغه صوت الموسيقى الجادّ، أخذ يعوي باكتئاب.

واحتمل الوالد نباح الكلب وصوت الكمان وقتاً طويلا، وأخيراً عيل صبره، فنهض ورمى الجريدة أرضاً، ثمّ ذهب الى ابنه قائلا: "بربك، ألا يمكنك عزف قطعة لا يعرفها الكلب؟"

صحيفة "وول ستريت جورنال"

البرج الهزيل

سُئل سائح امريكي بعد عودته من باريس: "كيف وجدت برج ايفل؟" فهز كتفيه وأجاب: "انه مثل ناطحة السحاب "امباير ستيت" في نيويورك، ولكن بعد دفع الضرائب".

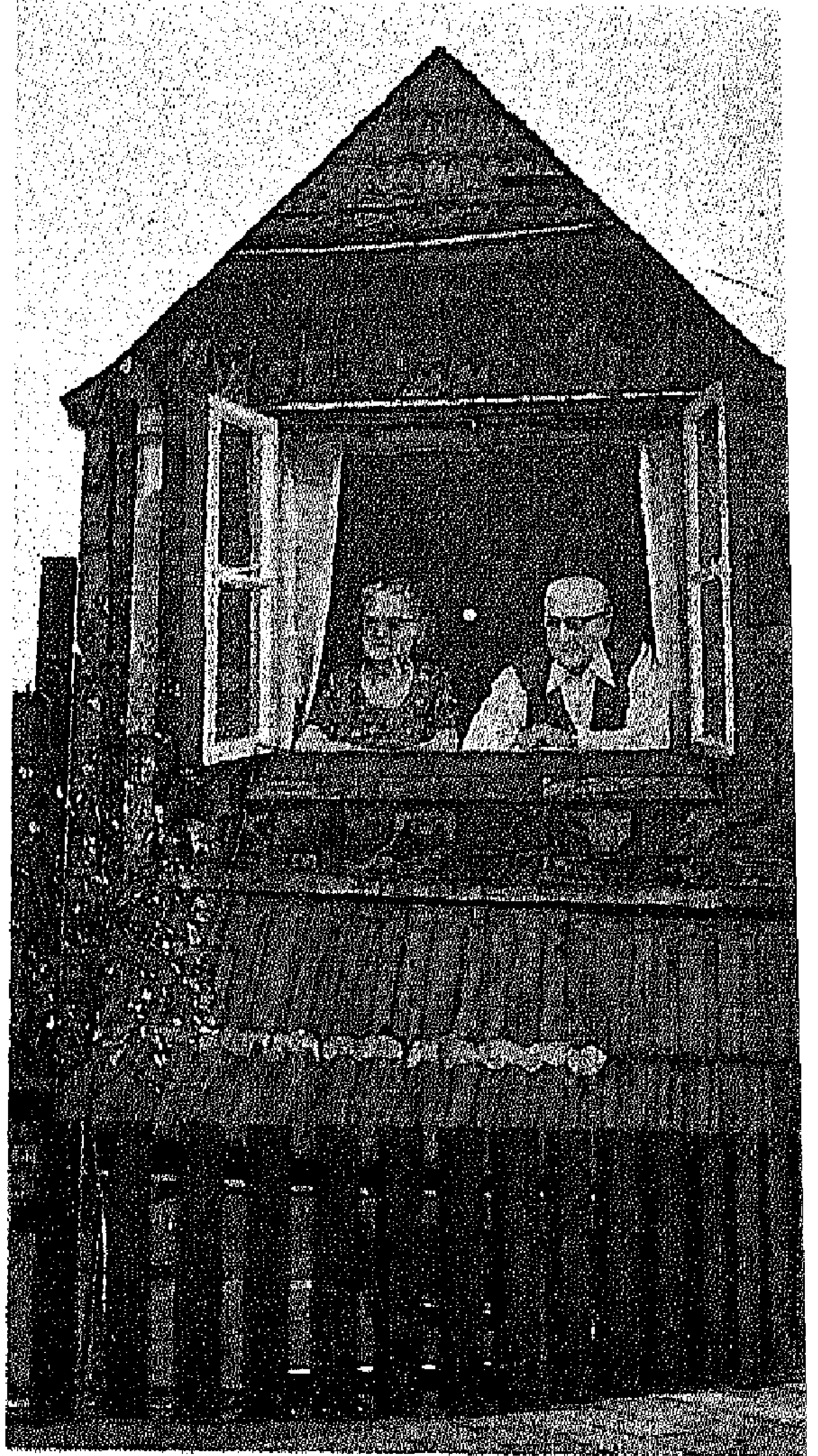
ج.س.ك.

امنية تلميذ

بعد عاصفة ثلج ادت الى تعطيل جميع المدارس، سأل معلم تلميذاً في الثامنة من عمره: "هل افدت من هذه العطلة لعمل شيء نافع؟" فأجاب الصبي: "اجل يا استاذ، لقد طلبت من الله ان ينعم علينا بثلج كثير".

ف.غ.ك.

وجوه باسمة لمدن كئيبة



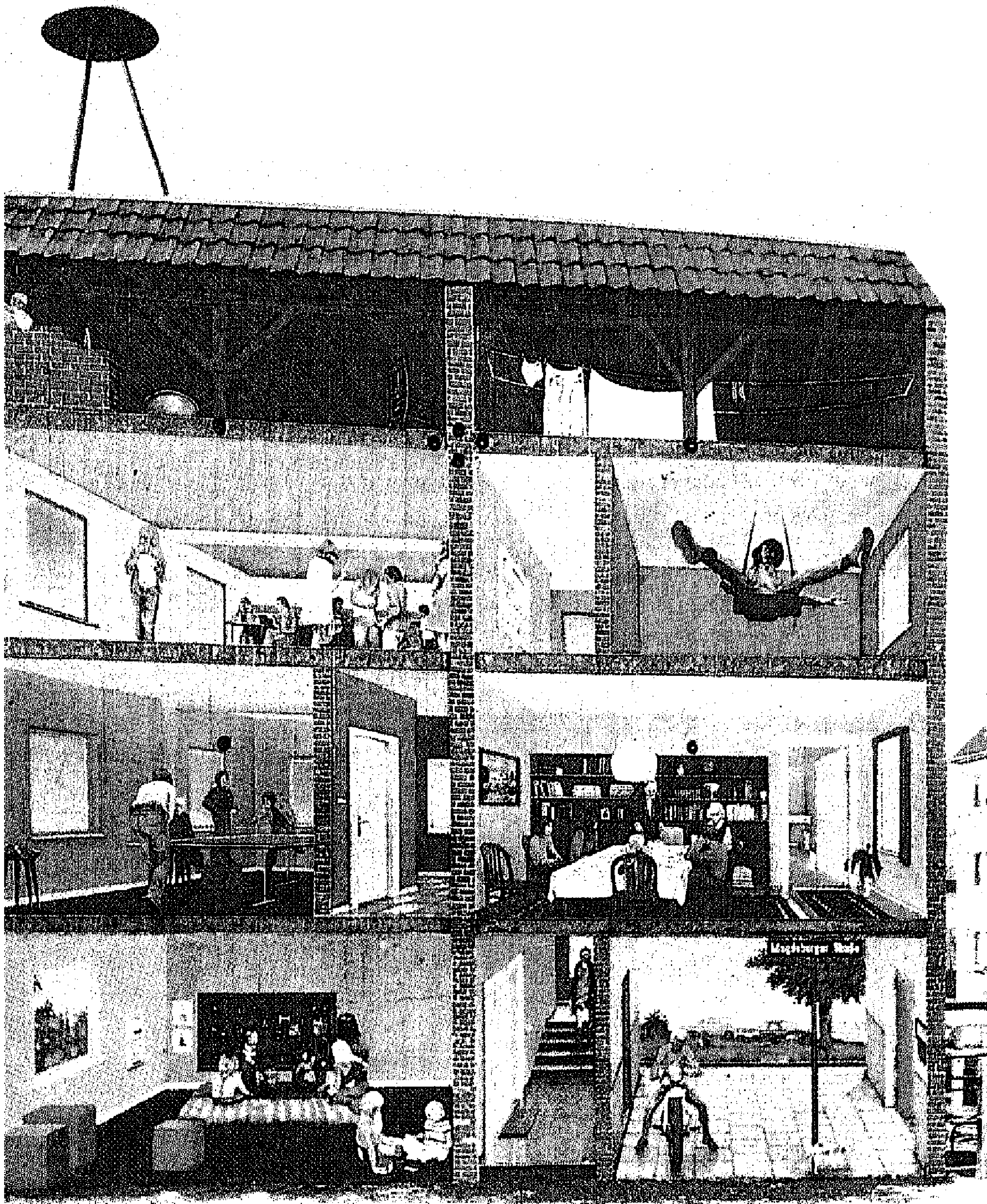
Volker Barthelmeh

زوجان مسنان عند نافذة كوخ، يشرف الرسم على تقاطع طرق مـزدحـم ويغطي جدار مأوى للعجزة. (بريمـن، المانـيـا الغربية).

في بريمن (المانيا الغربية) تسلق الفنانان ايلونا كرايمر وايرفن نواك سقالة على جدار ملجأ مهجور استخدم للاحتماء من الغارات الجوية خلال الحرب العالمية الثانية. وشرعا في الرسم على الجدار الخارجي تحت صفارة الانذار. كان ذلك في يوليو (تموز) ١٩٧٦. وفي الاسابيع التالية راح الناس يراقبون بروز صورة زيتية كبيرة. ولما اكتمل الرسم نال اعجاب الجميع. كان يمثل المنظر الداخلي للمساكن في بناء من أربع طبقات. وبحماسة طلب وجهاء المدينة من الفنانين الرسم على الجدران الفارغة الاخرى.

وراح فنانـو بريمـن، المحترفـون منهم والهواة، يشحـذون مـواهـبهم ويكرسون وقتهم لاشاعة البهجة في ◄

ملجأ استخـدم للاحتـمـاء من الغارات الجوية خـلال الحرب العالمية الثانـية، وقـد علته صفارة انذار. وعلى جداره لوحة تظهر مساكن اسر عدة. (بريمن، المانيا الغربية). **Wulf Brackrock**



دهانو البيوت "مددوا" هذا الشارع في مدينة لوكارنو السويسرية٠

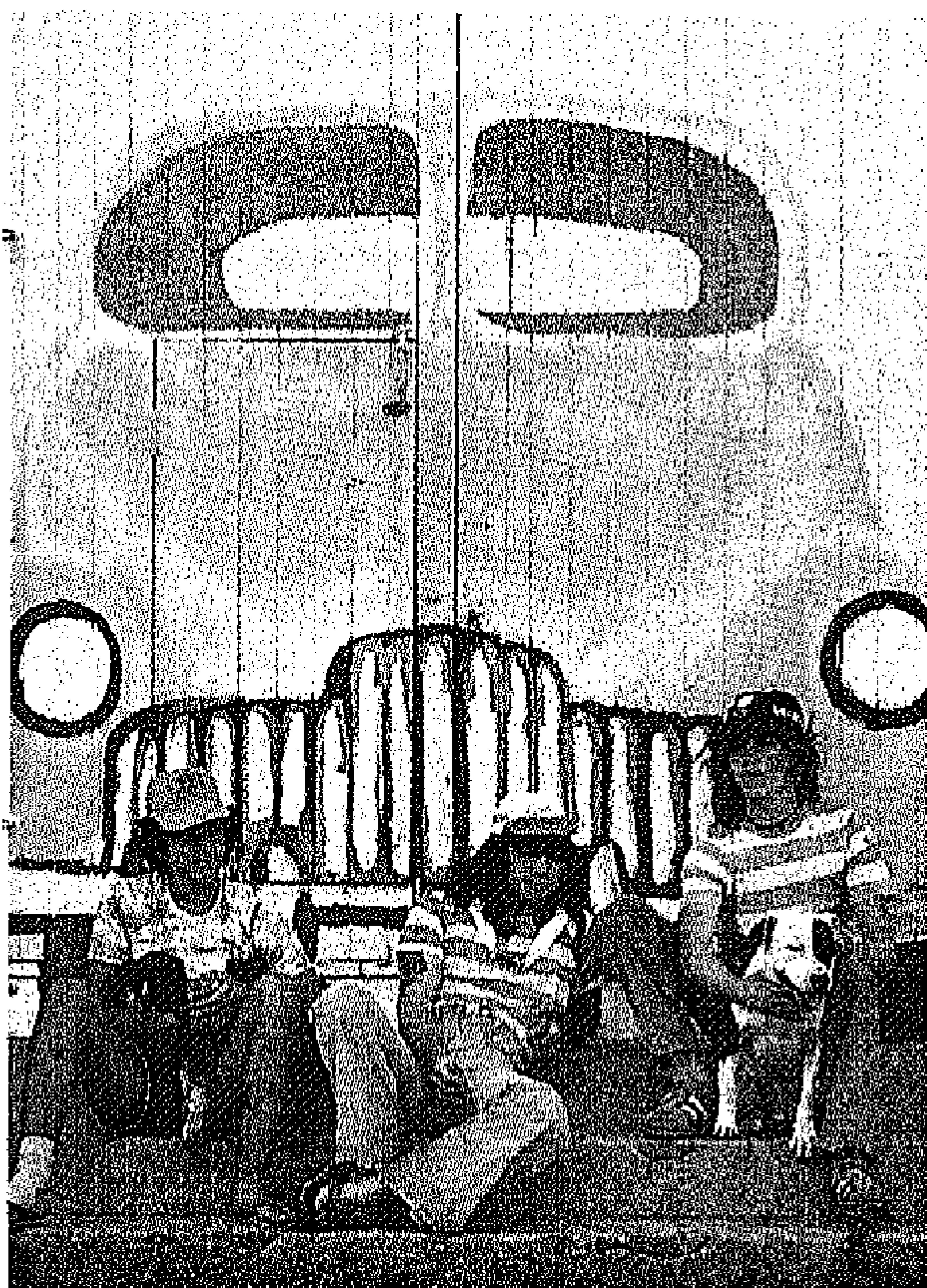
Beat Flatter

ثماني لقطات حول موضوع "الانسان وبيئته" تزين جدار احد المنازل في فرايبورغ (المانيا الغربية)٠

Franz Handschuh

كوخ سابق للجيش حوّله الصبية مزأباً خيالياً غريباً في سيذني (اوستراليا)٠ والصبية يشتركون في برنامج جماعي٠

Jennifer Steele




CH

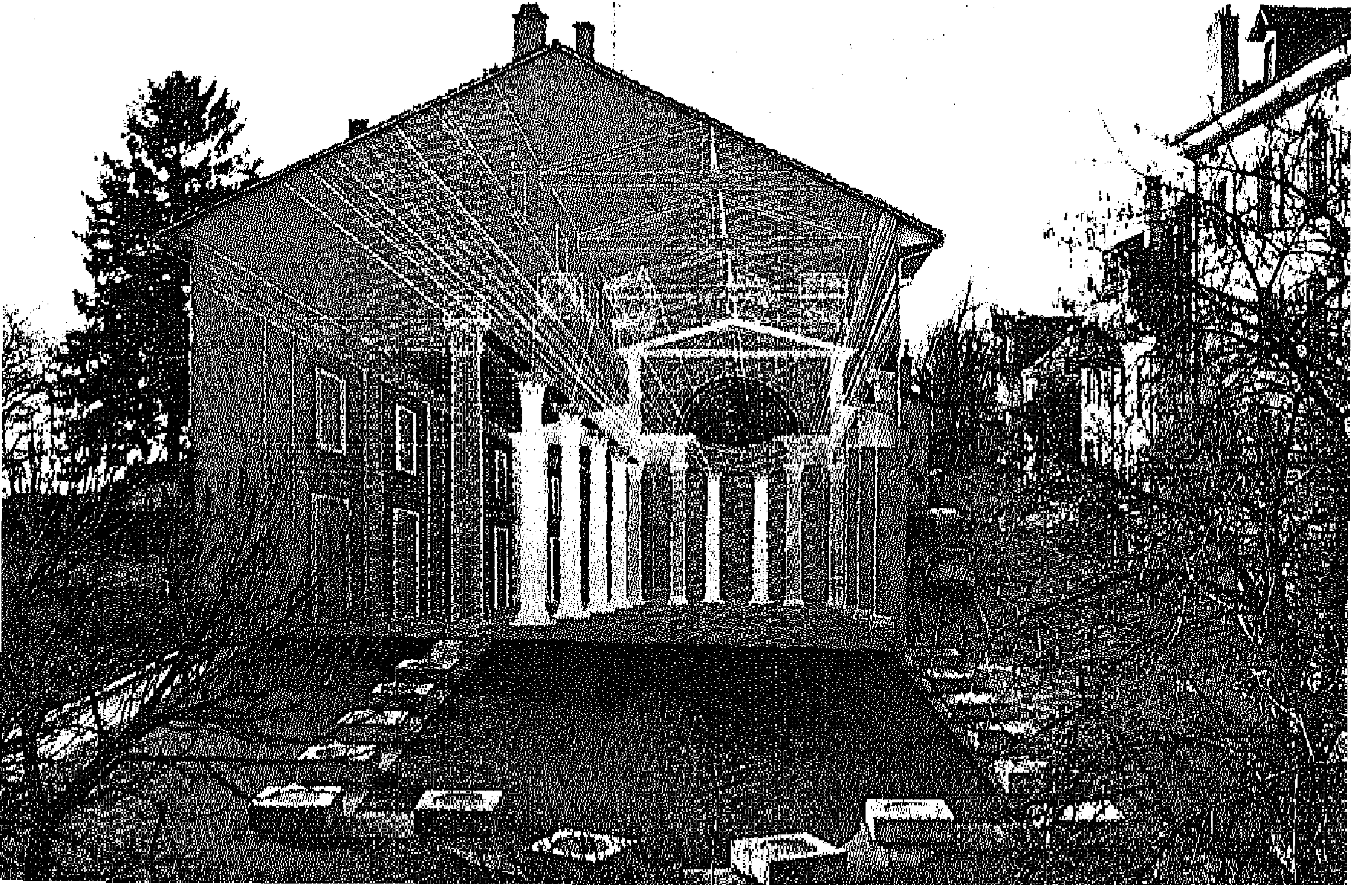


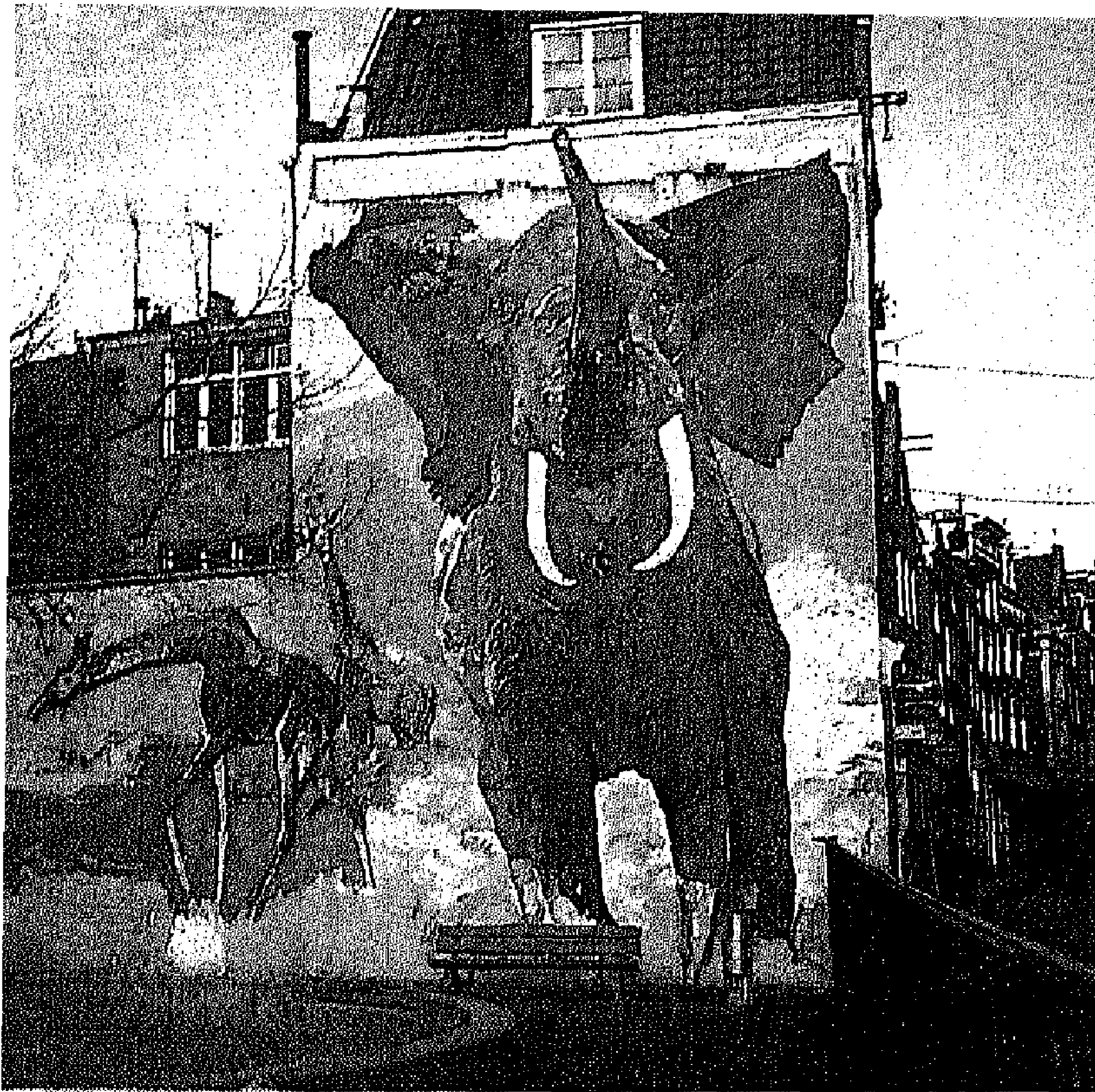
Graham Cooper and Doug Sargent, Phaidon Press, 1979.

حنين الى الماضي، مشهد في مدينة سويندون (بريطانيا) لجسر دهر منذ سنين.

Gabriel Poncet

على جدار المتحف الروماني في مدينة نيون السويسرية لوحة تبرز المنظر الداخلي لمبنى من القرن الاول للميلاد بني المتحف على انقاضه.





Dick Grob

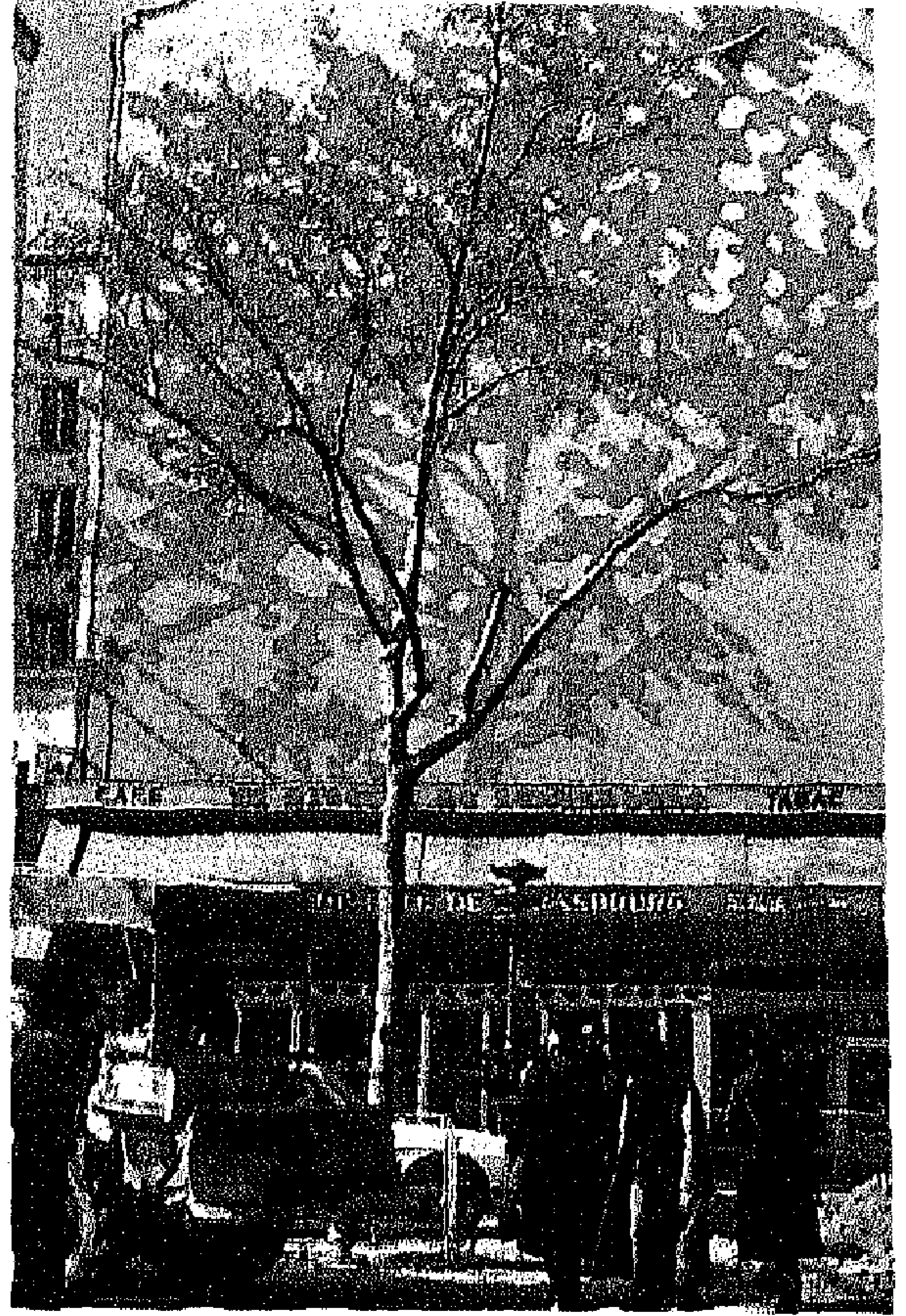
فيل يهجم في "الغابة"٠ رسمت هذه اللوحة حول ملعب في الحي القديم من مدينة امستردام (هولندا)٠

مرآب عمودي في فلينت (ولاية ميشيغان الامريكية) يوفر "مساحة اضافية" للوقوف٠

Bill Siel

The Flint Journal

Overflow Parking



B. Hericourt, Photographic Service

قرب مقهى باريسي شجرة لا تفقد اوراقها ابداً بفضل الرسوم على الجدار خلفها ٠

الاحياء الكئيبة٠ وتزهو رسومهم الجدارية اليوم في مدن العالم٠ وهي ليست للدعاية التجارية او السياسية، بل هي فن من نوع جديد٠

وهكذا تحولت جدران الاسمنت والآجر وصهاريج الوقود ومداخن المصانع والجسور قماشات رسم عملاقة ملأى بأشكال مجردة ورسوم أشخاص وحيوانات وأشجار وسوى ذلك٠

وفي فرنسا أعدت بلدية باريس قائمة بما يزيد على ١٠٠٠ جدار قبيحة المنظر، وقررت تجميلها بالرسوم٠

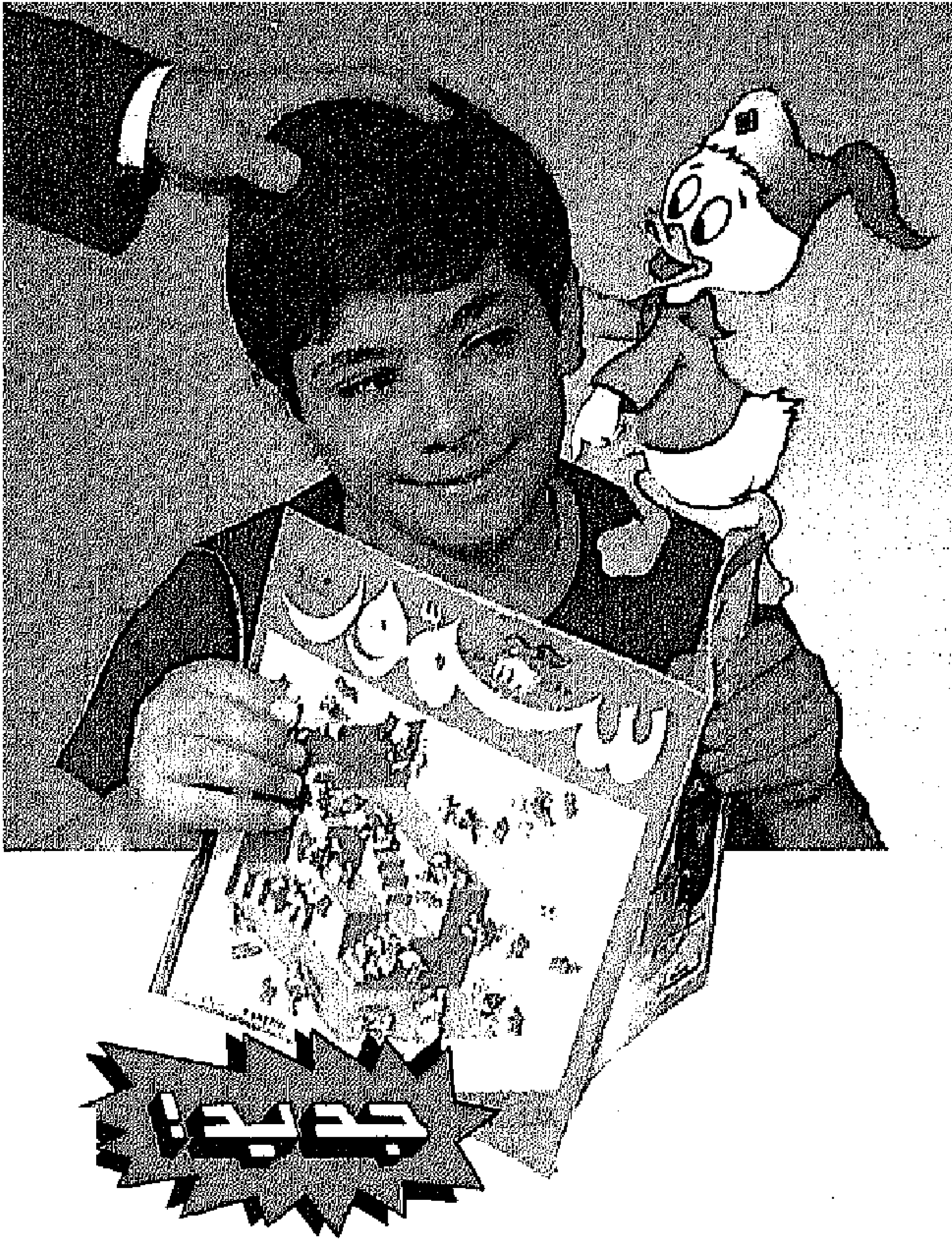
وطلب احد مخازن طوكيو من الفنانين الشبان ان يرسموا على جدرانه بانتظام٠ كما ان نزلاء أحد سجون اوراوا (اليابان) ادخلوا العالم الخارجي سجنهم برسمهم المناظر الطبيعية على جدرانه٠ وفي احدى ضواحي سيدني (اوستراليا) رسم أفراد ٢٦ قبيلة مناظر من تراثهم القومي على الجدران الخارجية لنادي البلدة٠

عرفت الرسوم الجدارية منذ ظهور رسوم الانسان الاول على الصخر٠ الا ان الرسوم الجدارية الحديثة برزت في الولايات المتحدة خلال فترة الستينات، حين أصبح الفن الشعبي والنقوش الجدارية رموزاً للتحرر٠ أما اليوم، فلهذه الرسوم هدف اجتماعي محدد: اخفاء المناظر القبيحة وكسر الرتابة في المدن وتسلية السكان واثارتهم اذ هم يواجهون مشاهد غير منتظرة في أماكن لا يتوقعون وجودها فيها٠

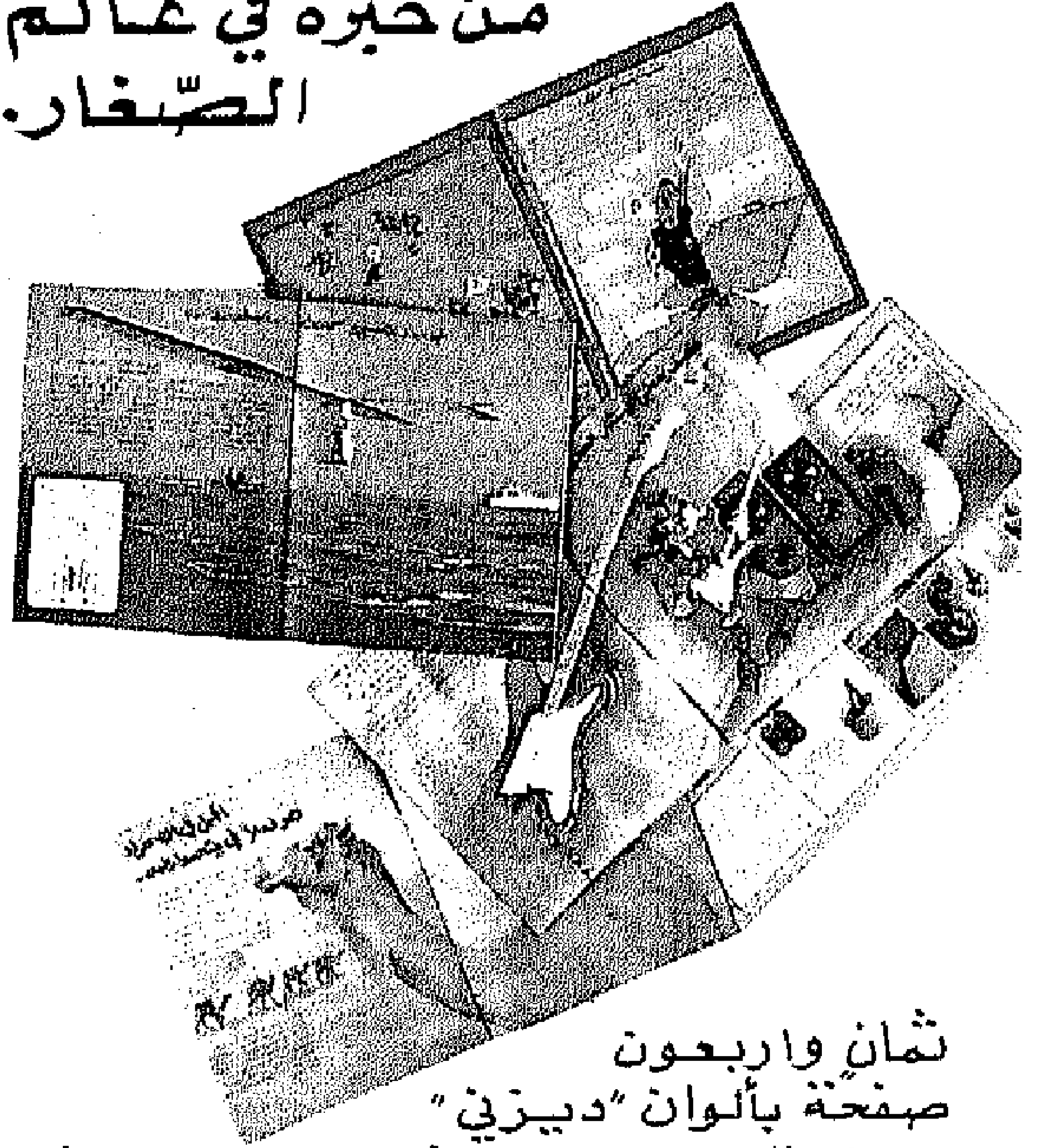
وأطلق الفن الجديد الرسامين من قيود معارض الفن ومتاحفه التقليدية٠ كما وفّر لهم مجالا رحباً للعمل وجذب جمهوراً أكبر٠ وليس عملهم سهلا: فالمطر يحدث خطوطاً في الرسوم، وتلقي الشمس ظلالا مزعجة عليها، وتهز الريح أيدي الرسامين، ولا يعمّر الرسم أكثر من ٢٥ سنة٠ الا ان المكافآت سخية٠ ويقول فريدريك ارنست فون غارنيه، أحد أشهر الرسامين الجداريين في المانيا الغربية: "الالوان توحي بالسعادة، وعملنا يستحق كل عناء حتى وان ابتسمت له قلة من الناس"٠

■ فرنسيس شيل

امنح اولادك المزيد من الفائدة كل شهر



صدرت "سمور" مجلة الفتيان الشهرية الرفيعة المستوى باللغة العربية تصدر بعد أن وضعت فيها مؤسسة "والت ديزني" أفضل ما لديها من خبرة في عالم الصغار.



ثمان واربعون صفحة بألوان "ديزني" الجذابة تغمر حياة فتيانكم بالفائدة والمتعة والسرور.

علاوة على ذلك، فان ادخال شخصيات "والت ديزني" على العديد من مواضيع المجلة يجعل اولادكم ينجذبون نحو اشياء يحبونها ربما تعجز المدرسة عن توفيرها لهم في كثير من الاحيان.

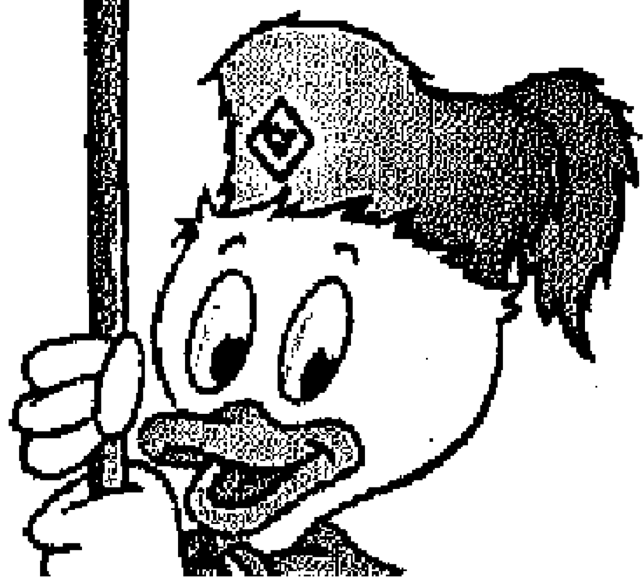
وكل عدد من سمور يحتوي على مواضيع متنوعة شيقة ومفيدة ومسلية

تضفي جوًا مليئًا بالسرور والمتعة والفائدة على جميع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم بين ٩ - ١٥ عامًا.

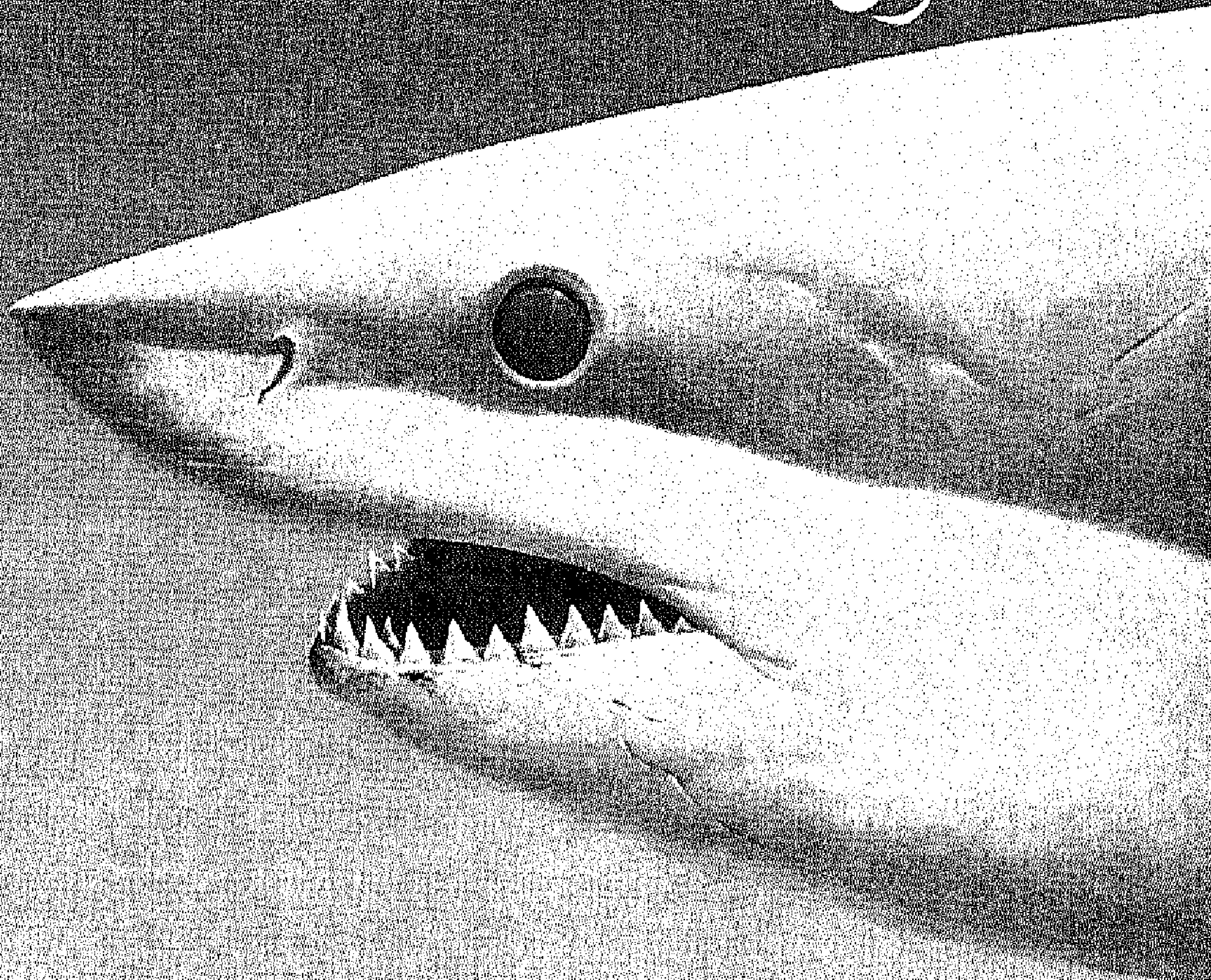
الأكثر من كل هذا هو انهم يتعلمون أشياء جديدة دائمًا.

فإن كان مبتغاك الحصول على الافضل لأولادك فما عليك سوى الحصول لهم على سمّور الآن.





حقائق وخرافات حول سمك القرش



يكفي ذكر اسم هذا الحيوان المفترس
لاثارة الرعب في النفوس،
لكن عدداً كبيراً
من القصص الشائعة حوله
هو من نسج الخيال.

في العام ١٩٦٨ أجريت دراسة احصائية في اوستراليا على الكلمات التي تثير انفعالات الناس أكثر من سواها. ومن الكلمات التي شملها الاحصاء: القتل، الموت، الحب، الاغتصاب، السم. الا أن الكلمة التي أحرزت قصب السباق كانت: "القرش".

وبعد سبع سنوات نزل الى السوق فيلم "جوس" الذي يتخلله عدد كبير من المشاهد المثيرة. وذلك أدى بكثيرين من عشاق البحر الى التمدد على الرمال ذلك الصيف، من غير أن يغطسوا في الماء. وما كاد الناس ينسون أخطار سمك القرش حتى أخرجت هوليوود فيلماً آخر يحمل الاسم نفسه.

ومن حسن الحظ أن المخاوف التي كونها الناس حول سمك القرش تقل كثيراً عن أخطاره. ذلك أن احتمال وقوع السابح ضحية لهذا النوع من السمك لا يتجاوز الواحد على خمسة ملايين. لكن الخرافات والافكار الشعبية الخاطئة حول سمك القرش لا تبارح مخيلات الناس.

هناك شخص بذل جهداً كبيراً لتوضيح هذه المسألة، هو عالم البحار الامريكي ديفيد بالدريدج الذي وضع كتاباً بعنوان "هجوم القرش". وهو اعتمد وثائق البحرية، دارساً ١١٦٥ حادثاً متعلقة بهجمات القرش، للتوصّل الى دحض بعض المزاعم والاوهام.

١. هناك نحو مئة حادث سنوياً، معظمها فتاك.

هذا خطأ. ففي السنوات الاخيرة بلغ معدّل الحوادث المسجلة حول العالم ٢٨ حادثاً في السنة. وبفضل تحسُّن العناية الطبية، انخفض عدد الوفيات من ٤٦ في المئة، وهي النسبة المسجلة عام ١٩٤٠، الى معدّل يراوح بين ١٠ و ٢٠ في المئة.

٢. معظم هجمات القرش تحصل على عمق يقلّ عن ١٥٠ سنتيمتراً تحت الماء.

هذا صحيح احصائياً. لكنه متعلق بنسبة توزع المستحمين على الشاطىء، اذ ان غالبيتهم لا تتجاوز هذا العمق. وهو لا يعني أن السباحة في المياه العميقة خالية من هذا الخطر. والواقع أن الوثائق البحرية تشير الى أن الخطر يزداد كلما ابتعد السابح عن الشاطىء.

٣. انّ سمكة القرش تلتهم ضحيتها فور الانقضاض عليها.

لقد وجد أن جنون الشراهة لا يتجاوز الـ٤ في المئة من الحالات، وان سمكة القرش، في ٨٠ في المئة من الحالات، تكتفي بتوجيه ضربة أو اثنتين الى ضحيتها ثمّ تذهب بعيداً.

٤. عندما تنتهي سمكة القرش من مهاجمة شخص، تنتقل الى الاشخاص الآخرين حوله.

هذا، عموماً، خطأ. والصحيح أنّ سمكة القرش تؤثر اختيار شخص واحد للانقضاض عليه، مما يعني أنّ محاولة المحيطين به انقاذه لا توقعهم في خطر.

٥. سمكة القرش تدور حول ضحيتها قبل الهجوم عليها.

تدل الشواهد على أنه، في حالين

من كل ثلاث حالات، لم تشاهد السمكة الجانية اطلاقاً قبل اجهازها على الضحية. وفي نصف الحالات التي شوهدت فيها، ظهرت وهي تنقض على ضحيتها مباشرة.

٦. اذا كان السابح ينزف، فهو أكثر تعرضاً لهجوم القرش.

ان أي علة كيميائية في الجسد تثير حواس سمك القرش. ولكن ليس صحيحاً ما يشاع أنّ "قطرة دم واحدة" تكفي لاثارة شراهة القرش. وتشير الوثائق الى أن عدداً كبيراً من سمك القرش ينقضّ على مستحمين غير مصابين بجروح، ثم يتركهم وهم ينزفون.

٧. القرش يهاجم الناس لسدّ جوعه.

ان أطرف نتيجة خرج بها بالدريدج هي أن نسبة ضئيلة من هجمات القرش تحصل بدافع سدّ الرّمق. وتجدر الاشارة الى أنّ القرش لا يتخيّر طعامه، بل يأكل كلّ ما يقع عليه، من العلب الفارغة الى الاوراق القاسية. وقد بينت الاحصاءات أنّ ثلثي الهجمات على الناس تنتهي بالفرار بعد عضة واحدة. وهذا يدحض النظرة القائلة بأن القرش معتد شره، يهاجم ضحيته ليلتهمها.

اذا كان الامر هكذا، فلماذا يهاجم القرش؟

في المياه المعتمة ربما كان القرش لا يستطيع تمييز ضحيته. أما التفسير الاكثر اقناعاً فهو أن سمكة القرش تنظر الى ضحيتها كمصدر خطر.

ويقول بالدريدج: "الطريقة الوحيدة التي يستطيع القرش انذارك بها هي فمه وأسنانه. وما الضربات القوية التي يسددها بخطمه والجروح الطويلة التي يشقها بفمه سوى طرق يهول بها عليك". وربما كان دافعه الى هذه الهجمات ان السابح، عن غير عمد، اعترض وكره أو منفذ هروبه أو سكينة المجامعة بين ذكره وانثاه.

٨. ما أن يتذوق القرش مقداراً ضئيلا من لحم الانسان حتى يصبح أكلا شرساً للحوم البشر.

هذا الاعتقاد ظهر نتيجة لسلسلة هجمات على شاطىء ولاية نيوجيرسي الامريكية عام ١٩١٦. ففي عشرة أيام فقط، قتل أربعة أشخاص وجرح واحد. وأسفر ذلك عن أكبر مطاردة في التاريخ ينظمها الناس ضدّ هذا العدو الماكر، وكانت حصيلتها اهلاك اعداد كبيرة منه. وعُثر في تلك الحملة على سمكة قرش بيضاء ضخمة، في داخلها بقايا لحم وعظم بشريين. والى تلك السمكة نسبت جميع الاحداث التي حصلت في تلك المنطقة آنذاك. وكان ذلك بداية لنظريات كثيرة عن القرش، جلّها مخطىء. وتجدر الاشارة الى أن ثلاثاً من هجمات نيوجيرسي وقعت في خلجان صغيرة كونتها حركة المد والجزر، وهي أماكن لم تقترب منها أسماك القرش البيضاء الضخمة. والحقّ أنّ هذا النوع من القرش متعطش للدم، وهو يفضل التهام الحيوانات اللبونة، كالحيتان وعجول البحر، أكثر مما تفعل الانواع الاخرى من جنسه.

هذا يعني أن الخطر على الانسان، كونه واحداً من الثدييات، يأتي من القرش الابيض الضخم أكثر مما يأتي من سواده. ويقول بالدريدج: "من الحماقة أن ترتدي سترة مائية سوداء وتسبح في أمكنة اشتهرت بوجود هذا النوع من القرش. فهو، اذ ذاك، سيخالك فقمة ويجعل منك وقعته الرئيسية".

ولكن يبقى من المستبعد جداً أن يصادف المرء سمكة قرش في ظروف عادية، أو أن تهاجمه احدى هذه الاسماك. ان عدد الاصابات الناجمة عن هجمات سمك القرش لن يتجاوز الثلاثين في العالم كله هذا العام، مع ثلاث اصابات قاتلة أو أربع، لا غير. ويضيف بالدريدج: "هب أنّ عدد الاصابات القاتلة سيبلغ ضعفي ما ذُكر، فأن الذهاب الى الشاطىء بالسيارة سيكون أكثر مدعاةً للخطر من النزول الى الماء" ذلك ان حوادث السير في الولايات المتحدة تقضي على قرابة ١٤٠ شخصاً يومياً.

■ ريغ براغونيير

المصابيح الكهربائية قد تحمل إليكم سرطان الجلد!

وسائل الانارة الحديثة تحمل اخطاراً على الصحة قد تؤدي الى الموت·
في حين ان النور الطبيعي يعزز الصحة ويشفي المرض في أحيان كثيرة

غمر السرور قلب آنيت مارا، من مدينة شيشاير الهادئة في ولاية كونيتيكت الامريكية، عندما علمت ان مدرسة اولادها الابتدائية اعتمدت جهازاً جديداً للانارة يوفر الطاقة· ولكن منذ مباشرة الدروس في خريف ١٩٧٨، بدأ ولدها تيمي (٩ سنوات) يشكو من ألم في عينيه·

وخفّ الالم في عطلة الشتاء غير انه عاود الصبي لدى استئناف الدروس· فقررت مارا ان تزور المدرسة وتبحث الامر مع معلمته التي، هي ايضاً، كانت تشكو احمراراً وألماً في عينيها منذ اعتماد الانارة الجديدة· واتضح ان ست عشرة معلمة من أصل ثماني عشرة في مدرسة نورتون الابتدائية كن يشكين اوجاعاً في الرأس واجهاداً في العينين·

وبدا ان مشاكل أخرى رافقت الانارة الجديدة· فعندما يضاء النور المنبثق من بخار الصوديوم ذي الضغط العالي (يحتاج الامر الى خمس دقائق للاحماء)، يندفع منه وهج اخضر قالت عنه المدرّسة لويز موزل وزميلاتها انه كان يثير لديهن الغثيان· كما شعرت المعلمات ان التلاميذ غدوا اكثر انفعالا والتهاء عن دروسهم منذ اعتماد الانارة الجديدة·

وفي يوليو (تموز) ١٩٧٩ نجحت السيدة مارا والمعلمة موزل في كسب تأييد أكثر من مئة من أهالي الطلاب، مما ادى الى ابدال الانارة الجديدة بأفضل منها.

منذما اخترع توماس اديسون المصباح الكهربائي قبل ١٠٢ سنة، قليلون هم الذين ظنوا ان هذه الاعجوبة قد تنطوي على ضرر. غير ان النور الكهربائي ليس نوراً طبيعياً، وربما الحق الاذى بصحتنا، خصوصاً ان ملايين الناس في عصرنا يقضون معظم ساعات عملهم داخل ابنية تنار بالمصابيح المتوهجة والفلورية وسواها من سبل الانارة المستحدثة.

كان النور الذي اخترعه اديسون هو النوع المتوهج الذي يستخدم حالياً في معظم المنازل. وهو ينتج من ارسال تيار كهربائي عبر سلك رفيع من الكربون، مما يؤدي الى احتكاك الالكترونات واحماء السلك حتى يسطع ويتوهج.

والنور المنبعث من هذه المصابيح يختلف كثيراً عن نور الشمس. فنور الشمس يرسل الوان قوس قزح يمتد طيفها عبر الموشور (١) من اللون البنفسجي الى الازرق فالاخضر فالاصفر فالبرتقالي فالاحمر. وفي نور الشمس موجات لا تراها العين البشرية وتقع في طرفي الطيف، وهي الاشعة فوق البنفسجية والاشعة تحت الحمراء. أما الضوء الاصطناعي المتوهج فهو لا يفتقر الى قوة الاشعاع فحسب، بل ان معظمه يتألف من النور الاصفر والبرتقالي والاحمر.

والنور الفلوري الشائع الذي طور في الثلاثينات، هو أكثر فاعلية من النور المتوهج، لكنه يظل مثله اصطناعياً. ويتكون مصباحه من انبوب زجاجي معبأ بغاز "الارغون" وبخار الزئبق. وعندما يمر التيار الكهربائي عبر الانبوب تتهيج ذرات الزئبق فتعطي لوناً ازرق وأشعة فوق البنفسجية. وطبقة الفوسفور التي يطلى بها الانبوب من الداخل هي التي "تفلور" او تعطي النور عندما تطرقها الاشعة فوق البنفسجية. ان قوة ٤٠ واط في المصباح الفلوري تعطي نوراً يعادل قوة ١٥٠ واط من المصباح المتوهج.

ويمكن المصابيح الفلورية ان تعطي اي لون او اي خليط من الالوان بمزج مقادير مختلفة من انواع الفوسفور. الا ان مبتكري المصباح الفلوري الاوائل اعتمدوا النتائج العلمية التي تثبت ان عين الانسان هي أكثر تأثراً بالنور الاصفر ـ الاخضر، فصمموا مصابيحهم كي تعطي هذين اللونين اللذين يؤلفان اللون "الابيض الهادىء" المعروف اليوم في المصباح الفلوري. كذلك فان مصباح الصوديوم ذي الضغط العالي يبث النور عن طريق تيار كهربائي يهيج ذرات الصوديوم فتعطي نوراً ساطعاً اصفر ـ أخضر من دون حاجة الى الفوسفور.

الاشعاع القاتل ـ تبين للباحثين في حقل "الضوء الحيوي" (٢) ان الكائنات الحية تستعمل الضوء

---

(١) الموشور بلور هرمي الشكل يفصل نور الشمس الى الوانه السبعة التي تشكل الطيف.

(٢) علم يبحث في تفاعل الضوء مع الحياة.

الطبيعي بطرق غير متوقعة، وان الضوء الاصطناعي قد يفسد كثيراً من التوازنات الجسدية الدقيقة.

فماذا يحدث للاشخاص الذين يقضون اوقاتهم داخل الابنية حيث الضوء الوحيد هو المنبعث من المصابيح الكهربائية؟

عالمان امريكيان اجريا بحوثاً للاجابة عن هذا السؤال هما ريتشارد ورتمان، مدير مختبر الاعصاب والغدد الصم في معهد ماساتشوستس التكنولوجي في كامبريدج، وروبرت نير من مستشفى ماساتشوستس العمومي. فدرسا حال المسنين المقيمين في "دار الجنود" في تشلسي بالقرب من بوسطن. ووجدا انه كلما اشتدت قسوة الشتاء راح المقيمون يشكون ضعفاً في قدرة اجسامهم على امتصاص الكالسيوم، وهو معدن حيوي للعظام والاسنان.

وطلب ورتمان ونير من نصف هؤلاء الرجال ان يمضوا ثماني ساعات يومياً في غرف انيرت بمصابيح فلورية خاصة تقلد نور الشمس الطبيعي. وخلال شهر واحد ازداد امتصاص الكالسيوم لدى هؤلاء بنسبة ١٥ في المئة. اما زملاؤهم الذين بقوا في اجواء الضوء العادي المنبعث من المصابيح المتوهجة او الفلورية، فانهم خسروا ٢٥ في المئة من قوة امتصاصهم للكالسيوم، تلك القوة الضعيفة اصلا.

وفي ضوء هذه النتائج، يقول ورتمان: "ان الانارة الداخلية الجيدة قد تكون عاملا صحياً يساعد في تدارك النقص في المواد المعدنية في العظام - خصوصاً لدى المسنين - الذين لا يتعرضون على نحو كاف لنور الشمس الطبيعي".

عرف العلماء منذ زمن بعيد ان الافراط في التعرض للاشعة فوق البنفسجية المنبعثة من الشمس قد يؤدي الى السرطان. والضوء الفلوري العادي يصدر، هو ايضاً، النور فوق البنفسجي، ولذا حذّر عالم الفيزياء الحيوية آلان اندرسن، من قسم الصحة الاشعاعية في ادارة الاغذية والعلاج الامريكية، من ان الضوء الفلوري غير المزود بحجاب واق قد يزيد كمية الاشعاع فوق البنفسجي الاسبوعية التي يتعرض لها موظفو المكاتب بمقدار خمسة في المئة. وهو يظن ان الكميات الاضافية من الاشعة فوق البنفسجية ربما ادت الى سرطان جلدي لدى الاشخاص الشديدي الحساسية.

وما يقلق أكثر هو ان البحوث التي أجراها اندرسن وعلماء آخرون اثبتت ان موجات الضوء الفلوري يمكن ان تؤدي الى تغييرات جينية (وراثية) خطرة والى السرطان او موت الخلايا في كائنات عدة، بينها الانسان.

الاجهاد الضوئي - حتى وان يكن الضوء الاصطناعي غير خطر في ذاته، فان تعرضنا له قد يكون مؤذياً. فللكائنات الحية "حاسة سادسة" لمعرفة الوقت، والنور هو احد عناصر هذه الحاسة. ونحن، ككل كائن حي، لنا نظام دوري يشمل ارتفاع الحرارة وانخفاضها بانتظام كل أربع وعشرين ساعة، اضافة الى التغيرات في كيمياء الجسم وسوى ذلك.

فماذا يحدث لاجسامنا التي

انتظمت وراثياً بالاستجابة لشروق الشمس وغروبها، عندما تتعرض للنور الكهربائي الذي يشع فجأة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل؟ ما يمكن حدوثه هو خلل في هذا النظام الدوري كالذي نشهده في فقدان الحس الزمني لدى ركاب الطائرات.

فعندما يسبب الضوء الاصطناعي اضطراباً في نظام اجسامنا ويعطل الانسجام بين الوظائف الحيوية، تكون النتيجة ما سماه ثلاثة من علماء المانيا الغربية في علم الضوء الحيوي "الاجهاد الضوئي". فقد اكتشف هؤلاء ان الضوء الاصطناعي يمكن ان يؤدي الى تغيرات حيوية وكيميائية في جسم الانسان مشابهة للتغيرات التي يحدثها الاجهاد الجسدي. وأجرى الدكتور ورتمان قياسات لاعراض هذا الاجهاد في الكائنات الحية لدى تعرضها للضوء المنبعث من بخار الصوديوم ذي الضغط العالي.

وقد يكون للضوء الاصطناعي أثر في ملايين النساء في بلدان امريكا الشمالية وأوروبا الغربية. فالبنات في هذه البلدان يبلغن النضج الجنسي قبل أشهر ـ او حتى سنين ـ من السن التي نضجت فيها جداتهن. ويشير العلماء الى ان هذه الظاهرة الجديدة في المناطقالشمالية المثلجة انما هي أمر طبيعي في المناطق الاستوائية المشمسة حيث يندر ان يتأثر نور النهار بتغيرات الفصول. ويعتقد علماء عديدون انه لو اشعل النور في ليالي الشتاء الطويلة، لادى الضوء الكهربائي الى تغيرات بيولوجية في عملية نضج المرأة في امريكا الشمالية وأوروبا الغربية.

ويقول الدكتور ورتمان: "العلم لم يحقق سوى القليل في مجال حماية المواطنين من أضرار النور. فأهل الحكم والصناعة مسؤولون عن تعرض الناس ـ من دون درايتهم ـ لخطر الضوء، وكأنما هي تجربة طويلة الامد لمعرفة تأثير الضوء الاصطناعي في الحياة البشرية". وهو يأمل "ان يتغير هذا الموقف اللامبالي. فالنور عامل أساسي في حياة الانسان، وعلينا ان نعيره اهتماماً أكبر ونستثمره على نحو أفضل".

والواقع ان النور يعزز الصحة ويمنع المرض ويشفي في أحيان كثيرة. فالنور الازرق يساعد في شفاء نوع من اليرقان (الصفيرة) لدى الاطفال المولودين قبل أوانهم. كما تمكن معالجة القوباء بنور فلوري ابيض خفيف. أما داء الصدف (٣) فتمكن معالجته باعطاء المريض عقاراً يزيد حساسيته للنور، ومن ثم يعرّض جلده لموجات خاصة من الاشعة فوق البنفسجية.

ونحن الآن في بداية فهمنا لطريقة تأثير النور الطبيعي والاصطناعي في صحتنا. فما هي الخطى التي يجدر بنا اتخاذها كأفراد وكمجتمع؟

١. من الضروري اطلاع الجمهور على الاخطار التي يتعرض لها من النور الاصطناعي. اذ اثبتت التجارب ان اشعة المصابيح الفلورية تزيد من احتمال الاصابة بسرطان الجلد لدى ذوي الحساسية. وفي امكان الحكومات ان تفرض وضع لاصق محذر على المصابيح الفلورية، وان توصي

(٣) القوباء وداء الصدف مرضان جلديان.

باتخاذ اجراءات لتقليل الخطر، كوضع اغطية بلاستيكية حول المصابيح لكبت الاشعة فوق البنفسجية.

٢- في امكان المكاتب والمعامل والمدارس تخفيف اضرار النور باعتماد المصابيح الفلورية ذات الطيف العريض بدلا من الطيف الضيق للمصباح الفلوري ذي النور "الابيض الهادىء" المعتمد حالياً. ويمكن تخفيف الجهد الضوئي بمزج النور الفلوري بالنور المتوهج في البيوت والمدارس وأماكن العمل. واذا امكن تأمين نور الشمس من النوافذ وكوى السطوح فهذا افضل الحلول.

٣- الخطوة الاهم هي ان نتحمل نحن مسؤولية صحتنا، فنقضي بعض الوقت يومياً تحت اشعة الشمس الطبيعية. فنور الشمس يغذي اجسامنا ويساعدنا في الانسجام على نحو أفضل مع انظمة الطبيعة. وفي انتظار التوصل الى معرفة تأثيرات الضوء الاصطناعي، علينا ان نتذكر اننا نتاج نور الشمس لملايين السنين.

من هنا فنحن جميعاً ابناء الشمس نعتمد على نورها الدافىء اكثر مما نتصور.

■ لويل بونتي



تفسير واقعي

سأل زائر معرض فني فتاة تقف الى جانبه اذا كان الرسم الذي ينظر اليه يمثل شروق الشمس أو غروبها. فأجابت: "انه يمثل الغروب. فالرسام صديقي، وأنا أعرف أنه لا ينهض باكراً".

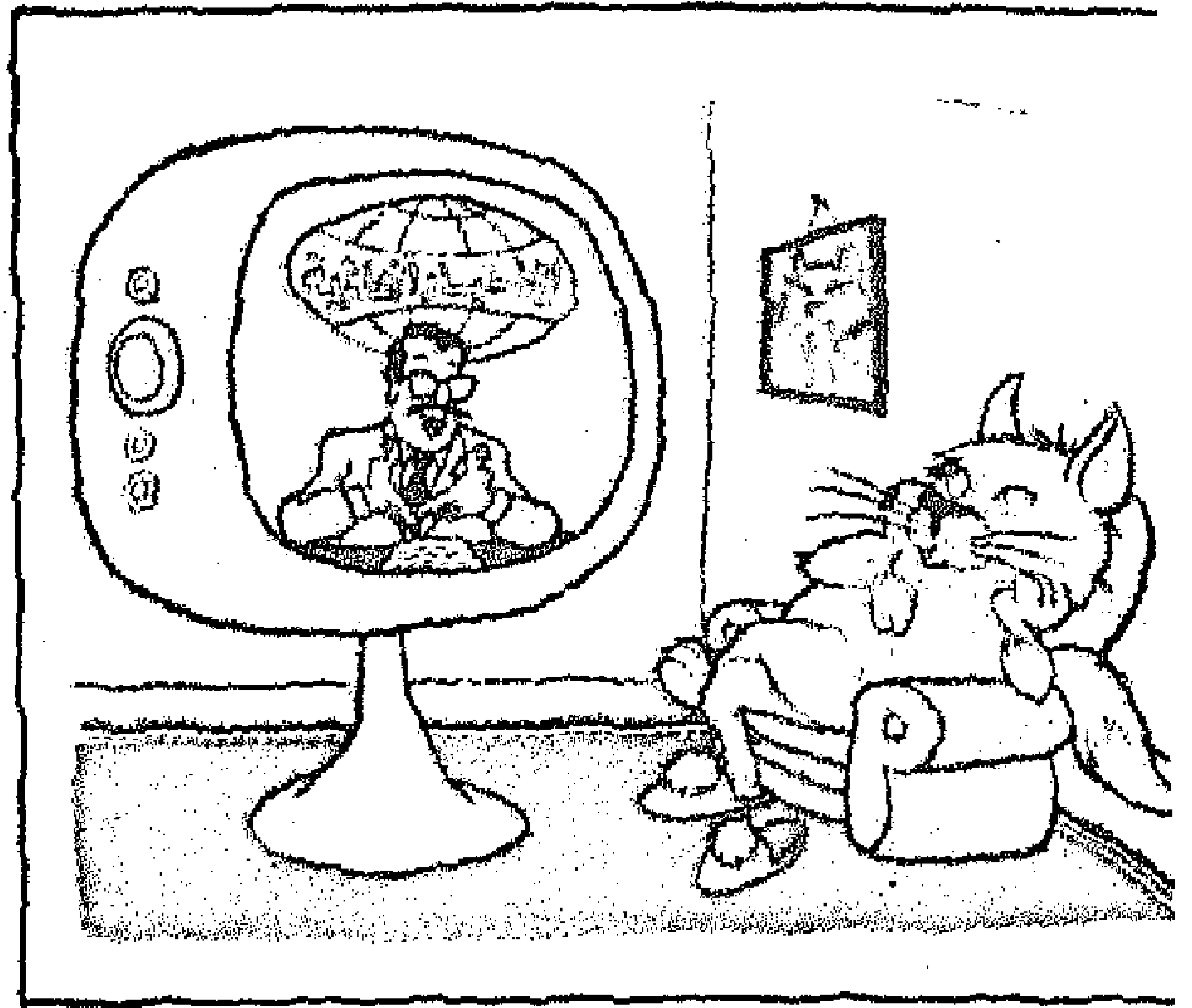
د.ه.

جنة العميان

افتتح في مدينة هامبورغ الالمانية ملعب قد يكون الوحيد من نوعه في العالم. ذلك انه مخصص للاولاد العميان والذين يعانون مشكلات بصرية. وفي وسع المرء ممارسة ٣٤ رياضة مختلفة على أرض تبلغ مساحتها نحو ألفي متر مربع. وهناك اشارات مصنوعة من الاسمنت ومواد مشابهة تدل على الاتجاهات. وبعد أخذ الاحداث العميان الى المكان الذي يريدونه، يمكنهم الانزلاق او التأرجح او التسلّق او القفز او الزحف أو رمي الكرات على الحائط وسوى هذه من الرياضات.

والملعب تابع لمدرسة هامبورغ للعميان والمعاقين بصرياً. وتدير المؤسسة أيضاً مدرسة ثانوية وأخرى مهنية وحديقة أطفال، تقوم احداها الى جانب الاخرى. وتضم هذه المدارس جميعاً نحو ٣٠٠ تلميذ.

ف.د.



حكايات من العالم

دماغ ثرثار

الادمغة الالكترونية الناطقة باتت واسعة الانتشار، الا أن معظمها لا يحوي أكثر من ٢٠٠ كلمة وشبه جملة. وقد توصلت شركة "فوتراكس" الامريكية أخيراً الى ابتكار دماغ الكتروني ينطوي على عدد غير محدود من المفردات.

هذه الآلة الجديدة يمكن حملها باليد، وهي تحوي رقاقة ألقمت معلومات تمكنها من النطق لمساعدة للاشخاص العاجزين عن الكلام. وما على حامل الآلة الا أن يضغط أزراراً أبجدية لتأليف الكلمات والجمل التي يريد التعبير عنها، فتتحول هذه أصواتاً تنطق بها الآلة عبر مكبر وُضع داخلها.

مجلة "ديسكافر"

شعب شريف

انقضت قرون لم تحصل خلالها جريمة في قرية زارم الهندية. ويزعم سكان القرية أنه قبل مئات السنين، كان اذا قُبض على لصّ في قريتهم وضع داخل حفرة بحيث لا يظهر منها سوى رأسه. وكان يُترك هكذا حتى يعترف بذنبه ويقطع عهداً بعدم السرقة مرة اخرى. وهذا سبب خلوّ قرية زارم من الجرائم حالياً.

وخلال أحد مهرجاناتهم السنوية، يؤدي فريق من سكان زارم تمثيليات في الهواء الطلق عن ذلك التقليد، قاصدين تكريم أسلافهم من ناحية وردع من تسوله نفسه السرقة من ناحية اخرى.

وتجدر الاشارة الى أنّ أهالي زارم يسمحون بقطف الثمار الناضجة من حدائقهم، شرط أن توضع بذارها تحت الاشجار التي قُطفت منها، وهكذا يتمكن صاحب الحديقة من زرع شجرة جديدة.

صحيفة "انديان اكسبرس"، بومباي

كما في الكوابيس

ان فندق هيلتون في جزيرة ترينيداد في البحر الكاريبي (جزر الهند الغربية) احد اغرب فنادق العالم، فهو يقف رأساً على عقب! ذلك أنّ النزلاء يدخلون الفندق من السطح وينحدرون الى غرفهم في الطبقات السفلى. وهو معلق بقمة جرف يشرف على منطقة خضراء تقوم عليها احتفالات سنوية بهيجة.

ب.ب.

"بوب ـ كورن" مثلج

في أسفل الارض التي تقوم عليها جامعة لويزيانا الحكومية في الولايات المتحدة بحيرات تقطنها أسراب من البطّ. وتمكن مشاهدة البطّ في أي مكان من الجامعة وهو يتهادى فاتحاً فمه لالتقاط ما يرميه له الطلاب من البوشار (بوب ـ كورن).

وذات يوم سقط الثلج على نحو غير متوقّع، وخرج البطّ بأعداد كبيرة، فاتحاً فمه للالتقاط حباته.

اب.ر.

تكشف حتى الاحشاء

ان تكنولوجيا الادمغة الالكترونية المتطورة في اليابان جعلت السرقة من محلات الاغذية الكبيرة (السوبر ماركت) أمراً مستحيلا، كما قضت على أخطاء المحاسبين والانتظار الطويل لتسديد الحساب. ففي مخزن "اوكي" للاغذية في طوكيو، يجرّ الزبون عربة تحمل بطاقة من البلاستيك ويتناول السلع من رفوف مغطاة بالزجاج. وعليه أن يضع البطاقة، وهي أصغر قليلا من ورقة النقد الورقية وتحمل رقماً مغناطيسياً، في فتحة الى جانب السلعة التي يودّ شراءها، ثمّ يضغط زراً للحصول على السلعة.

وقد وصلت الرفوف المغطاة بدماغ الكتروني يحمل أسعار جميع السلع. ولدى وضع البطاقة في المكان المناسب، يسجل ثمن السلعة عليها. وبعد الفراغ من التبضّع، يسلم الزبون بطاقته الى المحاسب الذي يدخلها آلته للحصول على المجموع.

ويقول أحد مسؤولي شركة "باس" الهندسية التي ابتكرت تلك الطريقة ان" السرقة غير ممكنة "فكل" سلعة يسجل ثمنها على البطاقة، حتى وان خبأها الزبون أو أكلها".

صحيفة "صنداي تايمس"، لندن

راجعة باذن الله

هل يجعلك الاصغاء الى الراديو في سيارتك تقود بأمان أكبر؟

الجواب هو "نعم" بالنسبة الى دراسة أجريت على أحداث السير خلال عطلة الصيف في ولاية ميتشيغان الامريكية. وفي حين ان هذه الأحداث ازدادت بنسبة ٣٣ في المئة خلال العقد الممتد من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٨ عما كانت خلال العقد السابق في الولايات المتحدة ككل، الا انها في ميتشغان سجلت هبوطاً بنسبة ٦ في المئة خلال الفترة نفسها. والسبب ان اذاعة خاصة أنشأها نادي السيارات في الولاية أخذت تبث، منذ ١٩٦٥، برنامجاً موجهاً الى سائقي السيارات خلال عطلة الصيف، بمعدّل دقيقة في الساعة، وذلك بين التاسعة صباحاً والحادية عشرة ليلا. ويشمل البرنامج تقارير عن أحوال الطرق وازدحام السير وأماكن وجود الفنادق والأراضي المخصصة للتخييم ومعلومات اخرى حول القيادة السليمة.

ل.ب.

في خدمة الشعب

بدأ كثيرون من مخططي المدن الالمانية يتجنبون عرض الفن التجريدي في أماكن تجمهر المواطنين، كالاسواق والساحات العامة ومعابر المشاة. ويذهب المخططون الى القول بأن الفن يخدم الشعب على نحو افضل عندما يذكره بجذوره المحلية ويحمله على الابتسام. لذلك رفع في ساحة قرية ستمبفلباخ، التي تعيش على كرمتها، نصب يمثل الشارب المرح. مدينة ميونخ اقيم تمثال خادمة وسط سوق الخضر. أما بلدة فايبلينغن فبني فيها سبيل ماء أمام دائرة الضرائب القديمة، يرتفع فوقه تمثال مزارع يضحي بدجاجته الاخيرة على مذبح الضريبة.

م.ا.

اقزام السهول القطبية

ان أشجار الصفصاف القزمة في سهول غرينلاند القطبية هي من أقصر الاشجار في العالم. ويراوح ارتفاع الواحدة منها لدى بلوغها بين ٢٥ مليمتراً وخمسة سنتيمترات.

اسحق عظميوف

قال الصغير:
"هذا هو جدي.
انه لا يرى
ولا يسمع ولا يتكلم،
لكنه يقدر
ان يفعل كل شيء"


سيسيل وحفيده جوي.

العملاق الصامت

ولد سيسيل ستارشر في ٧ فبراير (شباط) ١٩٠٧ في سبنسر، غرب ولاية فرجينيا الامريكية. وهو اصم وابكم منذ الولادة. وقد فقد بصره في ما بعد.

عشق ستارشر العمل الشاق، ونجح دائماً في تدبر اموره. وفي السابعة من عمره كان يرعى الماشية في مزرعة والديه. وفي التاسعة ارسل الى مدرسة حكومية داخلية للصم، حيث امضى معظم السنوات الاحدى عشرة التالية. وفي مرحلة المراهقة لم يمض ستارشر عطلة صيف واحدة من غير ان يعمل. وفي الخامسة عشرة ساعد والده في بناء منزل جديد. ولما نفدت اموال الاب اقرضه سيسيل ٥٠ دولاراً.

وفي العام ١٩٣٨ شيد سيسيل بيته الخاص على بعد عشرة امتار من منزل والده. وكان يعمل في بنائه كلما توافر لديه مبلغ من المال. وهو لم يستدن ابداً. وتلك هي الطريقة التي اتبعها طوال حياته.

وفي ١٩٣٥ تزوج غلاديس بيليبس، وهي صماء ايضاً. وفي ١٩٣٨ رزقا ابناً دعوه سيسيل الابن. وتوفيت غلاديس عام ١٩٤٢ بعدما وضعت طفلا ميتاً. وبعد فترة قصيرة التقى ستارشر كاترين هدريك، وهي خريجة مدرسة الصم التي تعلم فيها. وتزوجا عام ١٩٤٥، وانجبا ابنتين هما شارلوت وجيني.

واحب سيسيل الناس. فكان كل

يوم سبت يمشي المسافة القصيرة التي تفصل بيته عن التقاطع الرئيسي في سبنسر، ثم يقف هناك حاملا كراسته، ويحيي عشرات الاصدقاء الذين يمرون به، واذا لم يدرك هؤلاء ما كان يحاول قوله، او اذا لم يقدر هو على قراءة شفاههم، كان يكتب لهم على كراسته، فهو يريد الاطلاع على احوالهم: هل حصل الابن على عمل؟ هل تحسنت صحة الزوج؟ هل عادت الزوجة من زيارة والديها؟ ثم يجلس مع بعض معارفه القدامى، وبشغف يتتبع احاديثهم بعينيه.

وفي ١٩٥٧ بدأ سيسيل يعاني صعوبة في الرؤية ليلا، وغدت الاشياء غير واضحة المعالم لناظريه، كان عليه ان يحدق بعينين نصف مغمضتين، وان يقرب الصحيفة الى وجهه كي يقرأ، وكشف فحص اجراه لدى طبيب العيون تدهوراً في شبكيتي عينيه لا يمكن وقفه.

وكان سيسيل آنذاك يعمل في مصنع للمطاط، فادرك ان شح بصره قد يؤدي به الى ارتكاب خطأ في تحديد العناصر الكيميائية في عجنة المطاط، وانه لن يتحمل مجرد التفكير في ذلك، فأخبر مديره قائلا: "ان حال عيني تسوء، ومن الافضل ان اترك العمل"، ولم ينس سيسيل ذلك التاريخ قط: ١١ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٨.

التشبث بالحياة - فقد سيسيل بصره كلياً وهو في الثانية والخمسين، فغرق في كآبة عميقة، ولم يكن في وسعه تولي اي وظيفة، ومع ذلك ابت عليه كبرياؤه قبول مساعدة وزارة الشؤون الاجتماعية، وعاشت الاسرة على مخصصه التقاعدي الشهري وعلى مدخراتها.

وقرر سيسيل السير في المدينة مستعيناً بالعصا، غير انه عجز عن قراءة شفاه اصدقائه، وحار معارفه كيف يتحدثون اليه بالاصابع على يده، وضل طريقه، فكان لا بد من ارشاده الى البيت، وازعجه الاعتماد على الآخرين، فقرر الا ينزل الى المدينة ثانية، وهكذا فقد سلواه الوحيدة الباقية.

وغدا سيسيل سريع الغضب، مما اقلق زوجته كاترين، فاخفت بندقية من عيار ٠،٢٢ كانت معلقة على الحائط خشية ان يؤذي نفسه في فورة غضب، ونصحها طبيب بادخال زوجها مستشفى حكومياً، الا انها لم تتحمل مجرد التفكير في مثل هذا العمل، ولما عاد سيسيل الابن من الخدمة العسكرية عام ١٩٦٠، غمرته كآبة شديدة، فالى متى يستطيع والده، بشخصيته الاستقلالية، تحمل العجز والصمت والظلام؟

الا ان كل ذلك لم يسحق سيسيل ستارشر، فرغبته الجامحة في الاعتماد على النفس قهرت ضعفه، ويقول سيسيل الابن: "كان يمكنك ان تلمح في وجهه تصميماً يتفاعل داخله، وهو انه قرر التشبث بالحياة".

وبدأ سيسيل يغادر مقعده فترات اطول، وطلب من زوجته ان تحضر من مأمور الزراعة المحلي منشورات وكتباً عن اصول زراعة الحدائق، وكانت هناك قطعة ارض منبسطة خلف البيت المهجور الذي عاش فيه والداه، فقرر ان يزرع فيها الخضر خلال الربيع

والصيف فيتسلى ويزود اسرته واصدقاءه بالمحاصيل الطازجة.

وفي شتاء ١٩٦١ بدأ سيسيل اعمالا منزلية يومية في انتظار ذوبان الثلج. فتعلم كيف يكنس ارض المطبخ ويمسحها، وحفظ موضع كل شيء في المنزل. ورتب صندوق عدته بحيث يسهل عليه الوصول الى اي آلة يحتاج اليها. واجرى بعض الاصلاحات في المنزل، ومرر يديه على جدرانه ليجد الشقوق ويمعجنها ويصقلها بورق الزجاج، فتدهنها كاترين في ما بعد.

وفي اواخر الشتاء بدأ سيسيل يمهد لزراعة الارض التي تبلغ مساحتها ٣٧٠ متراً مربعاً. ولم يقبل ان يطلب من صديق له يملك جراراً صغيراً ان يحرث له التربة. فهو اراد ان ينجز العمل بنفسه. كان يقصد الحقل قبل الثامنة صباحاً مستعيناً بعصاه، ويبدأ نبش الارض بالمعول. فيعمل حتى السابعة او الثامنة مساء في اقتلاع الحشائش والحجار الصغيرة. ومع مرور الايام لاحظت كاترين الغضب والكآبة يختفيان من وجه زوجها الذي عاد الى بهجة العمل الشاق واثبت لنفسه انه انسان منتج.

وبمعاونة زوجته ثبت سيسيل اعمدة في الارض وربطت كاترين اسلاكاً بينها. فغدا في امكانه ان يحفر اثلاماً مستقيمة وهو ممسك بتلك الاسلاك يتتبعها. وكان ينثر البذار فيما تزرع زوجته الغراس.

وذات يوم تسببت ورشة بناء مجاورة في انهيار جدار في حديقة ستارشر. وابى سيسيل ان يطلب من عمال الورشة ترميم الجدار، بل اعتمد حاسة اللمس لديه واعاد بناء الحائط على مهل. وما زال الجدار قائماً بثبات.

البحث الدائم - في يونيو (حزيران) ١٩٧٤ قررت جيني، ابنة سيسيل، وزوجها كيم اوبريان، وكانا يعيشان في اكرون في ولاية اوهايو، العودة الى حياة الريف. فانتقلا الى البيت الذي شيده والد سيسيل. وكانت جيني حزينة لحال والدها، ولكن سرعان ما تحول اشفاقها اعجاباً واحتراماً متزايدين. فهو يعمل منذ الصباح الباكر في الحديقة، يعنى بالخضر او يقطفها. ثم يعود اليها بعد تناول الغداء، ليعمل بضع ساعات في اقتلاع الاعشاب الضارة وهو يدب على ركبتيه ويديه متحسساً الحشائش والخضر المزروعة.

وكان دوماً يبحث عن العمل. فيضع سلماً عند شجرة ويتسلقها ليشذب اغصانها، ويقطع الاخشاب ليستعملها وقوداً، ويفتت الصخور حصى يرصف بها الطريق المؤدية الى منزله.

وذات يوم حار رآه صهره كيم على جانب التلة يقصّ الاعشاب بالمنجل، فأصر على مساعدته. وعمل كيم ساعة قبل ان تلفحه الشمس ويضطر الى طلب الراحة. اما سيسيل فعمل ساعتين اضافيتين قبل ان يلجأ الى الظل والماء.

وعندما بدأ كيم قطع شجرة كبيرة يابسة امام البيت، عرض عليه سيسيل المساعدة. وكان كيم الذي لم ينشأ في مزرعة، يجد صعوبة في ضرب المكان نفسه بالفأس مرتين. الا ان سيسيل كان يصيب الثلب نفسه كلما ضرب الشجرة بالفأس.

وقليلة هي المهمات التي اثبطت

عزمه. فعندما انسد مجرور امام منزله، فاستعين بعامل صيانة من المدينة. وبعد اطلاع العامل على المشكلة تردد امام صعوبتها. وعيل صبر سيسيل، فانتعل حذاءه الطويل وتناول مجرفة وقضيباً معدنياً وعمل على تنظيف المجرى.

صفقة عادلة – خلال الصيف الاول الذي امضته اسرة اوبريان في سبنسر، ذهبت كاترين لزيارة والدتها وابنتها البكر اللتين تقيمان على بعد ٢٤٠ كيلومتراً من المزرعة. وظل سيسيل في البيت يعتني بحديقته. وبدا ان بقاءه وحيداً لا يقلقه. الا ان ابنته جيني دعته الى تناول الطعام مع اسرتها. فاجاب بانه سينظر في الامر.

وفي الصباح الاول انتظرته جيني عبثاً. فقصدت بيته ونظرت من نافذة المطبخ خلسة. فرأته يصب الماء لتحضير القهوة ويشعل موقد الغاز القديم. وراقبته وهو يضع شرائح لحم في مقلاة ويشعل موقداً آخر، ثم يضع على طاولة المطبخ الخبز والزبدة والفلفل الحار الذي يحبه.

وادركت جيني ان في امكان والدها الاعتناء بنفسه اذا هي تولت شراء ما يحتاج اليه من طعام. ورأته يبزها دقة في تقطيع البصل. وهو مرر اصابعه مرة على تفاحة، وتحسس الاماكن المهترئة فيها، ثم ازال الاهتراء بدقة رائعة. ولما مزق قميصه طلب من جيني ان تسلك في سم الابرة خيطاً من لون مناسب، واصلح قميصه بنفسه.

وكثيراً ما حضر سيسيل لتناول العشاء ليكون في صحبة اسرة اوبريان. فوجهه يشرق حين يكون بين الناس. ورفقته المفضلة هي لأولاد اوبريان الثلاثة: جون (١١ سنة) وجايمس (١٠ سنين) وجوي (٦ سنوات). وكان يصنع لهم الفشار (البوب – كورن) في بعض الاحيان، ويسليهم بتمثيل ايمائي.

سيسيل وجوي صديقان. فالطفل يجلس في حضن جده ساعات وكلاهما يحبان السكاكر والكعك المحلى. واذا رغب الحفيد في حبة سكاكر لها مذاق الليمون، فانه يمرر سبابته على شفتي جده الضرير. وفي الصباح الباكر، عندما يتوق الى تناول كعكة محلاة، يقصد بيت جده ويقوده الى الثلاجة.

وعندما يقدم احد الحفيدين الاكبر سناً صديقاً الى جده، يقول له بفخر: "هذا هو جدي. انه لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم، لكنه يقدر ان يفعل كل شيء".

وطبيعي ان سيسيل لا يمكنه "ان يفعل كل شيء". انما هذا هو ما يبدو لاسرته. ويقول سيسيل: "اني سليم الصحة وقوي، واتمتع بالعمل وبكل ما اعطيت".

عندما تخطى سيسيل اليأس الذي سببه فقد بصره، قرر ان يعطي الحياة كل ما هو قادر عليه. وفي المقابل، فانه اخذ من الحياة كل ما اعطته، كالشعور بالرضا عند نهاية يوم من العمل الشاق، والفرح الناجم عن لمس عرناس ذرة كبير، والابتهاج بلمسة اصبع جوي شفتيه.

ان سيسيل ستارشر يشعر بان حياته صفقة عادلة.

■ جوزف بلانك

أفضل ما في الانسان

من لبنان
الى كمبوديا وفيتنام
وايران والتشاد
وزيمبابوي،
حيث تنفجر الكوارث
وتنشب المعارك،
نجد رجالا ونساء
يجازفون بحياتهم
لانقاذ الضحايا
ومساعدة المضطهدين.
انهم مندوبو
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

في ١٤ نيسان ١٩٨٠، أي بعد خمسة أشهر وعشرة أيام من احتلال السفارة الامريكية في طهران، حدث أمر أعاد الرجاء الى نفوس الرهائن: لقد زارهم مندوبون عن اللجنة الدولية للصليب الاحمر.

في الاولى بعد الظهر دخل السويسري هارالد شميد دي غرونك (٣٤ سنة) باحة السفارة الامريكية في طهران يرافقه الدكتور برنار ليبسكند، وهو سويسري ايضاً. وبدأ الرجلان العمل، ليبسكند يتفقد صحة الرهائن، ودي غرونك يدون اسماءهم ويسجل رسائل موجزة الى أقربائهم. وبعد ساعات، عندما غادر السويسريان مبنى السفارة، كان في حوزتهما دليل قاطع على ان الرهائن كلهم أحياء وأصحاء. وبذلك ضمنا حياتهم. فمنذ تلك اللحظة استحال على "الحرس الثوري" اخفاء اي من الديبلوماسيين المحتجزين والادعاء بأنه لم يكن بين الرهائن اصلا (١).

ان "ضمان الحياة" هو جوهر نشاطات اللجنة الدولية للصليب الاحمر. فهي تعمل في ساحات القتال وبعد انتهاء الحروب، لكن معظم نشاطها يكرس لضحايا الجور والحرب الذين لا معين لهم. واليوم تنشط هذه اللجنة في ٣٥ بلداً. فهي اهتمت بضحايا الحرب الاهلية في التشاد عام ١٩٨٠، وأنشأت مستشفيات ميدانية في تايلاند للمدنيين من ضحايا المعارك في كمبوديا واهتمت لاوضاع أسرى الحرب في العراق وايران.

---

(١) أطلق الرهائن الامريكيون المحتجزون في ايران في ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٨١.

ان اللجنة الدولية للصليب الاحمر لا تتوانى عن اقتحام ساحات القتال، وقلما تكون مهمات مندوبيها آمنة: ففي ميادين القتال سقط منهم أكثر من عشرين، كان آخرهم اثنان سقطا في زيمبابوي في مايو (أيار) ١٩٧٨ عندما تعرضت سيارة اسعاف كانا يركبانها لمكمن. وفي العام ١٩٦٦ انفجر لغم بآلان مودو، أحد مندوبي اللجنة في فيتنام، فملأت الشظايا جسمه، لكنه سرعان ما عاد الى الميدان فيحرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ في الشرق الاوسط. فلا عجب ان حازت اللجنة جائزة نوبل ثلاث مرات. وكانت جائزة نوبل الاولى للسلام منحت عام ١٩٠١ لهنري دونان السويسري الذي أسس اللجنة عام ١٨٦٣.

الاكثر حياداً ـ يشهد العالم اليوم نشاطاً متزايداً للجنة الدولية للصليب الاحمر. ان هذه اللجنة هي محور حركات الاسعاف في العالم التي تضم جمعيات "الهلال الاحمر" و"الاسد الاحمر" و"الشمس". وموظفو اللجنة ـ وعددهم نحو ٤٠٠ في المقر الرئيسي في جنيف (سويسرا) و٢٥٠ مندوباً ميدانيين ـ يبدون فريقاً صغيراً اذا ما قورنوا بمجمل أعضاء جمعيات الاسعاف المحلية في العالم والذين يبلغ عددهم نحو ٢٢٠ مليوناً. غير ان مسؤولية اللجنة هي الاعظم، وميدان نشاطها هو الارحب. والسبب بسيط: فهي المنظمة الوحيدة التي لا جنسية لها ولا قومية. وفي حين ان المنظمات المحلية، ومنها السويسرية، تعالج في الدرجة الاولى الكوارث الطبيعية التي تقع ضمن حدودها، فان اللجنة الدولية تنصرف الى الكوارث التي هي من صنع الانسان في كل مكان.

ان دور اللجنة محدد في وثيقة دولية تعرف بـ"اتفاقات جنيف"، تتضمن الاجراءات التي تجب مراعاتها بالنسبة الى جرحى الاشتباكات وأسرى الحرب والمدنيين الذين طالتهم الحرب. ولقد حث هنري دونان على عقد هذه الاتفاقات بعدما شاهد ٤٠ ألف مصاب، بين قتيل وجريح، متروكين بلا رعاية على اثر معركة سولفرينو في شمال ايطاليا عام ١٨٥٩، بين فرنسا والنمسا. ومنذ ذلك التاريخ توالى اعتراف دول العالم بهذه الاتفاقات على انها "قوانين حرب" اساسية. والتزمت الدول التي وقعتها اعطاء مندوبي اللجنة حق ممارسة الرقابة على التصرفات الانسانية للدول في أوقات الحرب.

لقد أدرك الموقعون الاصليون لاتفاقات جنيف ان منظمة متعددة الجنسيات سرعان ما تصاب بالشلل عند نشوب اي حرب. لذلك طلبوا من السويسريين، نظراً الى حياد بلادهم التقليدي، تزويد المنظمة بالموظفين. واختارت اللجنة العلم السويسري رمزاً لها بعد عكس الوانه. واليوم، فوق تلة مشرفة على بحيرة جنيف، يقع المركز الرئيسي للجنة الدولية للصليب الاحمر. وهناك مثل شائع هو ان اللجنة "أكثر حياداً من السويسريين انفسهم".

ويدرك كل موظف في اللجنة ان مهمته ليست التحقيق في اسباب النزاعات ولا تأييد فريق ضد آخر، وانما مساعدة ضحايا القتال فحسب:

"انها لكارثة اذا تخلى مندوب اللجنة عن حياده"، هذا ما أوضحه جاك موريون مدير دائرة "الاصول والقانون" في اللجنة. وقال ان ذلك اذا حدث "يكون مسيئاً لنا ولقضيتنا". ففي العام ١٩٧٤، عندما كان مندوباً ميدانياً، رفض ان يهرّب الى خارج السجن مخطوطة لكتاب وضعه معتقل سياسي افريقي، على رغم صداقته الشخصية للرجل وتفهمه للقضية التي سجن من أجلها. هذا السجين هو اليوم رئيس وزراء دولة افريقية حديثة العهد بالاستقلال. وعندما التقاه موريون بعد سنوات قال له: "لو رضيت ان أهرب مخطوطتك آنئذ، فهل كنت تسمح لي الآن بزيارة سجونك؟"

بالثقة والاقناع – الثقة هي القاعدة الاساسية التي تنتهجها اللجنة الدولية للصليب الاحمر، فسلطتها ترتكز على قوتها المعنوية ومقدرتها على الاقناع. ويعلق ليون غوردنكر، وهو استاذ الدراسات الدولية في جامعة برنستون (ولاية نيوجرسي)، على ذلك قائلا: "انهم لا يفرضون مشيئتهم بقوة السلاح، ولكن كثيراً ما يرهقون معارضيهم بالمفاوضة والمناقشة حتى يظفروا بالقبول".

ان اتفاقات جنيف لا تتطرق الى موضوع المعتقلين السياسيين، ولكن منذ الحرب العالمية الثانية غدا هؤلاء الشاغل الاكبر للجنة. ولان هذه الفئة من السجناء هي ضحية الاضطهاد والجور فانها تتمتع بالرعاية المعنوية للجنة. وقد نجحت هذه، بعنادها، في تحقيق أكثر من ٣٠٠،٠٠٠ زيارة لمعتقلين سياسيين في ٧٢ بلداً، خارج العالم الشيوعي الذي لا يزال مقفلا في وجهها بداعي عدم وجود معتقلين سياسيين في دوله. (٢).

وكان حظ اللجنة أكبر في بقية البلدان. فهي تمكنت من الوفاء بالتزامها المعنوي تجاه المعتقلين السياسيين، حتى في الدول التي يحكمها العسكر.

وشئت الاطلاع عن كثب على عمل اللجنة، فطفت من أول لبنان الى آخره بصحبة كبير مندوبيها بيار غوبيران.

ان تجولا كهذا يصعب على أهل البلد. لكن مندوبي اللجنة استطاعوا التنقل بسهولة عبر المناطق المختلفة، الاسلامية والمسيحية، لا يحميهم غير شعارها المرفوع على سياراتها. وكان سكان القرى التي مررنا بها يعبرون عن اغتباطهم بنا ملوحين بأيديهم ومبتسمين. وقال غوبيران: "نحن بائعون متجولون يحترمنا الجميع، نبيع حقوق الانسان بدلا من فراشي الاسنان!".

ان مظاهر الاحترام التي لمستها في لبنان تحيط لجنة الصليب الاحمر في كل مكان. ذلك ان الاهداف السامية التي تعمل من أجلها تجذب الكثيرين من محبي العمل الميداني. ففي العام ١٩٨٠ تقدم ١٣٣٥ شخصاً للعمل مندوبين ميدانيين للجنة قُبِل منهم ٨٩ فقط.

"انخرطت في هذا العمل لكي اعطي حياتي معنى". هذا ما قاله لي

---

(٢) ينطبق ذلك على أسرى الحرب ايضاً. اذ وقع الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه اتفاقات جنيف، ولكن مع ابداء تحفظ يقول بأن مجرمي الحرب لا يتمتعون بحماية هذه الاتفاقات. هذا المنطق منع مندوبي الصليب الاحمر من زيارة أسرى الحرب في فيتنام.

فردريك موريه وهو يقود السيارة عبر الوسط التجاري المهدم في بيروت. "اننا نؤدي واجباً مقدساً".

ساعات البطولة — تقدم موريه للعمل في مقر اللجنة الدولية للصليب الاحمر وهو في الخامسة والاربعين من عمره، متخلياً عن عضويته في مجالس ادارة خمس شركات في مدينة بال السويسرية. ولم يشكل عمره عائقاً، فاللجنة تؤثر الخبرة والنضج على التهور، وتقبل المرشحين حتى الخامسة والخمسين من العمر، وترفض قطعاً من هم دون الخامسة والعشرين.

ويدرك موريه وزملاؤه ان الخطر يحدق بعملهم. فقد أصيب مقر اللجنة في صور (جنوب لبنان) بثلاث قذائف طائشة قبل زيارتنا المدينة ببضعة أيام. وفي حادث آخر، أمضى المندوب هنري فورنيه ساعتين منبطحاً تحت سيارة في احدى ضواحي بيروت بعدما استهدفه رصاص القنص وهو يحاول اجلاء جرحى الاشتباكات. وفي صيدا، تدخل موريه وزميله آرثر نوبس لانقاذ سيارة اسعاف تخص الصليب الاحمر اللبناني واجلاء ١٨ جريحاً من الجيش اللبناني.

ومرّ مندوبو اللجنة بساعات بطولية في ذروة الحرب اللبنانية عام ١٩٧٦. ويقول غوبيران: "قمنا وقتئذ مقام الدولة. فلعبت اللجنة ادوار ساعي البريد ووزارة الصحة ووزارة المواصلات، كنا على اتصال مباشر بجنيف بواسطة الراديو. ولم تهبط في مطار بيروت الا طائرات اللجنة، كما لم ترسُ في الميناء الا بواخرها. ونحن وحدنا كنا نزود المستشفيات بالادوية".

وتعمل اللجنة في كثير من الاحيان بعيداً عن الاضواء. ففي مايو (أيار) ١٩٧٨ انتقل فردريك شتينيمان، المندوب الاقليمي في لوساكا (زامبيا) بالسيارة الى كولوزي (زائير) الغنية بمناجم النحاس، حيث كان جنود المظلات الفرنسيون يصدون هجمات المتمردين. وجمع شتينمان عدداً من المتطوعين من أهل المنطقة لجمع ٨٠٠ جثة من الشوارع ثم دفنها. بعد ذلك قطع مسافة ٣٠٠ كيلومتر الى مدينتي لوبومباشي وليكازي في جنوب زائير، اللتين كانتا بعيدتين عن ويلات الحرب. فصادر قطار شحن في ليكازي وملأه طحيناً وحليباً وحبوباً وأدوية وثبت في مقدمه علماً كبيراً للصليب الاحمر، واتجه به عائداً الى كولوزي. يومذاك سلطت الاضواء على جنود المظلات الفرنسيين وعملياتهم الناجحة وبقيت في الظل لجنة الصليب الاحمر التي ابعدت شبح الجوع عن ٨٠،٠٠٠ مدني.

التبرعات — في المدة الاخيرة لعبت اللجنة دوراً في ثلاث مناطق مشتعلة هي: المنطقة الحدودية بين تايلاند وكمبوديا، الحرب الاهلية في التشاد، والحرب العراقية — الايرانية. ففي ذروة نشاطها في منطقة الحدود بين تايلاند وكمبوديا في أوائل العام ١٩٨٠ كان لدى اللجنة نحو ٧٠ مندوباً سويسرياً ونحو ٤٠٠ طبيب وممرضة وفني غير سويسريين يعملون في مخيمات واسعة داخل الحدود التايلاندية. وفي نجامينا عاصمة

التشاد تولى مندوبو اللجنة وفريقها الطبي عام ١٩٨٠ ادارة مستشفى ميداني في منطقة التماس بين الفريقين المتقاتلين في الحرب الاهلية، وأمنوا المواد الغذائية للمدنيين المهددين بالجوع. واليوم، بعدما انتهت الحرب، فان لجنة الصليب الاحمر باقية هناك تضمد الجروح. أما الى العراق وايران، فأرسلت اللجنة ما لا يقل عن ١٥ مندوباً، منذ نشوب الحرب بين البلدين، لتفقد أحوال الاسرى.

وتعاني اللجنة عجزاً مزمناً في موازنتها. فالمال المتوافر لديها قليل. وهي تغطي معظم المصاريف اليومية من المخصصات الثابتة التي تتلقاها من الدول (بلغت هذه المصاريف ١٧،٥ مليون دولار عام ١٩٨٠). أما المهمات الطارئة، كالتي قامت بها اللجنة في تايلاند ولبنان والتشاد والعراق وايران، فتؤمن مصاريفها (٧٢ مليون دولار عام ١٩٨٠) من الاعانات التي يطلبها رئيس اللجنة الكسندر هاي من منظمات الصليب الاحمر المحلية، ومن المتبرعين الخصوصيين ومن الدول الغنية. وفي العام ١٩٧٩ جاءت معظم التبرعات الخاصة بالمهمات الطارئة من الولايات المتحدة والعائلة الاوروبية، فيما امنت سويسرا الجزء الاكبر من المصاريف اليومية.

ان اللجنة الدولية للصليب الاحمر لا تمثل دوراً اقتصادياً او انتاجياً. لكنها تؤدي خدمات جلى في الميادين الانسانية التي ترتكز عليها حضارتنا ومثلنا العليا. وكما قال رئيس اللجنة هاي: "من الرائع ان العالم لا يخلو من رجال ونساء متفانين، لا يترددون في المجازفة بأرواحهم لانقاذ الآخرين. فعندما يقتحم هؤلاء الاخطار، فانهم يثبتون ان الانسان قادر على الافضل كما هو قادر على الأسوأ. وهذا ما يشجعنا على الا نفقد الامل بالعالم".

وحقاً يقال ان اللجنة تمثل الافضل فينا.

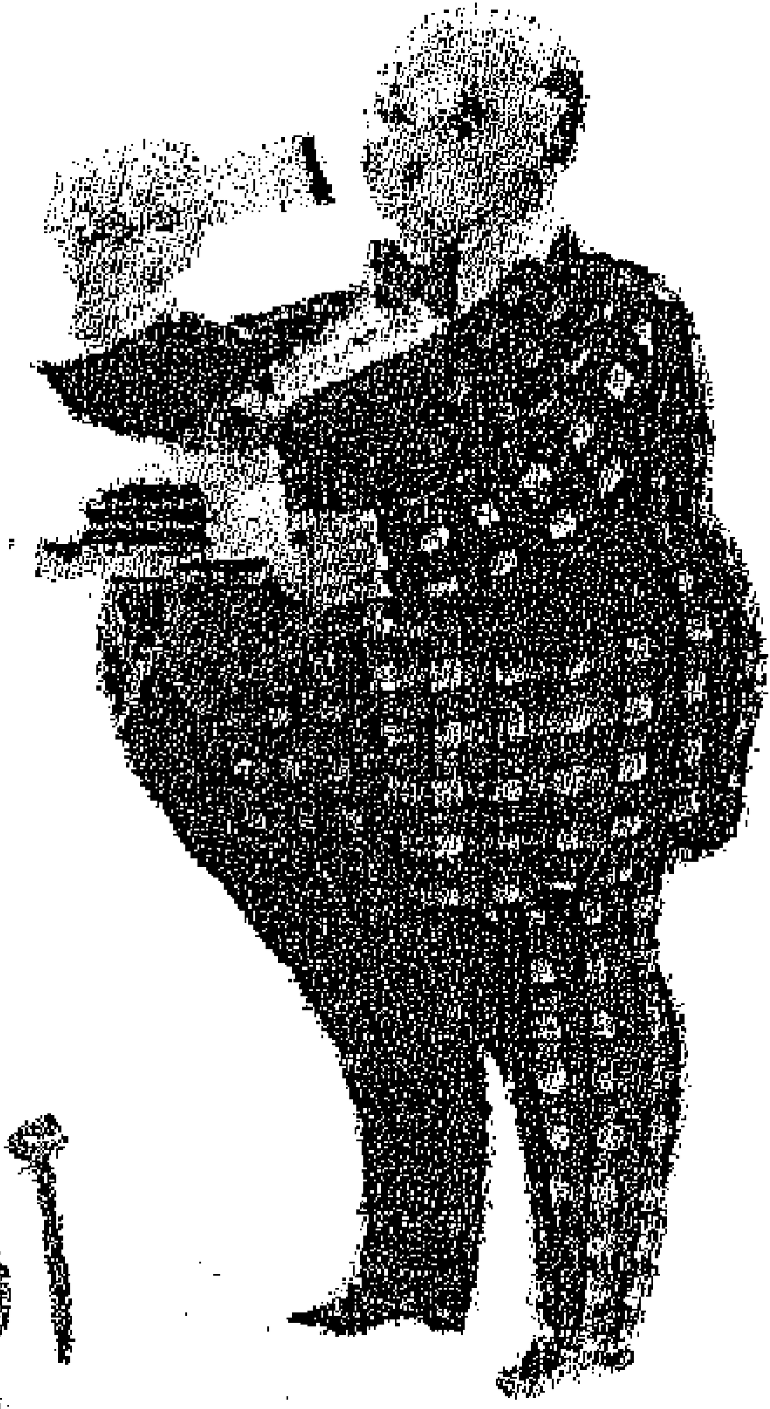
■ رودولف شلمنسكي



العملة الصعبة

في العام ١٩٤١ كنت أخدم في فرقة طبية تابعة للجيش الملكي البريطاني في شمال روسيا. وكانت قيمة النقد المحلي متدنية الى حد انتشر معه دفع الحسابات بالسجائر. وحدد بدل الانتقال في عربة يجرها حصان بثلاث سجائر أو أربع. لكن أحد زملائنا، وقد وفد حديثاً من بريطانيا، لم يعرف هذا. فأعطى سائق العربة علبة سجائر كاملة تحوي خمسين سيجارة. فهز السائق رأسه. وظناً منه أن كلفة المواصلات ارتفعت، أعطى رفيقنا ذلك السائق علبة سجائر اخرى. وما أن أخذها هذا حتى سلم زبونه العنان وترك له العربة.

د.د.



أيهـا الواعظ...

نصيحة الى كتاب الحمية، تتخللها روح النكتة، بأن يكفوا عن طرق هذا الموضوع الخطير بخفة وادعاء

يلم الاشخاص الذين يضعون الكتب حول الحمية الغذائية بكل ما يحتاجون الى معرفته عن السعرات الحرارية والمواد النشوية، لكنهم يجهلون كل شيء عن ذوي السمنة أو، بتعبير أليق، عن المكتنزين.

يقول هؤلاء الخبراء ان على المكتنزين لحماً ان يمارسوا ضبط النفس وان يحيوا حياة نظامية حسنة المنهاج. يا للسخرية! ان مثل هؤلاء "المنضبطين" هم اصلا ناحلون، ولن يشتروا هذه الكتب الا مراعاة لمشاعر الآخرين، ليقدموها هدية في عيد الام او في مناسبة اخرى.

يصر كتاب الحمية على الذين يريدون خفض وزنهم بان يتبنوا موقفاً بعيداً عن الحماقة. ولكن اذا كنا سنتبع الحمية، فنحن في حاجة الى كل الحماقات التي يمكن الحصول عليها، بما في ذلك الاضواء الناعمة

والموسيقى والكلام العذب والرقص والرحلات الى حلبة السباق والانغماس في التسوق، وكل امر آخر مما هو كثير المرح ونقي من السعرات.

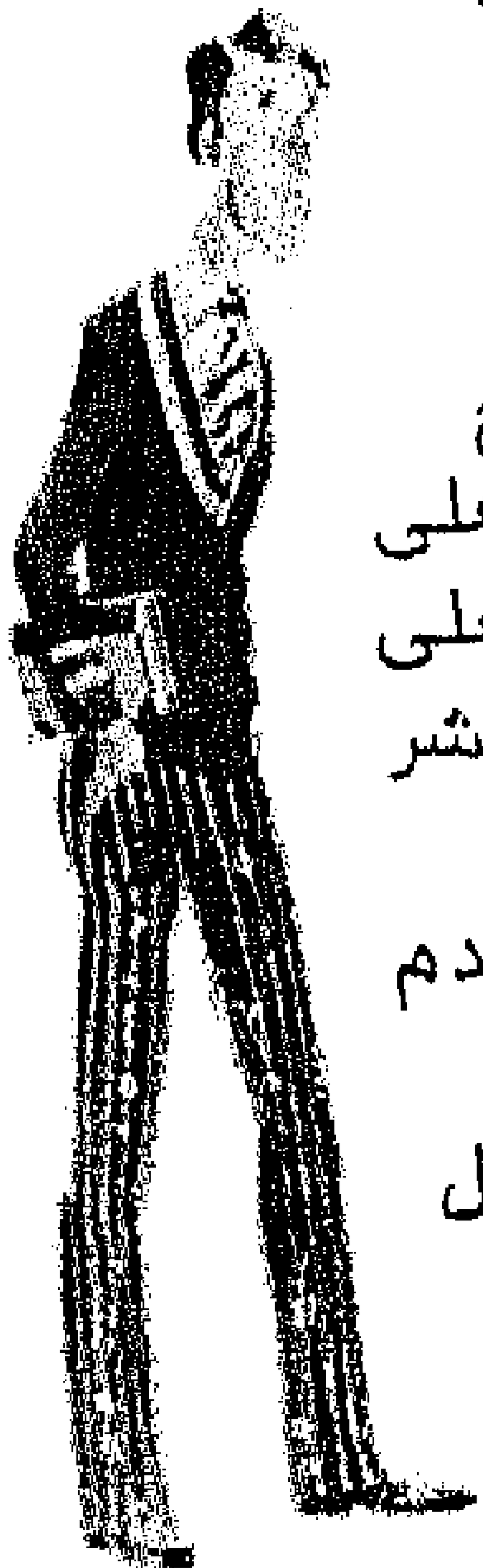
ان الناس لا يدركون ما نكابده نحن المكتنزين. خذ، مثلا، تلك الانواع من الحمية التي تعرض عليك بين حين وآخر متعة الوليمة جزاء على حسن المسلك. أليس هذا هو الطيش بعينه؟

مرة تقيدت بالحمية طوال اسبوعين واحتجت الى مكافأة. وكان عندنا في البيت رغيف طازج ونصف ديك رومي مطبوخ. وشاء الحظ ان تكون شطائر الديك الرومي ألذ ما تنفتح له شهيتي. واذا شئت تجنب المبالغة، فقل انها من المغريات المئة الاولى! لذلك كافأت صبري بشطيرة من الديك الرومي. ثم قلت في نفسي: "ماذا يهمني؟" وأكلت أربع شطائر اخرى. بعد ذلك فكرت في الامر وقلت: "بئس المصير!" وأحضرت صحناً من البوظة مع مزيج من الكريما ومسحوق الجوز. وبعدما أجهزت عليه تحولت الى رقاقات البطاطس (البطاطا) المقلية والعجة. الا ترى انك اذا سطوت على المصرف، فلن يقلقك اجتياز الطريق على اشارة الوقوف؟

ليست هناك عدالة ـ الواقع ان رجلنا المكتنز الذي يضرب به المثل هو رجل عظيم الذكاء، شديد الحساسية للنقد، فائق التقدير لمظاهر المحبة والتفهم (اللتين لا يحصل منهما الا على القليل). وهو، على الارجح، اقدر على تحليل الامور من ندّه الهزيل. فهو يعلم، مثلا، ان الحياة في اساسها ليست منصفة. ويدرك انه يزداد وزناً مع الركض والحساء الخالي من الدسم، بينما يلتهم الناس ثلاث وجبات شهية كل يوم ويبقى واحدهم هزيلا كغصن البان. لا، ليست هناك عدالة. ونحن المكتنزين لم نعد نتوقع وجودها!

يعمد كتاب الحمية الى تصوير قرّائهم المكتنزين كما لو كانوا أغبياء. ولكن على رسلكم! ان امامي الآن قائمة بعدد السعرات الحرارية التي تذكر البطة المحمرة تحت مجموع ٣١٥ حريرة لكل ثلاث شرائح من حجم ٩٠×٦٠×٥ مليمترات. يا للتفكير المشوش الذي يتميز به "خبير" الحمية! ان كل من حاول في حياته ان يقطع البطة شرائح يعلم حقاً انه يتعذر عليك الحصول على شريحة واحدة بحجم ٩٠×٦٠×٥، ناهيك بثلاث قطع تباعاً!

ولو كنا نعيش في مجتمع أكثر استقامة، لعرض امثال هؤلاء الدجالين داخل اقفاص في مكان بارز للعيان ليكونوا عبرة لمن يعتبر. اما كون هذا لم يحدث مطلقاً فينبئك بالكثير عن تسامح مجتمع المكتنزين وقدرته على ضبط النفس. وهو يبرهن على اننا قوم طيبون للغاية. ومعشر العجاف يعلمون هذا تماماً ويحسدوننا على انطلاقنا وعدم تحفظنا وانفتاح قلوبنا. وهذا حق صراح. فهم، بكل ما ينتحلونه من تفوق وترفع، يواجهون لحظات في سكون الليل يرون فيها انفسهم على حقيقتها،



فيعرفون انهم باردون وماكرون وانطوائيون وأنانيون.

انهم اولئك الذين يرفضون ما يقدمه اليهم طفل في عيد ميلاده من كعكة العيد، ويقولون له: "لا، لا، اننا لا نمس هذا!" وما همهم اذا سحقوا مشاعر الطفل وأفسدوا عيد ميلاده؟ هل الأعجف يهتم؟

اما نحن فمختلفون تماماً. اننا، بكل تأكيد، سنشارك الطفل في قطعة من كعكة العيد، علماً انها غير مدرجة في قائمة الحمية. ولكن ما قيمة السعرات الحرارية ازاء مشاعر الطفل؟

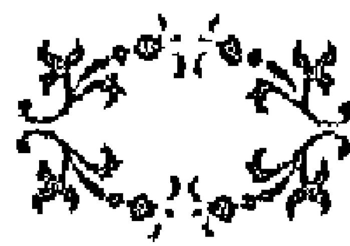
أصل البلاء - ان رفض التفكير في ما هو لمصلحتنا أولا هو أصل بلائنا. لكن هذا، في الوقت نفسه، هو ما يحسدنا عليه العجاف - أعني استعدادنا للمجازفة وتجاهل العواقب. وهم، في سريرتهم، يتمنون لو كانوا مثلنا. واني لاحسب ان خارج كل اعجف وعجفاء شخصاً مكتنزاً يحاول الدخول.

"مهلا يا هذا!" اني أسمع احدهم يقول لي هذا الكلام ويردف: "ان حجتك تنضح بالمتناقضات". لكن هذا الاعتراض هو حجة الناحل الذي لا يستسيغ شيئاً الا اذا كان منتظماً على هيئة خطوط مستقيمة وزوايا قائمة!

ان الناحلين لا يقبلون اي مسؤولية عن شرور هذا العصر. وعذرهم انهم لا يعرفون كيف يتحملونها. فالناحل الذي يأكل ما يشاء، ينام أيضاً متى يشاء ويغط في نومه عندما يلامس رأسه الوسادة. ولكن ليست هذه حالنا نحن. اننا نحمل هموم العالم معنا الى الفراش. واليك، مثلا، هذه الملاحظة التي ابداها صديقنا اليوم: "ما الذي يكمن وراء هذا الامر؟ هل نسينا الضوء في الشرفة؟ ترى ما الذي سيحل بافغانستان؟" وترانا، في الساعة الثانية صباحاً، واقفين امام الثلاجة لاخراج بعض قطع الثلج.

ويبدو ان كتّاب الحمية لا يتفهمون مثل هذه الامور. والحق اني ما دمت افكر فيها، والشيء بالشيء يذكر، فاني اعرف لماذا يتكلم هؤلاء الخبراء بلهجة العارف المعتد بذاته والمتطرف بنقده، والعيّاب الراضي عن نفسه! انهم، في لهجتهم، يشبهون تماماً أطفال الرجل المكتنز... أطفاله العجاف!

■ ول ستانتون

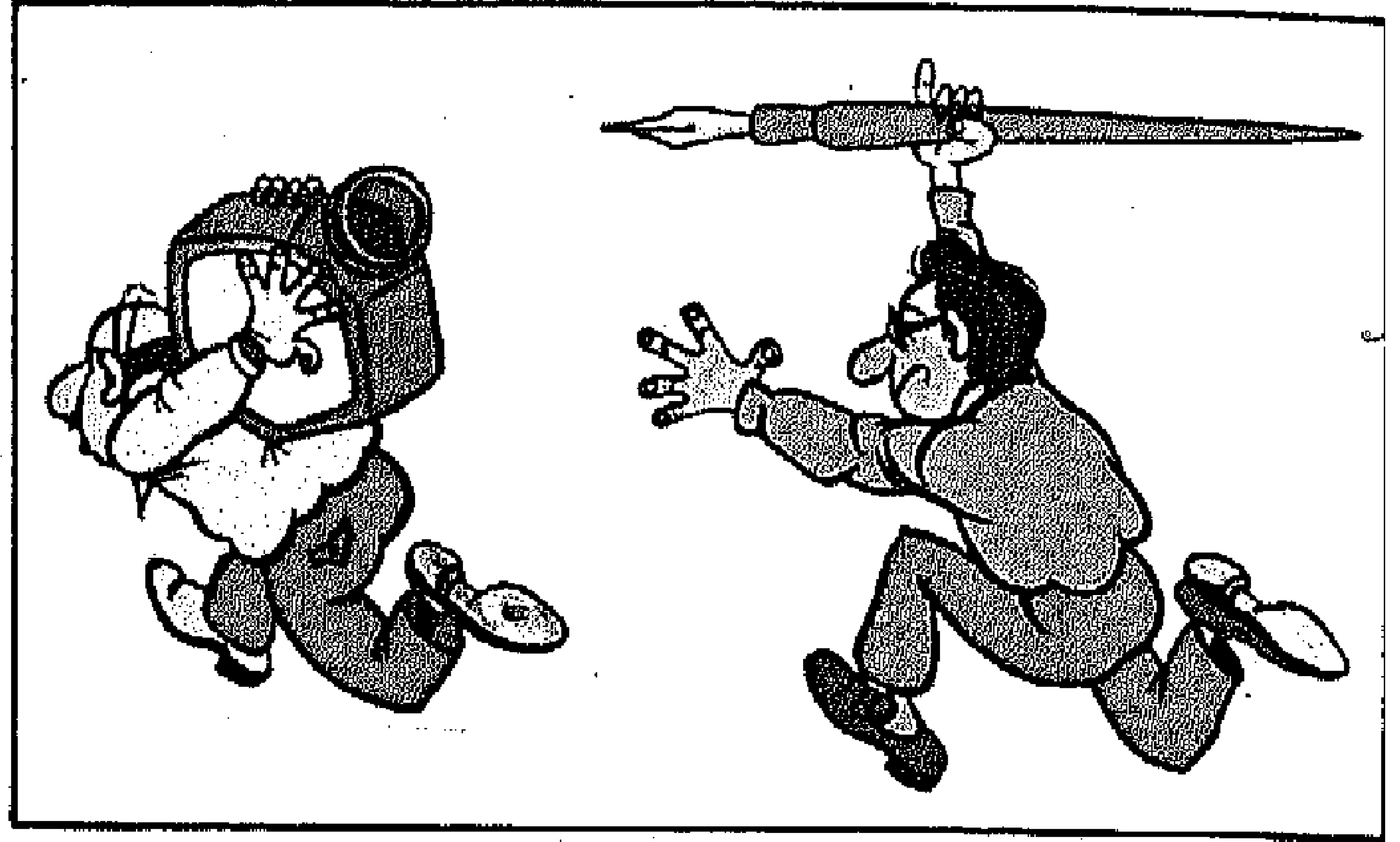


حكمة الصمت

كنتُ ارافق أبي في القطار حين ارتكب خطأ بسيطاً عن غير عمد، فراح عامل صغير يوبخه بعنف. وكنتُ صغيراً آنذاك. وفي ما بعد، قلت لوالدي بحدة انه كان يجب أن يوقف ذلك العامل عند حده.

فابتسم ابي وقال: "اذا كان امرؤ كهذا يطيق نفسه كل حياته، فلا شكّ في انه يمكنني ان اطيقه خمس دقائق".

ك.ك.



دائرة المعارف

دائرة المعارف في هذا العدد تضم القاباً اشتهر بها فلاسفة وعلماء وسياسيون وشعراء عبر العصور، وقد وضع امام كل لقب اربعة اسماء واحد منها فقط هو صاحب اللقب، والمطلوب من القارىء ان يختار الاسم الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه،

٠١ الملك الضليل: ابو فراس الحمداني ـ امرؤ القيس ـ ادوارد الثامن دوق وندسور ـ المتنبي،

٠٢ ابو الكيمياء العربية: جابر بن حيان ـ ابن الهيثم ـ البتاني ـ ابن البيطار،

٠٣ حجة الاسلام: ابو نصر الفارابي ـ البيروني ـ ابو حامد الغزالي ـ ابن رشد،

٠٤ قلب الاسد: نابوليون بونابارت ـ صلاح الدين الايوبي ـ ريكاردوس ملك انكلترا ـ وليم الفاتح،

٠٥ المعلم الثاني: ارسطو ـ ابن خلدون ـ سقراط ـ ابو نصر الفارابي،

٠٦ شاعر القطرين: احمد شوقي ـ خليل مطران ـ هوميروس ـ جبران خليل جبران،

٠٧ محرّر العبيد: ابرهام لينكولن ـ سيمون بوليفار ـ جورج واشنطن ـ المركيز دو لافاييت،

٠٨ ساحرة النيل: كليوباتره ـ نفرتيتي ـ سميرا ميس ـ حتشبسوت،

٠٩ مجنون ليلى: قيس بن ذريح ـ قيس ابن زهير ـ قيس عيلان ـ قيس بن الملوح،

٠١٠ الملك الشمس: يوليوس قيصر ـ النعمان بن المنذر ـ لويس الرابع عشر ـ هيروهيتو امبراطور اليابان،

٠١١ ابو الفوارس: ابو فراس الحمداني ـ المنذر بن ماء السماء ـ المهلهل ـ عنترة بن شداد،

٠١٢ شرارة الحرية: ماري ملكة الاسكوتلنديين ـ فولتير ـ نابوليون بونابارت ـ شجرة الدر،

٠١٣ طبيب المسلمين: نصير الدين الطوسي ـ ابن سينا ـ ابو بكر الرازي ـ الخوارزمي،

٠١٤ ابو التاريخ: هيرودوتس ـ زينون الرواقي ـ شيشرون ـ ابن بطوطة،

٠١٥ ثعلب الصحراء: اللورد نلسون ـ الجنرال ماك آرثر ـ موسوليني ـ المارشال رومل،

٠١٦ الزير: عمر بن ابي ربيعة ـ ابن الرومي ـ هنري الثامن ـ عدي بن ربيعة،

٠١٧ ذو القرنين: جنكيز خان امبراطور المغول ـ هنيبعل ـ الاسكندر المقدوني ـ شارلمان ملك الافرنج،

٠١٨ ملك الفالس: فريدريك شوبان ـ يوهان شتراوس ـ بيتر تشايكوفسكي ـ لودفيك فان بيتهوفن،

٠١٩ المهاتما: كونفوشيوس ـ غاندي ـ جواهر لال نهرو ـ ماوتسي ـ تونغ،

٠٢٠ الشيخ الرئيس: ابن سينا ـ ثابت ابن قرة ـ النابغة الذبياني ـ افلاطون،

الأجوبة الصحيحة

١٠ الملك الضليل: امرؤ القيس (٥٠٠ – ٥٤٠؟) ابن حجر الكندي ملك بني اسد عرب بعد مقتل ابيه طالباً مساعدة الملوك على الثأر، اصيب بالجدري فلقب "ذا القروح".

٠٢ ابو الكيمياء العربية: جابر بن حيان (توفي عام ٨١٥). ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية.

٠٣ حجة الاسلام: ابو حامد الغزالي (توفي عام ١١١١). نشأ نشأة صوفية ثم انصرف الى الفقه والكلام والفلسفة.

٠٤ قلب الاسد: ريكاردوس ملك انكلترا (١١٥٧ – ١١٩٩). اشترك في الحملة الصليبية الثالثة واشتهر بشجاعته.

٠٥ المعلم الثاني: ابو نصر محمد الفارابي (توفي عام ٩٥٠). لقب "المعلم الثاني" بعد ارسطو، لقب ايضاً "فيلسوف الاسلام".

٠٦ شاعر القطرين: خليل مطران (١٨٧١ – ١٩٤٩). شاعر واديب لبناني ولد في بعلبك وهاجر الى مصر.

٠٧ محرّر العبيد: ابرهام لينكولن (١٨٠٩ – ١٨٦٥). الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة. عمل على الغاء الرق.

٠٨ ساحرة النيل: كليوباترة (٦٩ – ٣٠ ق.م.). قال عنها الكاتب الفرنسي بليز باسكال: "لو كان انف كليوباترة اقصر مما هو عليه لكان غير وجه العالم".

٠٩ مجنون ليلى: قيس بن الملوح (توفي عام ٦٨٨؟) عشق ليلى العامرية ورفض اهلها ان يزوجوها به. فهام على وجهه ينشد الاشعار الى ان مات.

١٠ الملك الشمس: لويس الرابع عشر ملك فرنسا (١٦٣٨ – ١٧١٥). كان في الخامسة عندما اعتلى العرش ودام ملكه ٧٢ سنة. عرفت فرنسا في عهده عصرها الذهبي. اقام بلاطه في قصر فرساي.

١١ ابو الفوارس: عنترة بن شداد (٥٢٥؟ – ٦١٥). من مشاهير شعراء الجاهلية وفرسانها.

١٢ شرارة الحرية: فولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨). اديب فرنسي ساهم في التحضير للثورتين الفرنسية والاميركية.

١٣ طبيب المسلمين: ابو بكر الرازي (٨٦٤؟ – ٩٣٢؟) مؤلفاته هي افضل الكتب الطبية القديمة، وقد نقلت الى اللغات الغربية لتحدث ثورة طبية في اوروبا. لقب ايضاً "جالينوس العرب".

١٤ ابو التاريخ: هيرودوتس (٤٨٤؟ – ٤٢٥؟ ق.م.) مؤرخ ورحالة يوناني.

١٥ ثعلب الصحراء: ارفين رومل (١٨٩١ – ١٩٤٤): مارشال الماني اشتهر بدهائه. انتحر بأمر هتلر.

١٦ الزير: عدي بن ربيعة التغلبي المعروف بـ"المهلهل" (توفي نحو ٥٣١). وهو شاعر جاهلي وخال امرئ القيس.

١٧ ذو القرنين: الاسكندر المقدوني الكبير. (٣٥٦ – ٣٢٤ ق.م.) قيل لقب هكذا لانه ملك قرني الشمس، اي الشرق والغرب، أو لضفيرتين كانتا في قرني رأسه.

١٨ ملك الفالس: يوهان شتراوس (١٨٢٥ – ١٨٩٩). رقص على الحانه الملوك والامراء.

١٩ المهاتما: غاندي (١٨٦٩ – ١٩٤٨). فيلسوف ومجاهد هندي لقب "المهاتما" اي "النفس السامية".

٢٠ الشيخ الرئيس: ابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧): من كبار فلاسفة العرب وأطبائهم.

المستوى:
- ١٧ – ٢٠: ممتاز
- ١٣ – ١٦: جيد
- ٩ – ١٢: مقبول

مهندس العصر

عبقري يراقب الطيور والحيوانات البرية
ليستوحي من حكمتها اساليب جديدة
في فن العمارة

رن جرس الهاتف في منزل جاك كويل في مدينة باريس في الاولى من صباح ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٧٦. وعلى الخط الآخر قال صوت بلكنة اجنبية: "آلو! هنا مكتب الامبراطور..."

واغتاظ المهندس ظاناً انها مزحة. وكاد ان يقفل السماعة حين اعتذر صوت آخر عن الازعاج في تلك الساعة الباكرة، واضاف: "تريد منك صاحبة الجلالة الامبراطورة (...) ان تبني قصرها الجديد في الجبال قرب البحر. هل يمكنك المجيء اليها لبحث ذلك؟"

بعد سنتين من هذه المكالمة اقتربت تصاميم قصر الامبراطورة من مرحلة الانجاز. وعلى رغم انبساط القصر فوق مساحة ٨٠٠٠ متر مربع، فانه صمم ليكون خفياً عن الانظار. فهو محفور جزئياً في الصخر على جانب هضبة، على ان تزرع على سطحه مروج فسيحة. وقال كويل: "عندما ينظر طيار الى البناء فانه لن يرى الا غنماً واشجاراً".

بنى هذا المهندس العالمي الشهرة، وهو من رواد علم البيئة، قصوراً لملك اليونان السابق قسطنطين ولرئيس السنغال السابق ليوبولد سنغور اضافة الى مشاريع عمرانية اخرى لحساب الحكومتين الجزائرية والمغربية. وخلال ٥٠ سنة صمم اكثر من ٢٠٠٠ منزل و٣٠ فندقاً في ١٣ بلداً، على رغم انه لم يكن يحمل شهادة هندسة. وهو انتخب في



Collection «Tiffen»

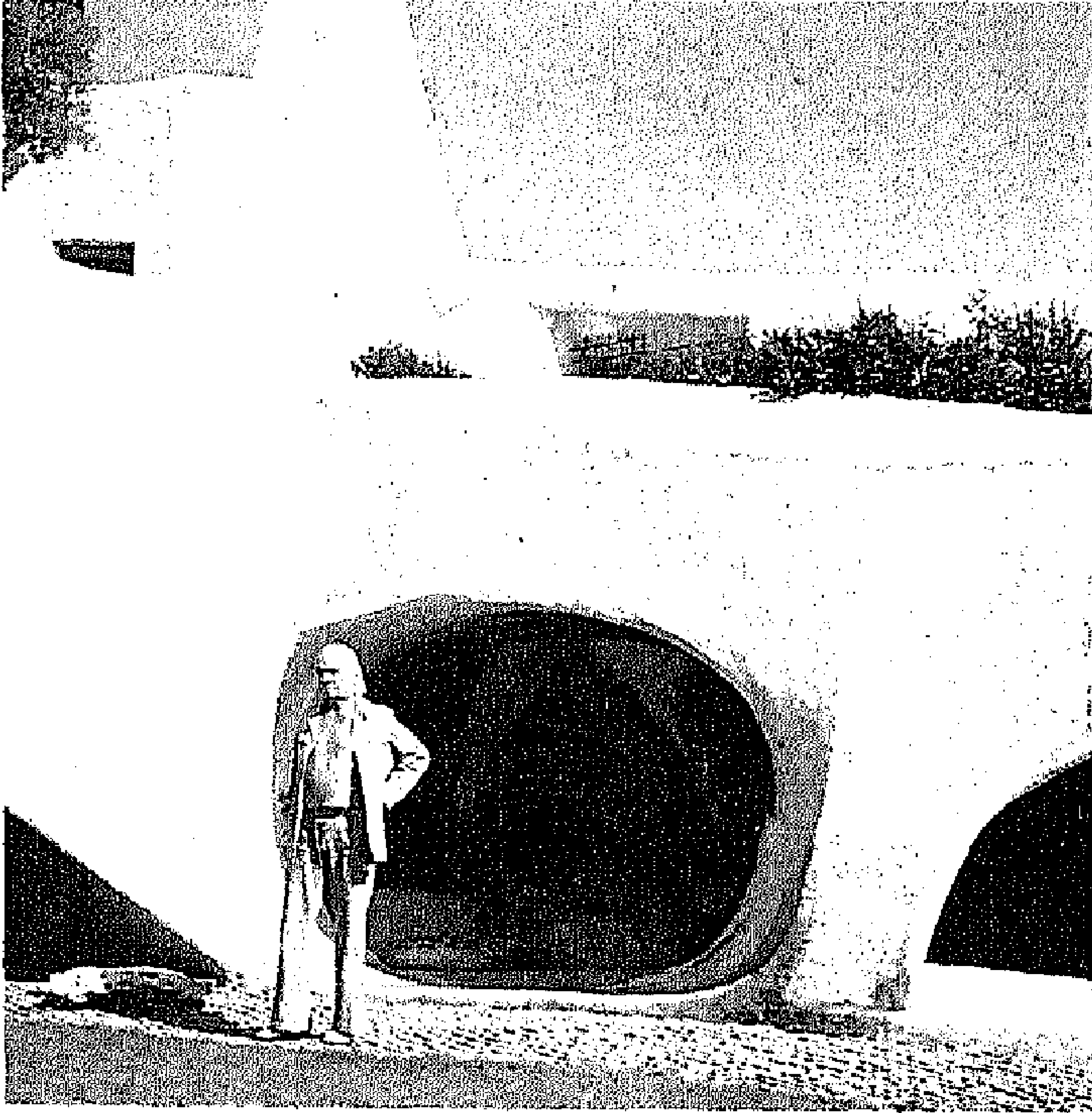
مايو (ايار) ١٩٧٦، وبالاجماع، عضواً في اكاديمية الفنون الجميلة في فرنسا. ويرئس الآن اللجنة الفاحصة في معهد هندسة العمارة هناك. وصدر مرسوم عام ١٩٧٧ منح كويل بموجبه شهادة في هندسة العمارة، فحق له رسمياً مزاولة المهنة في فرنسا.

ما عليك الا ان تزور قرية كاستيلاراس، التي بنيت في الستينات قرب كان (جنوب فرنسا)، لتدرك مدى نجاح كويل في تخطي التفكير التقليدي في فن البناء. فهذه القرية تضم ٨٩ منزلا علقت على المنحدرات بين الصخور والاشجار، فبدت تماثيل اكثر منها مساكن عادية. فالسطوح غير المتناسقة تبدو وكأنها امتدادات طبيعية لما حولها، والساحات كأنما البحر قورها. اما الغرف والنوافذ والشرفات فتخلو من الزوايا القائمة. وتذوب الالوان ومواد البناء في معالم البيئة، حتى يكاد الزائر يحسب المكان مستوطنة من العصر الحجري.

ويدخل كويل الطبيعة منازله. وهو يقول: "بيئتنا تبدأ عند نوافذنا. فانا اجعل غرف النوم، مثلا، تمتد كيلومترات، اذ لا شيء يعترض المنظر". ان كويل لا يتوانى عن ازالة اكمة تحجب الرؤية او تشييد مرتفع صغير يخفي بناية قبيحة وان تكن بعيدة مسافة كيلومترات. وهذا ما فعله في كاستيلاراس.

تلميذ الرعاة – في صباه امضى كويل عطلاته في اقليم البروفانس جنوب شرق فرنسا. وفي العاشرة كان يعلم ان الارنب البري لا يحفر حجره في اي مكان، انما يدرس مجرى الرياح

بيوت من تصميم كويل تعانق الهضبة وتشرف على منتجع بحري في تيول (مقاطعة آلب ـ ماريتيم في فرنسا)٠



المهندس وبيته الريفي الذي استوحاه من وكر الزنابير٠



"القفص المذهب" في "كالا دي فولبي" (سردينيا)٠

وحركة تصريف مياه المطر واتجاه نور الشمس وخطر الحيوانات الضارية٠ كان ذلك بدء "الهندسة الغريزية" عند الفتى٠ ويقول كويل: "يتحتم علينا ان نشعر بالامان وان ننسجم مع الطبيعة، تماماً كما يفعل الارنب البري"٠ وهو كان يصنع نموذجاً مصغراً للبناء ويرسل شعاعاً كهربائياً الى اقصى زواياه ليتأكد من وصول نور الشمس الى كل غرفة قبل ان يقرر شكلها النهائي٠

بنى كويل منزله الاول وهو في الحادية عشرة٠ وكان البيت من الرمل على شاطىء النورماندي شمال غرب فرنسا٠ فربح الجائزة الاولى في مباراة بناء قلعة رملية٠ وقطف الجائزة نفسها في السنة التالية٠ وفي السنة الثالثة قيل له انه لا بد من اتاحة فرصة الربح امام غيره٠ ويقول

كويل: "نشأ لدي شعور عارم بالاشمئزاز من الفاحصين. فقررت الا انتسب الى مدرسة والا اتقدم ثانية الى امتحان".

منذ سن باكرة اقبل كويل على نوع من "التعلم الذاتي الذي يطابق مزاجه. فأمضى، وهو في الخامسة عشرة، اسابيع عدة في رفقة بعض الرعاة، وتعلم منهم الكثير عن الطيور والحشرات والنباتات. وفي بولونيا، شمال ايطاليا، تلقى دروساً في التشريح. كما امضى ليلة مع الخفافيش في كاتدرائية "بورج" وسط فرنسا متأملا انسياب نور الشمس، عند الفجر، عبر الزجاج الملون.

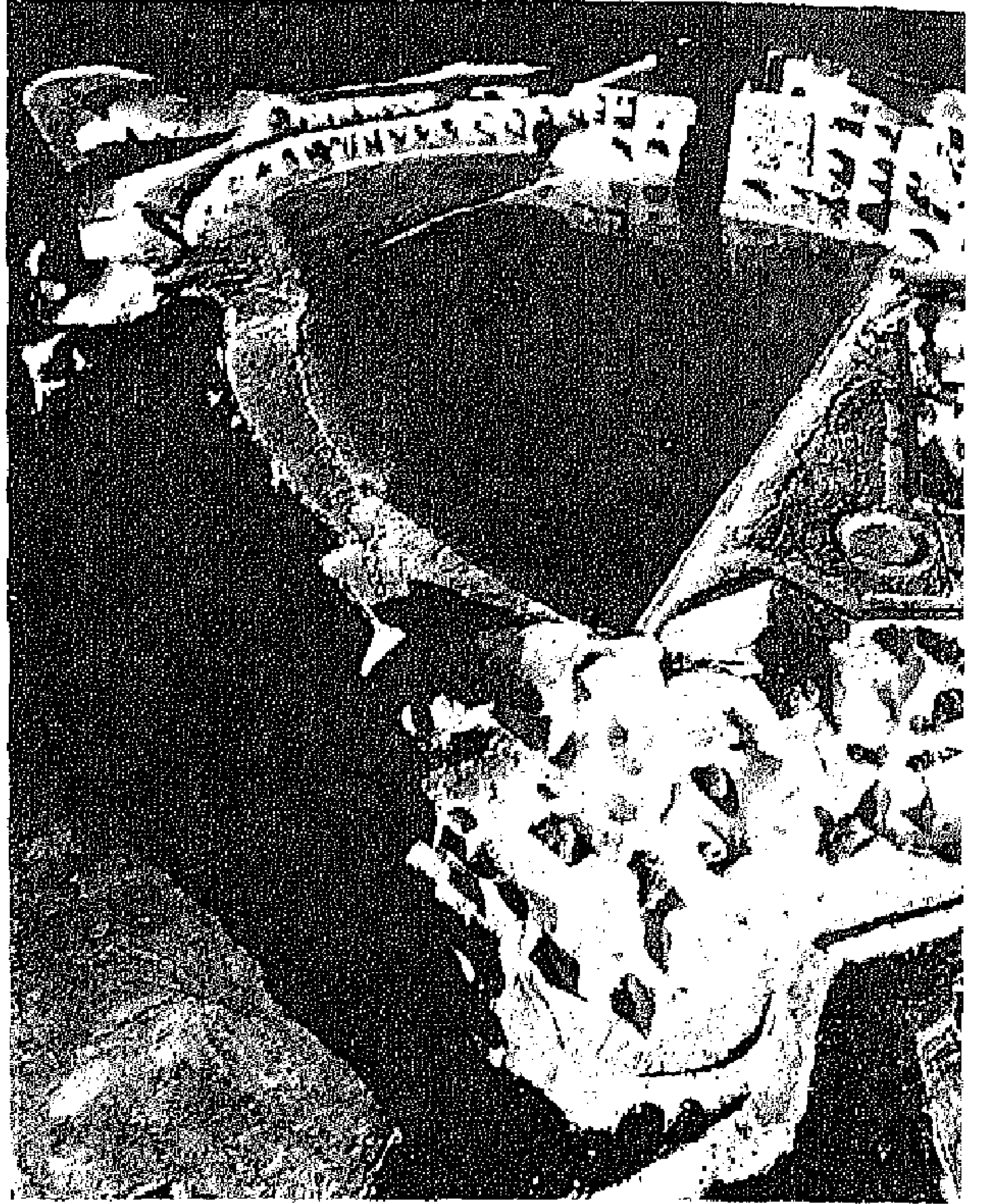
ان كويل انشأ جامعته الخاصة. وفي السن الحادية والعشرين كان تعلم ما يكفيه لفتح مركز توثيق لهندسة العمارة في "ايكس - آن - بروفانس"، فغدا اسمه معروفاً في فرنسا والخارج. وبعد ثلاث سنوات عهدت اليه الحكومة الاسبانية في ترميم احد الاديرة في كاستيل وسط البلاد.

وخلال هذه الفترة تسنى لكويل تحقيق افكاره. فقد طلب اليه المليونير النيويوركي بارني شلي ان يزخرف احدى غرف منزله الريفي في غراس (جنوب شرق فرنسا) الذي صممه مهندس عالمي. وباشر كويل العمل فأزال الزوايا القائمة واقام بعض الكوى والزوايا الخفية وبلط الارض بآجر من طراز العصور الوسطى، محطماً بذلك رتابة الغرفة. وبعد انجاز العمل ببضعة ايام هدم المليونير منزله الجديد تاركاً فقط غرفة كويل. وقال له: "والآن ابنه بطريقتك الخاصة".

مهندس الاغنياء - في عصر الهندسة التي تعتمد الدماغ الالكتروني يصمم كويل مساكنه بذهنية النحات وتذوقه. وهو يبني اولا نموذجاً من الجص يضمنه كل منحنى وكل صخرة وشجرة. وفوق هذه القاعدة يقيم نموذجاً للبناء مبتدئا بالفناء الداخلي ومنظماً الغرف حوله. وكثيراً ما يشارك هو في عملية البناء نفسها، منقحاً التفاصيل التي تتعذر معالجتها على النموذج.

ان الوسائل التي يبتدعها كويل تسهل عملية البناء. فبعدما راقب الزنانير مرة وهي تبني وكرها، صمم طريقة لابدال قضبان الفولاذ في الخرسانة بشبكة فولاذية يبطنها بغلاف من كرتون فتغدو مثل انبوب تخترقه تمديدات الماء والكهرباء والهاتف. ثم يطلي الهيكل بالخرسانة او بالبوليستيرين، وهي مادة مطاطة تستخدم في صنع البلاستيك. ومتانة هذا البناء مذهلة.

وهناك منزل في جزيرة سردينيا بناه اربعة عمال خلال اسبوع، يمكنه حمل ٤٣ طناً من التراب والخضرة. هذا البيت النادر نصفه جحر ونصفه كهف. وهو جزء من مشروع "سميرالدا" الذي اطلقه الامير كريم آغا خان ويمتد فوق رقعة طولها ٥٢ كيلومتراً من شاطىء الجزيرة. وحدد كويل النمط الهندسي للمشروع، فصمم البيوت في مجموعات صغيرة لا تسيء الى منظر الشاطىء. كما صمم المنتجع الفندقي في "كالادي فولبي"، فغدا هذا "القفص المذهب"



نموذج "اكروبوليس المدنية السوداء" الذي سيشيد فوق جزيرة غوري في السنغال.

ملتقى الاثرياء، وكان العامل الرئيسي في شهرة كويل كـ"مهندس الاغنياء".

ويقول كويل: "للاسف، يظن الناس اني لا ابني الا البيوت الفخمة. والواقع ان الابنية الحديثة هي اكثر كلفة. وهم ينسون اني بنيت مئات المساكن الشعبية المنخفضة التكاليف".

وتبرز موهبة كويل المبدعة في مدينة المحمدية (فضالة) في المملكة المغربية. ففي العام ١٩٦٩ بنى ٦٢٠ مسكناً شعبياً كانت البلاد في حاجة ماسة اليها. وشيدت هذه المنازل من "صواريخ خزفية" هي اسطوانات جاهزة الصنع شبيهة بالآجر"، وتولى بناءها عمال عاديون. وهنا ايضاً كانت الطبيعة مرجع كويل، فهو استوحى هذه "الصواريخ" من عظم الساق البشرية ومن قضيب الخيزران: "كلاهما فارغ وذو جدار رقيق. لكنهما يتحملان ثقلا عظيماً".

ويبلغ وزن "الصاروخ الخزفي" نحو كيلوغرام وطوله ٣٠ سنتيمتراً وقطره ٨ سنتيمترات. واحد طرفيه دقيق كعنق الزجاجة. ويسهل استعماله في البناء، فتوضع "الصواريخ" متداخلة، احدها فوق الآخر، ثم تغطى بالاسمنت. يبقى ان نذكر ان مقاومتها للضغط هي ثلاثة اضعاف مقاومة الخرسانة.

ولا عجب في ان كويل صمم ٢٨٠ حديقة. وهو يقول: "النبات يجب ان يشكل جزءاً أساسياً من ثقافتنا كما فعل عبر الاجيال. ان الله لم يضع آدم وحواء على قمة جبل، بل في حديقة ...في جنة".

حكمة الحيوان – في كل اعماله يتطلع كويل الى هدف واحد: ان يكتشف الطريقة الصحيحة للافادة من العالم حولنا. وهو يقول: "تحفزني دائماً الامور التي يصعب تفسيرها او توقعها. ففيها تكمن عبقرية الطبيعة. انظر الى قصر فرساي في فرنسا. اننا نستحسن تناسقه، لكنه منفصم عن بيئته الى حد دفع مهندسيه الى تغيير الطبيعة المحيطة به ومنحه الانسجام المنشود. ولهذا السبب ينزع الفرنسيون الى تصميم الحدائق المنسقة. والآن انظر الى قلعة من العصور الوسطى جاثمة فوق قمة او عند منعطف نهر. هذان الموضعان بالضبط يختارهما الحيوان موضعاً لوجاره".

ان الدراسات التي اجراها كويل دفعته الى اعادة النظر في ظواهر يرفضها زملاؤه باعتبارها خرافات. هو لاحظ، مثلاً، ان تسلق السلم يتطلب جهداً اقل اذا السلم من اليمين الى اليسار كقواقع بعض الرخويات المائية. ويقول: "اني آخذ في حسابي ظواهر كهذه عندما ابني".

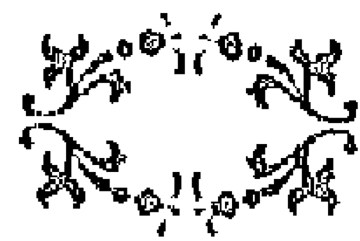
ان حيوية كويل المذهلة تيسر له ملاحقة مشاريع ضخمة في عشرة اماكن مختلفة من العالم وفي وقت واحد. بين تلك المشاريع الفندق الافقي الذي سيبنى في الجزائر، وهو الاول من نوعه في العالم. وستشيد غرفه الالف في مجموعات تربطها ممرات عبر كثبان الرمل الساحلية. كما سألته الحكومة اليونانية ان يبني فندقاً كبيراً في دلفي على جبل بارناسوس يكون هو الآخر مندمجاً بالطبيعة.

وفي جزيرة غوري في السنغال سيبني كويل مجمعاً ضخماً يضم ٣٠٠ غرفة وورشاً ومتاحف ومدرجاً وحوض سباحة يرتفع ٣٤ متراً عن سطح البحر. وصاحب الفكرة هو الرئيس ليوبولد سنغور الذي اراد "اكروبوليس المدنية السوداء" هذا ملتقى للعالمين الاسود والابيض في الفن والهندسة.

في اول ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٦، بعدانتخاب كويل لعضوية اكاديمية الفنون الجميلة في فرنسا، بادره رئيس الاكاديمية لويس ليغ في خاطبه الترحيبي بالآتي:- "في الوقت الذي يرى سواك في مهنته ثمرة لاتعابه الدراسية وشهاداته، تلازم الاستمرارية حياتك العملية لانها دائمة التطور".

واليوم، اذ تحيق بنا اخطار التلوث ومشاكل البيئة، يجدر بنا التمعن في جواب المهندس: "للانسان ان يتصرف بوقته، فهو الذي يعيشه. ولكن ليس له ان يتصرف بالمكان كما يشاء، لان المكان يبقى بعده".

■ جان ـ ماري جافرون



المهندس الغزال

أمضى مهندس وقتاً طويلا وهو يحاول تخطيط طريق جبلية بعيدة بواسطة عدد كبير من الآلات المعقّدة. وكان الى جانبه قروي يراقبه، فسأله أخيراً: "ماذا تفعل؟"

وأجاب المهندس بنفاد صبر: "احاول تخطيط الطريق".

ـ ولكن ما حاجتك الى هذه الآلات كلها؟

"كيف تجد الجواب من غير استخدام آلات؟"

ـ اننا نأخذ حماراً ونخطط الطريق التي يقطعها الى أعلى الجبل.

"وماذا تفعلون اذا لم تجدوا حماراً؟".

ـ عندئذ لا بدّ من استقدام مهندس.

ت.ب.

أوستراليا:

ما نفع الثروات إذا كان الشعب معدوم الخيال

انها ارض بكر تزخر بالكنوز، لكن المشاكل الاقتصادية ما زالت تعصف بتلك القارة الشاسعة القابعة في اسفل العالم

لو لم تكن اوستراليا بلداً حقيقياً لكانت اسطورة وحلماً. فهي ارض بكر مترامية الاطراف تنبض بالحياة وتزخر بالخيرات، تمتزج فيها الخشونة المهيبة بالغموض المثير والثراء المدهش. وفي السهول الساحلية الخصبة تسرح قطعان الماشية في مراع لا نهاية لها، وتتجمع قطعان الغنم بكثافة فتحول السفوح المعشوشبة سحباً متحركة من الصوف. وتموج بحار من الحبوب والسنابل عبر المزارع الشاسعة.

بيد ان الكنز الذي يضمن مستقبل هذه الامة التي تضم ١٤ مليون نسمة، يكمن في الصحارى والنجود والمستنقعات وفي الترسبات المعدنية التي لم يتم استغلالها. ويقول بول فيليبس من مجلس التعدين الاوسترالي: "اننا لم ننفض الغبار عن ارض هذه القارة حتى الان".

والمناطق التي مسحت فعلا غنية للغاية، وتحتوي على الذهب والفضة والبوكسيت والنيكل والنحاس والرصاص والزنك، الى جانب المحروقات خصوصاً الفحم المتوافر بكميات هائلة والزيت الحجري والغاز الطبيعي، في الارض وفي البحر، اضافة الى ٢٠ في المئة من احتياط الاورانيوم المعروف في العالم الغربي.

وفي اوستراليا الغربية عرق الماس يعرف بـ"انبوب الارجيل"، وقد يكون اغنى منجم من نوعه كشف حتى اليوم.

قليلة هي الدول التي حبتها الطبيعة ما حبت اوستراليا من موارد لمواجهة التقلبات الاقتصادية في الثمانينات. وعلى رغم اضطرارها الى استيراد ٣٠ في المئة من استهلاكها النفطي، فان الزيادات المتتابعة في ثمن النفط الخام التي تفرضها منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبيك)، تؤكد اهمية امكانات الطاقة في اوستراليا. وتتمتع اوستراليا حالياً باكتفاء ذاتي في الطاقة. وفي غضون عقد من الزمن ستزيد صادراتها من الطاقة ومن المنتجات التي تتطلب مقادير كبيرة من الطاقة، خصوصاً الى البلدان الآسيوية المجاورة الآخذة في التوسع الاقتصادي والمفتقرة الى الوقود. ان مصادر الطاقة غير المستغلة في اوستراليا، اضافة الى جبال المعادن واهراء الحبوب واللحوم، ستتيح للبلاد فرصة اعادة تكوين بنيتها الاقتصادية، وبالتالي خلق جو جديد من اليسر والرفاهية.

وترتكز التكهنات المتفائلة حول مستقبل اوستراليا على شرطين اساسيين. فهي تفترض ان الحكومة، وهي المسؤولة عن القرارات الحاسمة المتعلقة بالتعريفات الجمركية والضرائب واستثمار رؤوس الاموال والسياسات العمالية، تملك الارادة لتبني اختيارات اقتصادية جوهرية ولكنها محفوفة باخطار سياسية. كما تفترض ان لدى الشعب الحافز والجرأة على قبول المجازفات.

ويرى غلاة المتحمسين ان الوسيلة الفضلى لمواجهة المستقبل تكمن في بناء اقتصاد يقوم على قاعدة نمو عريضة. وحجر الاساس هنا هو الطاقة وخصوصاً الفحم. وينتظر ان تدفع الزيادات في سعر نفط "اوبيك" بالفحم الاوسترالي الى السوق العالمية بكميات متزايدة في نهاية القرن.

على الصعيد المحلي، من شأن هذا الوقود الرخيص توفير الطاقة لمعامل التكرير والتصنيع التي يمكن توظيف ارباحها في تحديث الصناعة الاوسترالية وهو ما كان ينبغي فعله قبل عقود. ان اليابان تنفق ٨٥٠ دولاراً اوسترالياً (٩٨٣ دولاراً امريكياً) لانتاج طن واحد من الالومينيوم بالكهرباء المولدة من محطة مدارة بالنفط. اما في اوستراليا، فتبلغ كلفة الطن الواحد من الالومينيوم المنتج في مصهر مدار بالفحم ٢٠٠ دولار اوسترالي (٢٣١ دولاراً امريكياً).

ولا يجوز ان يتوقف انتاج الالومينيوم عند اعداد السبائك لمعامل التصنيع في البلدان الاخرى. ويرى مارك راينر مدير شركة كومالكو

المحدودة وهي من كبرى الشركات المنتجة للالومينيوم في اوستراليا، ان الاسواق العالمية ستقبل على الالومينيوم المصنع، وان النجاح والربح سيكتسبان لصناعة قطع السيارات ومحركاتها.

وينتظر ان يشمل هذا النوع من التطور موارد اخرى. فسكان اوستراليا الغربية يتوقعون في نهاية الثمانينات ان يدير الغاز الطبيعي مصانع تنتج حديداً خالصاً يصلح للاستخدام مباشرة في افران الفولاذ الكهربائية. كما ان توافر الغاز الطبيعي في اماكن قريبة من مصادر الملح يوفر قاعدة لصناعة بتروكيمائية متقدمة.

حرب النقابات - كل بضعة اشهر تعيد الحكومة الاوسترالية النظر في تقديراتها للاموال التي تنوي صرفها على المشاريع القائمة على الموارد الطبيعية. وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩، بلغ الرقم نحو ١٩ مليار دولار اوسترالي (٢٢ مليار دولار امريكي)، في حين وصل التقدير الاخير الى ٣٤ مليار دولار اوسترالي (٣٩ مليار دولار امريكي). الا ان حكومة كانبره العاصمة وحكومات الولايات الاوسترالية الاخرى (★) لم تقدر حتى الان على رسم خطة متكاملة للافادة من هذه الثروة.

ويقول دنكان ايرونمنغر، الاستاذ في معهد البحوث الاقتصادية والاجتماعية التطبيقية في جامعة ملبورن: "يبدو اننا عاجزون عن اتخاذ خطوة عملاقة".

واجراءات الحكومة دفاعية تهدف الى الابقاء على الامور كما هي في عالم متغير. والواقع ان حكومة كانبره تركت للمستثمرين الاجانب حصة الاسد من تنمية الموارد، فكانت النتيجة ان نحو ٧٠ في المئة من التمويل يأتي من الخارج. ولا شك في ان هذه الاستراتيجية ضرورية في بلد يفتقر الى رؤوس الاموال لكنها تخلق ازمة اقتصادية تتمثل في التضخم والضغط المتصاعد على النقد الاوسترالي. وهكذا تخسر البلاد قسماً كبيراً من ارباحها.

وفيما تقايض الحكومة ارباح المستقبل بالمصلحة الراهنة، نجدها تتردد في اتخاذ اجراءات اقتصادية عملية قد تسبب لها خسارة بعض الاصوات الانتخابية. وكي لا تظهر حكومة كانبره انها وثيقة الصلة بالشركات الخاصة، فهي ترددت في سنّ اصلاحات ضريبية مثل زيادة نسبة الاستهلاك وتقديم دعم مالي لتطوير الشركات. وعلى رغم ضغط شركائها التجاريين الذين يشعرون باجحاف في المعاملة، فهي امتنعت عن خفض التعريفات الجمركية و"الكوتا" خشية استعداء العمال.

كما ان العمال الاوستراليين لم يعززوا قدرة بلادهم على خوض السوق العالمية. ففي العام ١٩٧٩ وحده نشبت نزاعات عمالية ناهز عددها الالفين، ادت الى خسارة ١٥٠ مليون دولار اوسترالي (١٧٣ مليون دولار امريكي) واربعة ملايين يوم عمل. (خسرت النمسا التي يبلغ عدد

(★) تنقسم اوستراليا ست ولايات هي جنوب ويلز الجديدة، كوينسلاند، جنوب اوستراليا، تاسمانيا، فيكتوريا، غرب اوستراليا.

سكانها نصف عدد سكان اوستراليا ٧٦٤ يوم عمل فقط خلال اضراباتها العمالية)٠

وتضم الحركة النقابية في اوستراليا مئات التنظيمات الصغيرة٠ وحتى المصانع الصغيرة نسبياً قد تجد نفسها في نزاع مع نصف دزينة من النقابات. وتدريجاً تجد النقابات ان في وسعها اجبار ارباب العمل ولجان التحكيم على ايجاد تسويات سريعة معها عن طريق الاضرابات القصيرة٠

ولا تبذل الادارة عموماً اي جهد جدي لتطرية اجواء الصراع٠ ويقول اليكس كير، وهو اقتصادي من مدينة بيرث: "يصر العديد من ارباب العمل على ان القضية لا تسمح بحل وسط"٠ اما بول كيتينغ الذي ينتمي الى حزب العمال فاعرب عن خيبة أمله بالفريقين قائلا: "ان نوعية الادارة المشرفة على النقابات الاوسترالية تثير الاشمئزاز٠ كما ان الادارة المشرفة على الشركات في وضع لا تحسد عليه"٠

ثروة المستقبل - الا ان الاضرابات التي تمارس على نحو غير مسؤول احياناً كثيرة تطمس بعض المظالم الحقيقية٠ والعمال محقون في قلقهم حول الاحتفاظ بوظائفهم٠ فبعدما ضربت البطالة رقماً قياسياً بلغ سبعة في المئة قبل سنتين، هبطت الآن الى ٥،٦ في المئة٠ الا ان ٣٧٦٥٠٠ شخص ما زالوا عاطلين عن العمل٠ وتزداد البطالة سوءاً كما تؤكد كيم وندسور (٢٤ سنة)، وهي متخصصة في العلوم السياسية وترئس "اتحاد العمال العاطلين عن العمل" في ولاية فيكتوريا٠ وتضيف وندسور: "ان البطالة تحطم المعنويات الى حد اليأس، فيمتنع الناس عن تسجيل انفسهم عاطلين عن العمل ويوقفون البحث عن وظيفة"٠

وهذه القضية تشغل بيتر هولنغوورث، وهو رجل دين يعمل في اوساط الفقراء والعاطلين عن العمل في ملبورن٠ فهو يخشى حدوث "بلبلة اجتماعية خطرة وموجة عنف اذا ما ابقيت اعداد كبيرة من الناس خارج سوق العمل"٠

ومع ذلك فالمتشائمون انفسهم لا يتوقعون كارثة في مستقبل اوستراليا٠ ويتكهن ماكس ولش، مدير تحرير صحيفة "فايننشال ريفيو" ومؤلف كتاب "البلد الغني المسكين"، بان اوستراليا ستقبل بوضعها كمصدّر للمواد الاولية في خدمة العالم، وبان مواردها الطبيعية ستوفر لها نوعاً من الرفاهية والرخاء٠

وفي لندن، يعترف اقتصادي كبير يعمل لحساب شركة بريطانية لها مصالح مالية في اوستراليا بان للاوستراليين "مقدرة لا مثيل لها على افساد اعمالهم"٠ لكنه يظن ان بعضهم بدأ يدرك المشكلات الكامنة "فهم يأخذون العبرة من بريطانيا التي لا تحسن الافادة من الدخل الذي يدره عليها نفط بحر الشمال"٠

والشبه كبير بين البلدين٠ ذلك ان نفط بحر الشمال لم يزد موارد بريطانيا من الطاقة فحسب، بل زودها فجأة بثروة جديدة٠ بيد ان الصناعة الانكليزية لا تزال اكثر اعتماداً على التكنولوجيا منها على الناس٠ وتواجه اوستراليا معضلة مماثلة لعل افضل دليل عليها هو منجم

نابارليك للاورانيوم في المنطقة الشمالية. وترسبات نابارليك تعتبر اغنى اكتشاف للاورانيوم الخام في العالم. واو اكتشف هذا المنجم في القرن الماضي لاستغرق استغلاله سنوات وشغل آلاف العمال. اما في العام ١٩٧٩، فان استخراج ثلاثة ملايين طن من التراب والصخر وايداع محتواها من الاورانيوم المخزون الاحتياطي للبلاد لم يتطلبا غير ١٣١ يوم عمل و٢٠٠ عامل.

والواقع ان التعدين، وهو القطاع الاقتصادي الذي تكمن فيه ثروة المستقبل، لا يستوعب الا ٨٤ الف عامل من القوة البشرية التي تضم ٦،٦ ملايين عامل. والاضطراب في سوق العمل واضح، ويدل على الحاجة الى تدريب القوى العاملة لمواجهة المتطلبات الجديدة.

وهناك حاجة ماسة الى اعادة النظر في سياسة التدريب العمالية. ويظن مارك راينر من كومالكو ان المشكلة الكبيرة التي ستبرزها الثمانينات هي الحاجة الى اشخاص مدربين لشغل الوظائف الجديدة.

المكافحون – ينصح الاقتصاديون الاوستراليون والاجانب باحداث صناعات اولية تتطلب ايدي عاملة مكثفة وتنطلق من موارد البلاد الطبيعية، كالتكرير والتصنيع الجزئي. ولا يخفى على هؤلاء الاقتصاديين ان ذلك يتطلب وقتاً وجهدا وحنكة، كما يتطلب رفع الحماية الجمركية التي تشمل الآن كل شيء، من السيارات الى السراويل والاحذية، وتصل الى نسبة ١٣٠ في المئة على بعض السلع.

ويظن بيل ويلي، وهو متمول اوسترالي كبير تولى رئاسة شركة "هاتشنسون وامبوا المحدودة" في هونغ كونغ، ان التخفيف من الحواجز التجارية قد يولد حافزاً تنافسياً لشركات اوسترالية عدة. ويتساءل ويلي: "كيف ننتظر من رجال المال ان يصرفوا ثرواتهم على البحوث والتنمية الضروريين للتنافس في السوق العالمية؟ ما هو الحافز؟ من الاضمن لهم اللجوء الى الخيار السهل والاختباء وراء الحواجز الجمركية، وبيع منتجاتهم في السوق المحلية المحمية".

ويرى نائب رئيس الوزراء، دوغ انطوني، ان وضع اوستراليا جيد "لاننا مجاورون للمناطق الاسرع نمواً في العالم، وسنبقى في هذا الوضع في العقدين المقبلين". ويقترح راسل براوز، المستشار المالي في مدينة سيدني، انشاء منطقة تجارة حرة اقليمية كخطوة اولى لتمتين العلاقات مع آسيا. على ان تضم هذه المنطقة اليابان وربما الدول الاعضاء في "مجموعة دول جنوب شرق آسيا" وهي اندونيسيا وماليزيا والفيليبين وسنغافورة وتايلاند.

وتبدو اوستراليا الآن كأنها تتألف من بلدين مختلفين: اوستراليا الاولى اي الجزء المدني الواقع على الممر الساحلي جنوب شرق البلاد ويمتد من ادليد الى ملبورن وسيدني، وفيها يتذمر الناس من ضآلة انتاجية المصانع وقلة السكان والمستقبل المجهول. وتمتد اوستراليا الاخرى من جنوب بريزبان وتشمل المنطقة الغربية والمنطقة الشمالية التي بدأت

تتمتع بالازدهار. تلك هي اوستراليا المتفائلة والمستاءة من موقف حكومة كانبره المحافظ الذي لا يرسم سياسة اقتصادية واضحة ولا يمنح الاقتصاد حرية كافية لينظم نفسه. ويقول تشارلز كورت، رئيس وزراء ولاية غرب اوستراليا المحافظ: "اذا تنحت حكومة كانبره سنة عن الحكم، امكننا حل مشاكل الاقتصاد الاوسترالي بمفردنا".

وما يقوله كورت ينطوي على بعض المبالغة. فالخيارات المتاحة لاوستراليا معقدة وتستعصي على الحل السريع. ومع ذلك فان قلة من الامم تحظى بالفرص التي تتمتع بها اوستراليا. فالجزء الاعظم من البلاد ما زال قفراً حافلا بالمفاجآت لاصحاب المبادرة والاقدام.

وفي كتاب حديث بعنوان "هل هي على صواب؟"، يعيد المؤلفان هيرمان كان وتوماس بيبر الى الذاكرة تقليداً اوسترالياً يوشك على الاضمحلال، هو الكفاح. فالمكافحون هم الذين حولوا هذه المستعمرة - السجن فردوساً، وتلك القفار مزارع للاغنام والماشية. ويجدر باهالي "البلد المحظوظ" في بريتهم الجديدة ان يعملوا الخيال المبدع بدلا من استخدام المعادلات والنظريات البالية في تنظيم معالم امتهم الاقتصادية السريعة التغير.

■ مايو موهز

اعداد: جون دان وروس مانرو



حين يتكلم المال

الذين يظنون أن المال يحقق كل شيء هم على استعداد لفعل أي شيء من أجل المال.

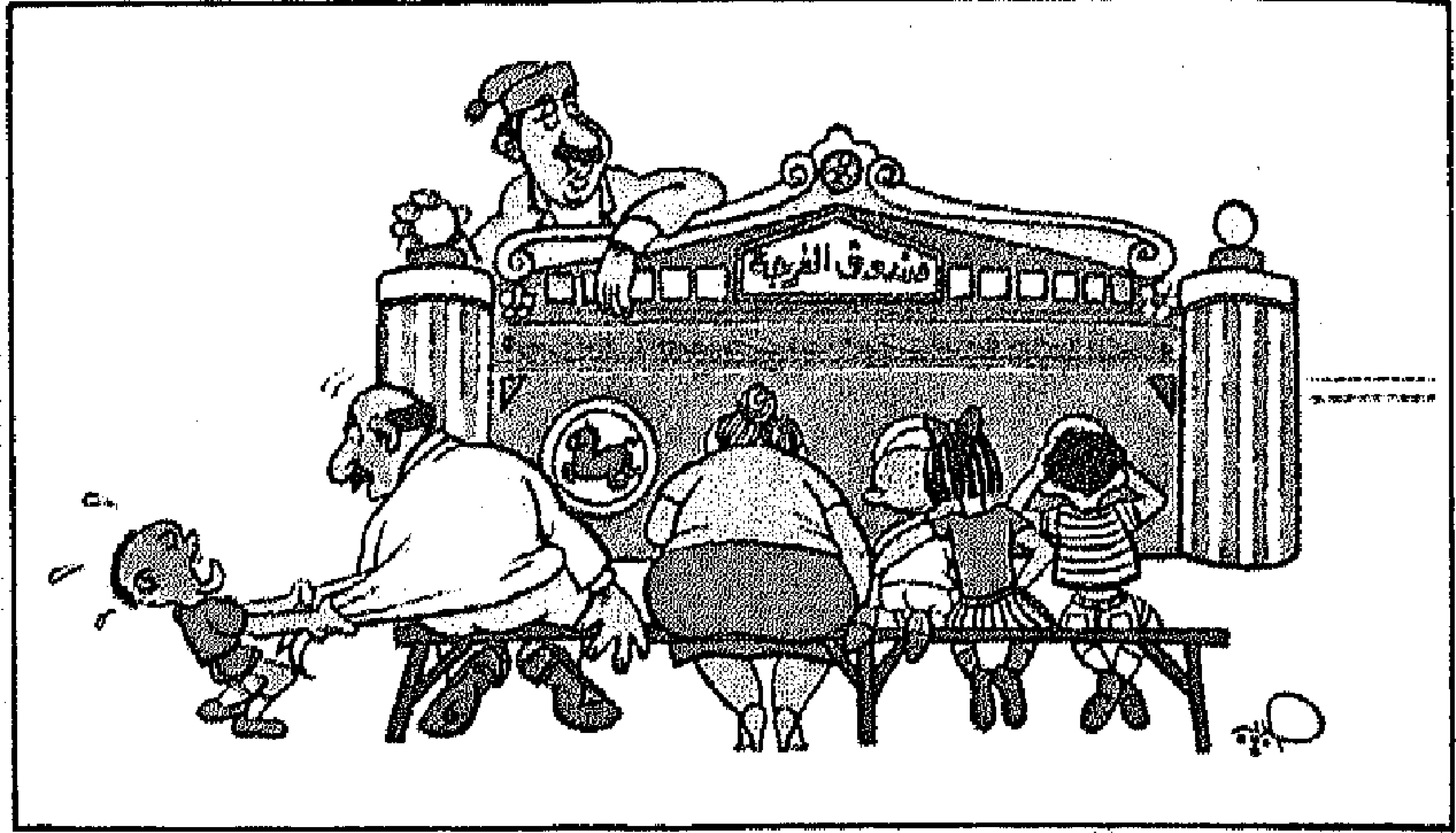
ج.ل.ل.

الرياضة والسياسة

جيمس رستون، الذي غدا من ابرز محرري صحيفة "نيويورك تايمس"، استهل حياته الصحافية محرراً للاخبار الرياضية. وأخبرني أن "الرياضة، بأنواعها المختلفة، كانت ذات أهمية بالغة في رأيه لانها الامر الوحيد الذي ينتهي الى نتيجة. فالمجلس النيابي يفض" اجتماعاً ليبدأ آخر. والحرب الباردة تستمر الى ما لانهاية. ولا شفاء للاضطراب الذي تخلفه هذه الاوضاع الا في الذهاب الى المباريات الرياضية حيث النتائج مضمونة: بعد ٩ اصابات، أو ٦٠ دقيقة، أو ١٥ جولة... ان العالم اليوم يحتاج الى هذا النوع من النظام والوضوح لكي يتحرر من البلبلة والفوضى.

ر.س.

صور من الحياة



هدية العيد

كان ذلك عيد الميلاد الاول الذي يأتي بعد وفاة والدي، وكنا قلقين جداً على والدتي. لكنها وافقت على تمضية العيد معنا. وذهبنا شلة مرحة لاستقبالها في المطار. وحبست دمعها الى أن قدمنا اليها عقداً ذهبياً مرصعاً بالجواهر، أخبرناها أننا اشتريناه بالمال الذي كان أبي يضعه جانباً لشراء هدايا العيد لها. ولما سمعت هذا، قالت والغصة في حلْقها: "انها المرة الاولى لا أهدي اليه شيئاً".

وفي ساعة متقدمة من تلك الليلة، أيقظني زوجي قائلا: "اسمعي". وجلستُ في السرير أسمع صوت غناء. وأسرعنا على رؤوس أصابعنا الى رأس السلم، فرأينا امي جالسة في نور شجرة الميلاد وهي تنشد اغنيات كان والدي يحبها.

ورأيناها في اليوم التالي منشرحة أكثر من قبل. وقلتُ لها اننا أحببنا أغانيها كثيراً. فتألّق وجهها وأجابت: "تلك الاغنيات كانت لوالدك. ولئن لم أتمكن من مشاهدته، فأنا أعرف أنه، حيث هو، يمكنه سماع اغنياتي. وقد أنشدتُ أغانيه المحببة هدية مني اليه في عيد الميلاد".

واليوم، حين افكر في عيد الميلاد، تحضر في ذهني صورة امي وهي تغني، وصورة هدية من المحبة عبرت حدود الزمان والمكان الى عالم هو في عيد دائم.

غ.ب.

بعد فوات الأوان

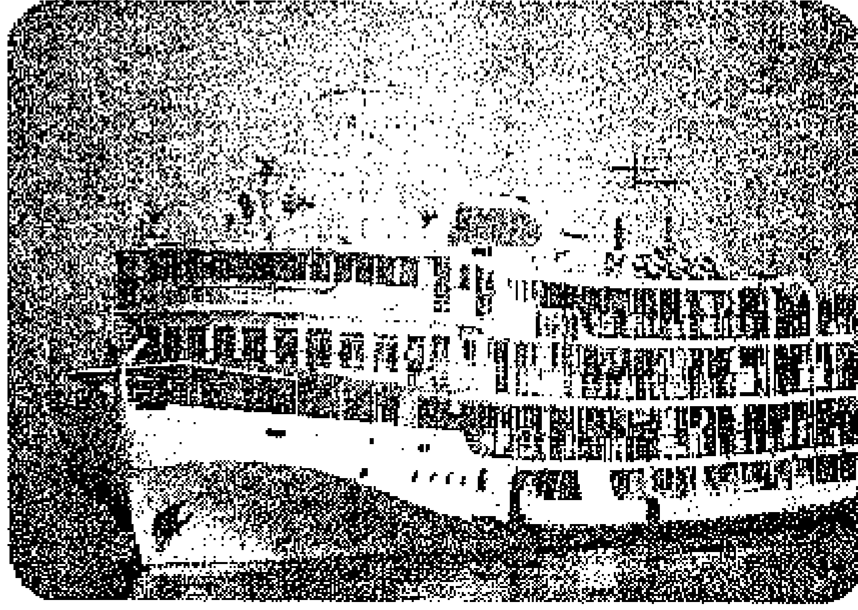
دعا شقيقي الاصغر وزوجته جميع أفراد العائلة الى مأدبة عشاء احتفاء بذكرى زواجهما الاولى. ودار الحديث حول المتزوجين والطريقة التي تعرف بها كل على شريكه. وراح كل منا يروي قصته وقد سرت فينا نشوة الايام الاولى. ولم يبقَ سوى أخي الاصغر الذي شخصت أعين الجميع اليه عندما قال: "التقيت زوجتي في الجامعة بواسطة دماغ الكتروني قرر أن واحدنا يصلح للآخر".

وسألت زوجتي وهي لا تصدق ما تسمع: "أهذا كل شيء؟"

فأجاب أخي مبتسماً: "كلا. لقد أصلحوا الدماغ الالكتروني بعد ذلك".

ج.م.

بين مدينتي تشونكينغ غربا
وشنغهاي شرقاً،
يمتد نهر يانغتسي
مسافة ٢٤٠٠ كيلومتر
ليكون "شارع الصين الرئيسي"



السفينة "الشرق احمر ـ ٢٤" تنطلق من مرفأ تشونكينغ،

النظرة الأولى التي القيتُها على ذلك النهر وسكاند بدت تحولا في الزمن، وراح القارب يمخر مياه تشونكينغ التي تسربت اليها خيوط الضُحى، وينزلق جسمه الأملس بين السفن الشراعية التي يعود تصميمها الى ألفي سنة خلت، وعلى الرصيف انحنى حمال هرم ناحل وهو يجهد لرفع صندوقين يحتويان على آلات حاسبة يابانية،

وشققتُ طريقي بين حشد من المسافرين الصينيين في ثيابهم الزرقاء وأنا أحمل حقائبي بمشقة متجهاً نحو تلك السفينة المدعوة "الشرقُ أحمر ـ ٣٣"، وهي قارب نهري طوله ٦٧ متراً مجهز بمحرك

خاص

النهر العظيم

سفينتان نهريتان تعبران احد مضايق يانغتسي،

ديزل ومدخنة خضراء، كان سيحملني مع ٧٠٠ مسافر من تشونكينغ غرباً الى مرفأ شنغهاي الكبير على بعد ٢٤٠٠ كيلومتر شرقاً. وانطلقت الصفارات كجواميس الماء، ثم شقّت سفينتنا طريقها عبر المياه الموحلة الى عرض النهر. وأخيراً وجدنا أنفسنا وسط نهر يانغتسي العظيم.

إنه مشهد خالد على غرار المشاهد التي تكتظ بها آسيا. ويانغتسي لا يقلّ حيوية عن أهم الممرات المائية في العالم. ذلك ان الطرق البرية الرئيسية قليلة في الصين، على رغم ان عدد سكانها يتجاوز المليار. من هنا وجد الصينيون أنفسهم مضطرين الى استخدام أنهارهم - وعددها ٧٠٠ أو أكثر - للانتقال من مكان الى آخر. ويبلغ طول هذه الانهار مجتمعة ٦٢٧٦ كيلومتراً، وهي تروي أراضي مساحتها مليون و٨٠٠ الف كيلومتر مربّع وتؤمن مياهاً للشرب حجمها ٨٧ مليارا و٧٨٧ مليونا و٣٠٠ ألف من الامتار المكعبة، فضلا عن ربطها عشر مقاطعات صينية بالبحر.

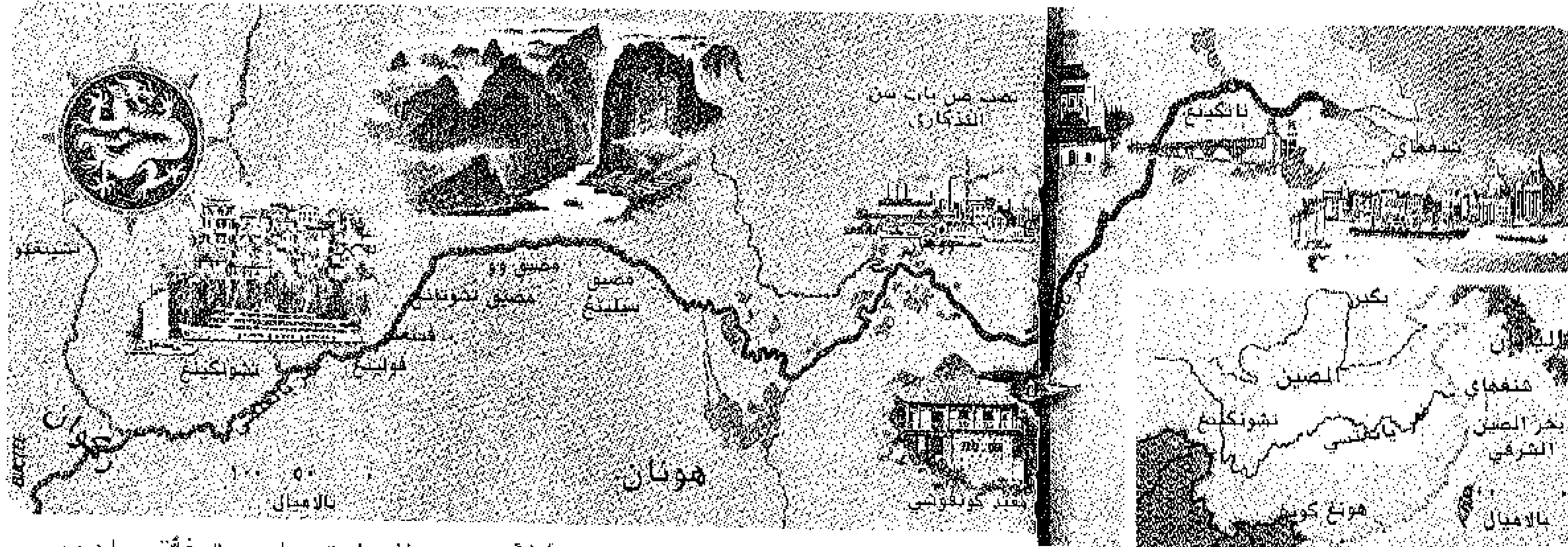
ابن البحر - كان يانغتسي، بالنسبة الى الصينيين، مصدر الحياة، منذ ما بدأت الحضارة تبلغ ضفافه قبل أربعة آلاف سنة. وعندما وقعت عينا الرحالة الايطالي ماركو بولو في القرن الرابع عشر على مياه ذلك النهر العظيم، دوّن في مفكرته الآتي: "انه بحر أكثر منه نهراً". وبنهر مستكشفون آخرون بجلاله، فسموه "ابن البحر". ومهما اختلفت الاسماء، فان يانغتسي يبقى "دا جيانغ"، أو "النهر العظيم". وهو، بحق، شارع الصين الرئيسي.

ينبع يانغتسي من جبال مقاطعة تشينغهاي القصية. وهو يتكون بفعل ذوبان بعض أنهر الجليد في تلك المنطقة. ويشق طريقه جنوباً عبر الاودية السحيقة والجبال الشاهقة التي يتجاوز ارتفاعها ٤٩٠٠ متر والمضايق المنحدرة التي لا مكان فيها لاضيق معبر. ومن مقاطعة يونان، يتجه يانغتسي اولا الى الجنوب ثم ينعطف بحدة نحو الشمال قبل ان يترك المقاطعة من الناحية الشرقية. وعلى رغم ان الناقلات التي تبلغ حمولتها ١١ طناً تخترقه باستمرار حتى مقاطعة زكوان في الجنوب الغربي، الا ان مواصلات هذا النهر تبدأ حقاً عند مرفأ تشونكينغ الحافل بالمناظر الجميلة.

وسرعان ما تتكشف العظمة الاسطورية لهذا الجزء من النهر. فتظهر المنحدرات المزروعة بالصخور الضخمة والضفاف المكسوة بشجر الصنوبر والساج والتي ترتفع ٣٠٠

متر. ويعود تاريخ تشونكينغ وجوارها الى ثلاثة آلاف سنة. وعلى هذا تشهد المعابد القديمة والقصور المتناثرة بين الاشجار. ولكن بين قناطر الماضي الجلية والجنائن المعلّقة تقوم المصانع ومحطات الكهرباء وتلال الرز ومطاحن الدقيق التي تنطق بعظمة منطقة زكوان الاقتصادية.

وفي ميناء بلدة فولينغ الشهيرة بمخللاتها الخضراء التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من الطعام الزكواني، نمرّ عند أثر آسر خلفه الصينيون القدماء. فعلى سلسلة صخرية الى اليمين تقوم



لوحة نقشوا عليها ثلاثين ألفاً من حروف لغتهم ورسوماً تمثل ثلاث سمكات. وهم استعملوا السمكات مؤشراً لارتفاع المياه. وهناك عبارات نثرية وشعرية تسجل المناسيب المختلفة لماء النهر منذ العام ٧٦٣ للميلاد حتى اليوم. وربما كانت تلك الاسماك الحجرية أقدم محطة مائية في العالم ودليلا على الحضارة المتطورة التي شهدتها الصين القديمة.

المضايق الثلاثة - في الصباح التالي شارفنا المرحلة الاكثر اثارة في رحلتنا، وهي المضايق الثلاثة الشهيرة في نهر يانغتسي:

١. مضيق تشوتانغ الذي تمتد مياهه الغدارة ستة كيلومترات ونصف كيلومتر تحت أجراف جبلية مهيبة تغطيها الغيوم.

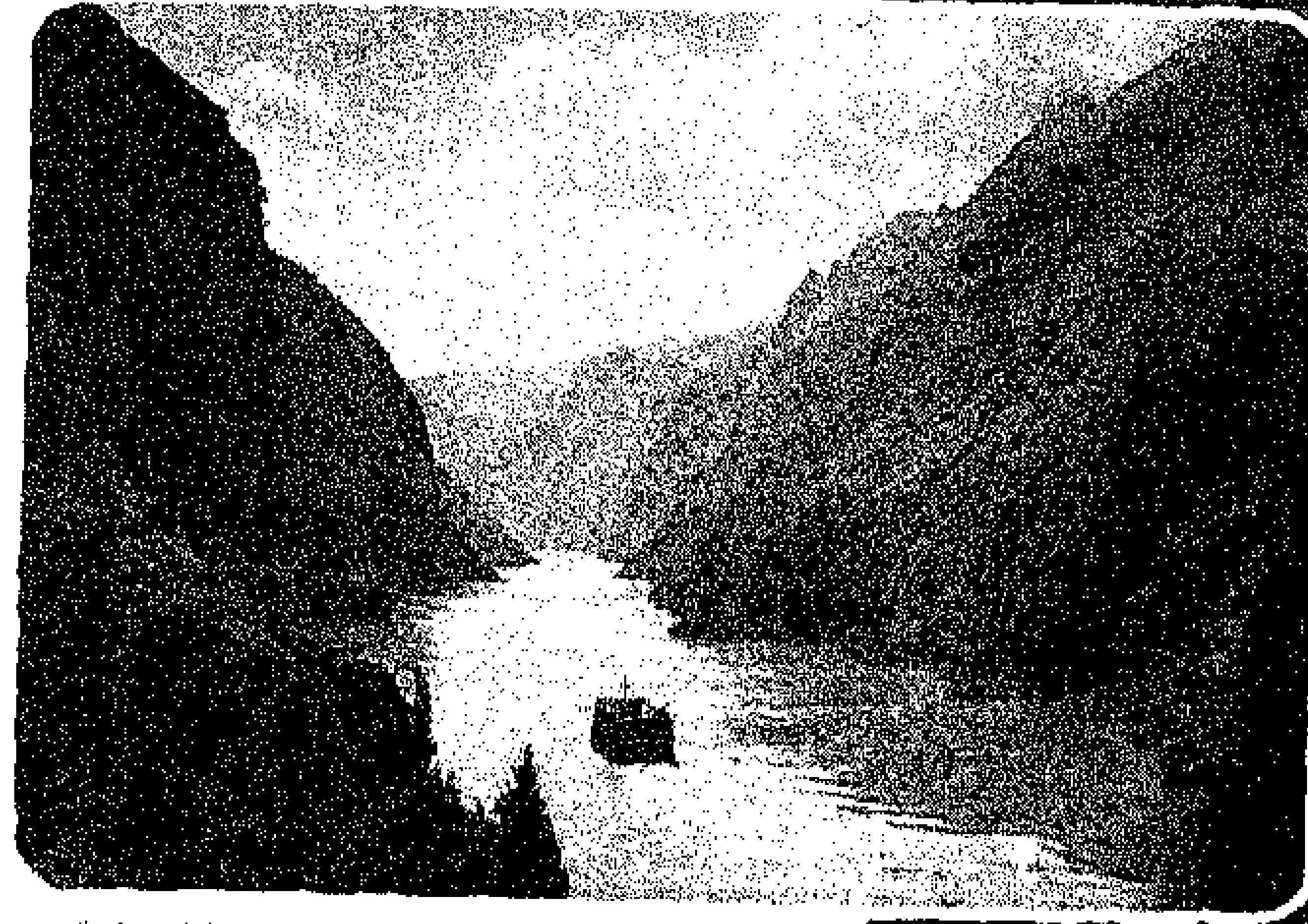
٢. مضيق وو، طوله ٤٤ كيلومتراً بين الغابات الكثيفة.

٣. مضيق سيلينغ الذي ما فتىء البحارة يهابون تدفّق مياهه.

وفجأة ازدادت سرعة التيار وارتفع الضجيج حين بدأت مياه النهر تلطم الجلاميد المحجوبة. غير ان سفينتنا انزلقت كالفلينة تحت وزنها البالغ ١٤٩٠ طناً، متحركة بسرعة تسع عقد (١٧ كيلومتراً في الساعة).

وعبرنا درجات "مينغ ليناتغ" التي أطلق عليها هذا الاسم نسبة الى أحد

أفراد سلالة سانغ الذي حفر تلك السلم سراً وسط جرف يعلو ١٥٠ متراً، من أجل استرجاع جثة ضابط قتله أحد الثوار· وبالقرب من تلك السلم شاهدنا أول معبر على ضفاف يانغتسي· وكان الحمّالون الذين ينتمون الى الطبقة الاجتماعية الدنيا ينحدرون على تلك المعابر لتغيير مجرى السفن الشراعية ووضعها في اتجاه الريح· أما اليوم ففقدت هذه المهنة اهميتها بعد الاستعاضة عن عدد كبير من السفن الشراعية بزوارق عصرية تستخدم المحركات· لكن هناك نحو ألفي عامل ما زالوا يعيشون على هذه المهنة القاسية، محققين في شهر ما تنجزه سفينتنا، "الشرق أحمر – ٣٣"، في يومين·



العبور بين غابات مضيق وو·

تشونگينغ في الليل·

وعلى رغم ان السلطات المسؤولة عن النهر حسّنت أوضاعه في السنوات الاخيرة، الا انه ما زال مثاراً للرهبة، خصوصاً بسبب المضايق الثلاثة التي تتخلله. ولدى دخولنا مضيق سيلينغ، وهو الاخير، دُعيت الى منصة الربان لأعاين المشهد عن كثب. فرأيت البحارة يعبرون بنا منحدر النهر وعلامات الاجهاد والتوتّر ظاهرة على وجوههم. وكان أحد بحارتنا الاربعة يعمل على عجلة القيادة دونما توقّف، جالساً حيناً وواقفاً على رؤوس أصابعه حيناً آخر لئلا تفوته شاردة. واتجه الى الميمنة لتجنّب أحد الصخور، ثمّ انعطف بزاوية ٩٠ درجة نحو المرفأ للعودة الى وسط النهر.

القلب النابض – ما ان عبرنا مضيق سيلينغ حتى اتسعت المياه وركدت. وتراءى لنا القديم والجديد جنباً الى جنب. فعلى جانبي النهر تقوم مصانع عصرية ضخمة وأعمال بناء، بينما النهر يعجّ بالسفن الشراعية البالية. لقد خلفنا مناظر يانغتسي الغنية وراءنا ودخلنا منبسطاته الوسطى العادية.

وعبرنا مسافة تقوم على جانبيها اراض مستصلحة ستُنشأ عليها قريباً مصانع حياكة وأحواض لبناء السفن وترميمها وأرصفة لمرفأ كبير. وهذا الجزء من النهر يشهد على ان الصين هي في المراحل الاولى لتنفيذ أكبر برنامج عالمي لتوليد الكهرباء وحفظ الماء. وعند الانتهاء من تشييد سدّ غيزهو في وقت لاحق من هذا العام، ستبدأ بحيرة كبرى تتكون حيث تقوم

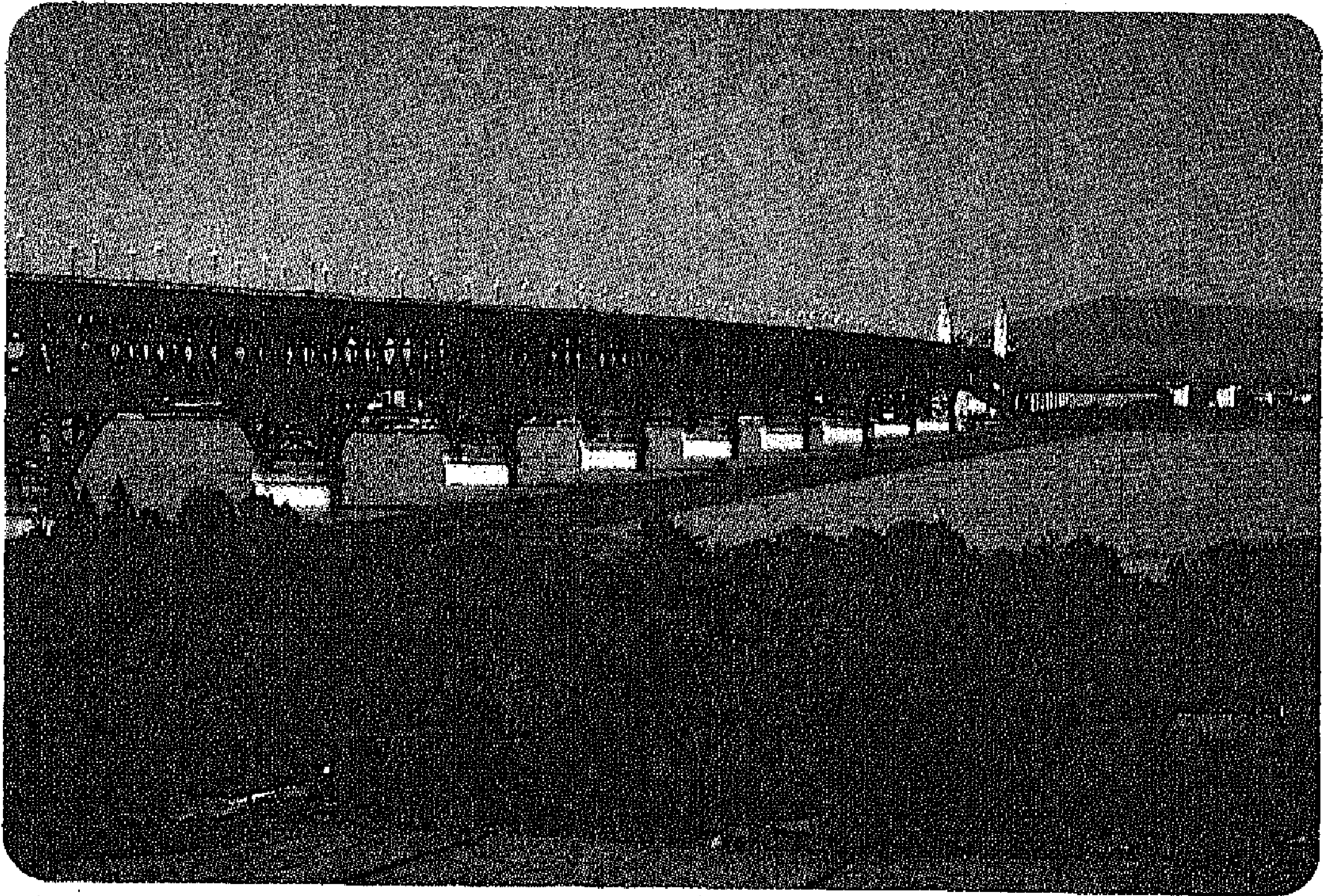


في مرفأ شنغهاي المزدحم تتلاقى السفن القديمة والعصرية.

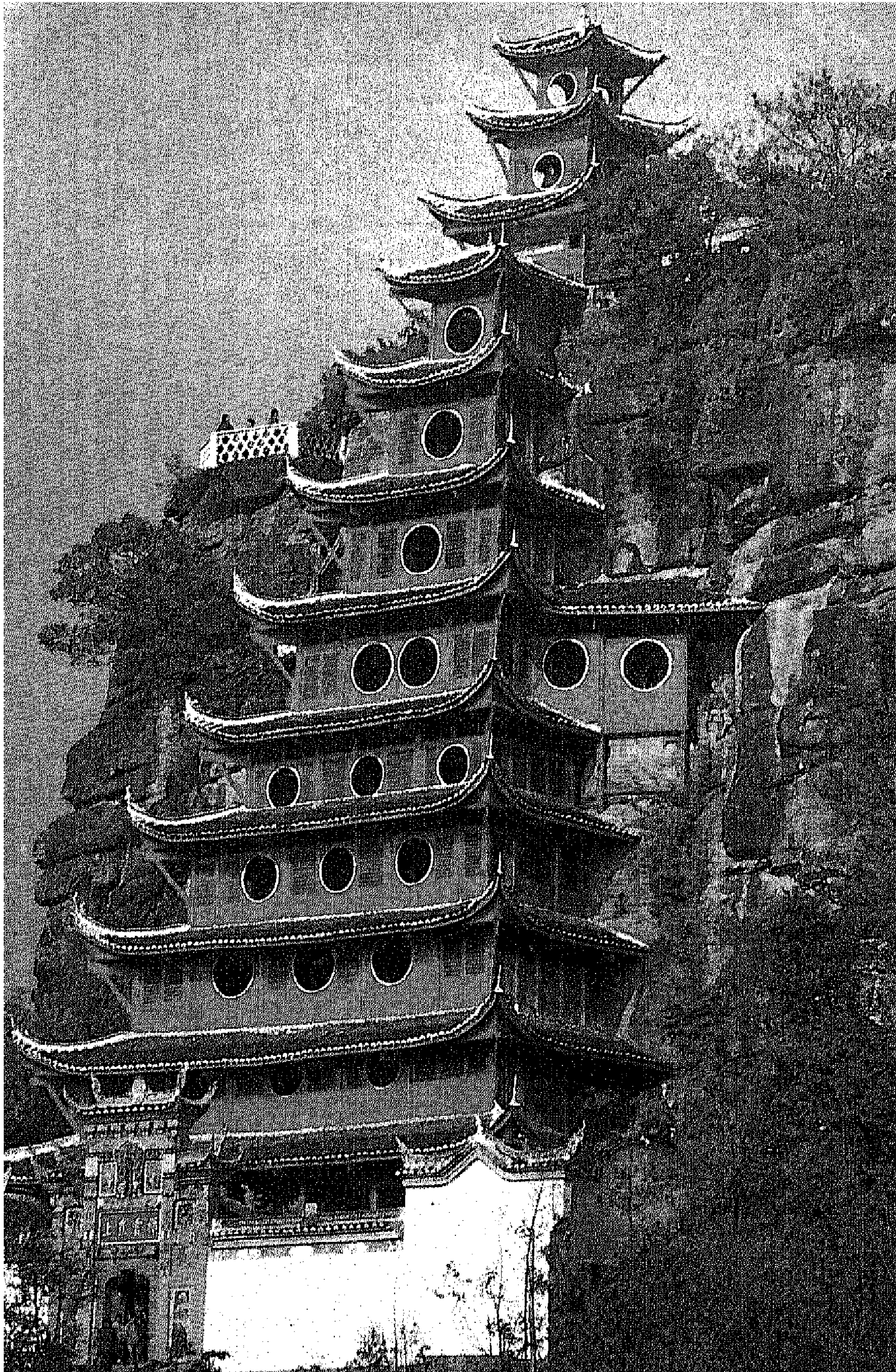
المضايق الثلاثة الخطرة، فيرتفع مستوى المياه ٢٠ متراً. وهكذا سيزول جانب من الاخطار الملازمة لنهر يانغتسي، ولكن سيمحي جزء من عظمته وتاريخه في الوقت نفسه.

وفي منتصف عبورنا من الغرب الى الشرق، مررنا في منطقة ووهان، وهي كلمة مركّبة من أسماء ثلاث مُدن (ووشانغ، هانيانغ، هانكو). وقد كتب المبشّر والمؤلّف الأب ايفاريست – ريجيس هوك عام ١٨٥١ عن تلك المدن الثلاث، قائلا انها "بمثابة القلب الاقتصادي النابض الذي يضخّ الازدهار الى أجزاء الامبراطورية كلها". ولم تتبدل وظيفة ووهان هذه. الا ان القرن العشرين أضاف الحديد والفولاذ والورق والزجاج والالكترون الى المنتوجات القديمة من أغذية وزيوت وأخشاب وأقمشة.

أيام العزّ – شقت سفينتنا طريقها بتؤدة نحو رصيف تقوم خلفه واجهة مائية اشتهرت، قبل العام ١٩٤٩، بالشركات والقنصليات الاجنبية التي كانت تملأها. والناظر الى أبنيتها الكبيرة المتألقة ذات الطراز الغربي يدرك ان رجال الاعمال الذين توافدوا اليها كانوا يظنون ان مكوثهم سيطول. وبين تلك المعالم بناء كان مركزاً لمصرف هونغ كونغ وشنغهاي، وقد طُليت أعمدته المهيبة بشعارات ترجو الزعيم ماو (ماوتسي تونغ) ان يعمّر عشرة آلاف سنة. وعلى شرفة في تلك البناية علّقت فوقها نجمة حمراء كبيرة، تمددت مجموعة من العمال تستعمل المصرف السابق



جسر نانكينغ الذي بناه المهندسون الصينيون بعد مغادرة الخبراء السوفييت.



مهجعاً لها. وفي الطبقة الاخيرة من بناء فخم كان يؤوي مصرف الهند الصينية علقت الجماعة التي حلت في هذا البناء غسيلها - وهي فرقة أوبرا من مقاطعة هينان.

أما الوادي عند منتصف النهر وآخره فيزداد تسطُّحاً مع الايام، في حين تتضاءل قوة التيار. وكانت سرعة السفينة تخف ونحن نقترب من نانكينغ، عاصمة الصين ابان حكم الوطنيين. وتقوم هذه المدينة على سهل تحيطه جبال الارجوان شرقاً ونهر تشينهواي، الذي يصب في يانغتسي، غرباً. ويعود تاريخها الى القرن الثامن قبل الميلاد. وهي ما زالت تضم عدداً كبيراً من الآثار القديمة، منها حصن حجري يعود الى مملكة وو في القرن الثالث، وبحيرة هسوان وو التي تقوم وسطها خمس جُزُر خُبِئت في احداها المحفوظات الامبراطورية القديمة.

الا ان ما يهمنا من نانكينغ على نحو خاص هو تاريخها الأقرب الينا. ففي هذا المكان تنازلت الصين، وهي في حال ضعف، عن هونغ كونغ لبريطانيا، ووقَّعت معاهدة فتحت بموجبها خمسة مرافىء للتجارة الاجنبية. وكان ذلك عام ١٨٤٢. وما زالت الصين تسمي معاهدة نانكينغ "معاهدة بين غير متساوين".

وفي مدينة نانكينغ ايضاً، أعلن صن يات سن ولادة جمهورية الصين عام ١٩١١. وهناك أقام له الوطنيون نصباً ضخماً بعد وفاته عام ١٩٢٦، وهو ما زال في مكانه.

ثالث مدينة - في اليوم التالي انطلقنا نحو شنغهاي، وهي النقطة الاخيرة في رحلتنا. وعند الغسق، وصلت سفينتنا الى الشاطىء ورست بالقرب من سفينة تجارية ضخمة. وجدير بالذكر ان عوامل عدة تضافرت لتحويل شنغهاي من قرية صغيرة تعيش على مهنة صيد السمك التي توارثتها من القرن الحادي عشر الى ثالث مدينة في العالم من حيث الضخامة. وهذه العوامل هي نهر يانغتسي نفسه واليد العاملة الصينية والتخطيط الصيني والغربي. ومن بناية مرتفعة في شنغهاي تختلط الوان مصابيح النيون الزرقاء والحمراء والخضراء لتعرض مسلسلات اعلانية تتميز بها هذه المدينة. وعلى امتداد الطريق المحاذية للشاطىء، تمرّ السيارة بعدد كبير من الباعة المتجولين الذين يعرضون الاشغال اليدوية ومنتوجات المزارع والثياب.

وأدخل "فندق السلام" المهيب، الذي كان يوماً من أفخم فنادق العالم، فتقابلني موظفة الحجز بابتسامة وتسلمني مفتاح الغرفة ٦٢ التي ما برحت تُدعى "الشقة الامريكية" لانها صُمِّمت على طراز امريكي من القرن التاسع عشر.

ومن نافذة غرفتي المطلة على النهر، وقفتُ أراقب السفينة التجارية "الرئيس تايلور" وهي تنطلق مسرعة عبر السفن الشراعية وسواها من السفن الصغيرة التي تسير بالمجاذيف، وتتجه بحملها الذي يبلغ ١٦ ألف طن الى نيويورك. وهكذا انتهت رحلتي عبر ذلك النهر العظيم لتبدأ رحلة "الرئيس تايلور" بين الصين والقارة الامريكية.

■ **انطوني بول**

معبد قديم على ضفة يانغتسي الشمالية بالقرب من وان هسيين.

خاص ... ...

أغنية حب



ملخص من كتاب
بقلم بولا دارسي



أغنية حب

هذه الرسائل الى ابنتي ساره بعضٌ من اليوميّات التي بدأتُ تدوينها عام ١٩٧٣ عندما علمتُ أني حبلى. ولم يَدُرْ في خَلَدي آنذاك انها ستغدو مذكرات مفصّلة لايام وحياة اختُطفت من غير شفقة.

الا ان هجوم الموت الشرس، بما خلّفه من ألم، حمل إليّ فهماً عميقاً للامور حتى غدت هذه الكلمات الى ساره اغنية، لا بكاء.

أما فكرة هذه اليوميات فقد جاءت من زوجي بمقدار ما جاءت مني. لذلك يجب ألا أرفع هذه الاغنية وحدي، بل يجدر ان نرفعها نحن الاثنين. انها اغنية حُب وانشودة عائلة كانت، في وقت ما، لنا وحدنا.

ووترتاون، كونيتيكت، فبراير (شباط) ١٩٧٣.

عزيزي الطفل الجنين،

حقاً انك ذكَر، وسأدعوك اندرو. والحقّ أني حبلى، وما من شكّ في ذلك. انّ الفحص الذي اجراه لي طبيب النساء بدّل حياتي كلها. أهلاً بك يا أصغر طفل. ليكن نموّك قوياً داخل أحشائي.

مارس (آذار) ١٩٧٣،

عزيزي اندرو،

يصعب ان أصدق ان هناك كائناً صغيراً حياً ينمو في داخلي. والارجح ان والدك لا يفكر فيك طوال الوقت كما أفعل أنا. الا ان تكوينك يتم في هذا الجسد، لا في جسد والدك. لكنني أراقبه دائماً وهو يخبر الناس اننا "نتوقع" مولوداً. انه فخور جداً، ويكاد احياناً لا يصدق انك هناك.

إنّ والدك ينظر الينا، كما ينظر الى كل شيء، كجزء من حركة الحياة. وذهنه لا ينفك يبحث عن أجوبة حول المبادىء التي تسير التاريخ البشري، هذا التاريخ العسير الادراك. وفي حين أُقدّر شخصياً الاسئلة التي يطرحها، الا ان الحقيقة بالنسبة اليّ هي ما يوجد هنا والآن، وليس ما وُجد قبل ألف سنة فوق سهوب الشمال البعيدة. ان ما

يسيرني هو جسدي، هذا الجسد الذي يتبدل قليلا ليستوعب حياة انسانية أخرى.

ويراودني شعور بأني لا احتاج كثيراً الى الكتاب الذي يطالعه والدك يومياً. فهو يتكلم عن أحداث ضاربة في القِدَم، في حين يبدو لي ان كُنْه الحياة هو في الزمن الحاضر.

ابريل (نيسان) ١٩٧٣،

عزيزي اندرو،

بدأ والدك يرشّ بذار الفلفل الأخضر في حوض النبات خارج نافذة غرفة الطعام. ترى هل سيتسنى لي ان آكل بعضاً من ثمره ذات مساء في الشتاء المقبل وأنا أضمّك بين يديّ؟

إننا سنحبّ هذا الثمر عندما تأتي. انك لستَ فكرة أبيك ولا فكرتي، لكنك فكرتنا نحن الاثنين. ولا يمكن ان نفكّر فيك بانفصال عنا. اننا عائلة.

يونيو (حزيران) ١٩٧٣،

عزيزي اندرو،

كنتُ كمن يجرّب القدر حين اشتريتُ لك بعض الملابس هذا اليوم. وقد اخترتُها كلها زرقاء، علّك تأتينا أنتَ بالذات.

إنّ والدكَ يعتني عناية فائقة بالحديقة التي يزرعها خُضَراً للمرّة الاولى. وهو يدّون جميع التفاصيل حول البذار التي يزرعها للموسم المقبل، تماماً كما أدون انطباعاتي الاولى عنك. غير اني لا أتمتع بالصبر الذي له. ففي داخلي شيء يدفعني الى الحركة الدائمة. وفي الاول من يونيو (حزيران)، كتب في سجلّ الحديقة ما يأتي: "الصبر نبات آخر ينمو في الحديقة، والى جانبه العزم. والقوة لا تنبت الا في أوانها".

انني لا أتمكن من السيطرة على هذه الحدّة التي تلازمني. لكنّ الطبيعة ستقول كلمتها ويأخذ الزمن مجراه.



روي دارسي

اغسطس (آب) ١٩٧٣

عزيزي اندرو،

كيف ينتابني شعور بالشيء ونقيضه في الوقت نفسه؟ اني اريد لهذا الحمل ان يستمرّ ولا ينقطع. فأنا أحبّ الحياة بالقرب منك. ولكن متى سينتهي الحمل؟ اني متعبة كثيراً وأحسّ ان بطني كان منتفخاً طوال سني حياتي الماضية.

ان الحديقة ملأى بالمزروعات التي تحتاج الى عنايتي. لكنك تقف في طريقي وتعوقني عن تأدية واجباتي اليومية. ان كل شيء ينمو ويكبر سريعاً، وهكذا أنت!

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣،

عزيزي اندرو،

اني أخيط هذا اللحاف الاحمر الصغير لك، من غير ان أستطيع التركيز. ذلك ان نوبات المغص الحاد تلاحقني. وأفكر: لقد حان الوقت. ترى هل حان فعلا؟ من الافضل ان أخابر الطبيب. اني اشكر الله على انّ المرة الاولى تأتي مرة واحدة.

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣،

عزيزي اندرو،

انك سارة، لا اندرو! لقد ضحكنا اولا، ثم بكينا. اننا لا نستطيع تصديق ذلك. لقد صحّ تشخيصي للمخاض، ولم يكن لديّ وقت أضيعه، وجاءت النهاية سريعة جداً: أنتِ تلحين في الخروج وأنا هلعة. ثم أتيتِ: عشر أصابع في اليدين وعشر أصابع في القدمين... وطفلة صغيرة، ولكن تامة.

ورحتُ أنظر اليك وأنت تشقّين طريقك الى هذا العالم. وتلك لعمري كانت أكبر متعة اختبرها. لقد كانت متعة كاملة لم أعرف في حياتي سعادة حقيقية مثلها. ولسوف أحمل صرختك الاولى بين ضلوعي اينما ذهبْتُ.

ها أنت الآن ترضعين بهدوء من صدري وأنا أغني لك التهاويد كي تنامي. آه كم أنا أُحبّكِ.

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣،

عزيزتي ساره،

لماذا أنتِ تبكين؟ كنتُ أظنّ انّ دموعك لا تهزّني ولا تسلبني قوتي. ولكن انظري اليّ. من كان يدري ان الامومة ليست بالامر السهل؟ انكِ تقلبين حياتي رأساً على عقب.

عندما كنتُ في المستشفى، بدت لي الامومة مغامرة مثيرة. ولكن ما ان عدت الى المنزل حتى سلبني الارهاق تلك الافكار الشعرية. وفي بعض الايام أشعر ان هناك مسابقة في البكاء بينك وبيني. آه كم نحن محظوظتان لانّ أباكِ لا يتذمّر.

فبراير (شباط) ١٩٧٤،

عزيزتي ساره،

ان تلك الايام الاولى الملأى بالقلق تبدو الآن أبعد فأبعد. فأنتِ ووالدكِ وأنا غدونا فريقاً جميلا. وهل لاحد انْ يطمح الى أكثر من حياتنا البسيطة التي لا مكان فيها لشيء آخر؟ لقد بلغ حبنا لهذا البيت مبلغاً جعلنا نفكّر في عمادكِ في غرفة جلوسنا. انّ تكريسك سيتم في الغرفة نفسها حيث نأكل ونضحك ونستقبل اصدقاءنا.

من الصعب، يا ساره، أن يعيش المرء حياة متنكسة. فالعالم خلف هذه الجدران البسيطة يتحرك بسرعة مذهلة. وأملي الا تنظري الى الامر بخفة عندما نصلّي وإياكِ أو عندما نضعك على النافذة لتراقبي العصافير والسناجب.

مارس (آذار) ١٩٧٤،

عزيزتي ساره،

اليوم أمضينا ساعتين ونحن جالستان الى الطاولة الحمراء ننفخ فقاعات الصابون. قبل عام كان التوتر يمنعني عن الجلوس وممارسة ألعاب كهذه. ثم جئتِ لتساعديني

كثيراً في التغلّب على ذلك الشعور.
وها أنا الآن اعامل كلا منا بعناية كما لو كنا البذار التي نريد غرسها في الحديقة، وخفّ قلقي على الامور التافهة،وبتّ اشد اهتماماً بالامور التي تترك أثراً في الناس. وصرتُ أحكم على قيمة الإشياء بالسؤال الآتي: "هل لهذا الشيء أثر في حياتي كلها؟" وهذا يعينني على طرح كثير من التوافه جانباً.

يوليو (تموز) ١٩٧٤،
عزيزتي ساره،
أنا جالسة الآن امام نافذة غرفة الجلوس، أنظر الى قبعتك الصغيرة تختفي في الشارع وأنت على ظهر والدك. ان قلبي يؤلمني لانك كبرت وغدوت مستقلة عني. الا انَ حُبي لكِ يملأني ويمنحني السرور.

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤،
عزيزتي ساره،
بعد يومين يصبح عمرك سنة. ان رؤيتك تكبرين خلال السنة الاولى من حياتك كانت أعظم مكافأة على كلّ عمل شاق انجزتُه. وقد ترك لديّ هذا العام أحبّ الذكريات، ومنها نزهاتنا الشتوية معاً وأنت في العربة تحت الاغطية، من دون ان يظهر منك سوى رأس انفك الصغير، والنظر اليك وأنت تسبحين وتبرزين فجأة من الماء، وتلك الكتب التي اشتريناها لك.
سلِمْتِ لي أنت وكتبك. اني قصيرة الصبر في العادة. ولكن اذا رغبت في ان أقرأ عليك القصة الواحدة خمس مرات متتالية،فاني لا احجم عن ذلك، ولو أهملتُ غسل الصحون الى حين. ان في داخلي شعوراً يخبرني انني لن أستطيع تحقيق رغباتك بهذه السهولة.

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٤،
عزيزتي ساره،
الجوّ هادىء هذا المساء. أبوك يدرس في كتبه وأنت مستغرقة في الاحلام. وبعد قليل سنجلس أنا ووالدك لنناقش الافكار التي يريد تدوينها في اطروحته عن تولستوي.
من المضحك انّنا ننظر الى الامور بطريقتين مختلفتين تماماً، فأنا أتساءل دائماً عن الناس: ما الذي يلهمهم ويحرك أفعالهم ويدفعهم الى الكره والحبّ. أما والدك فيربط افعالهم بالحياة والتاريخ ككل. غير ان نظرتينا تتسعان اذا جمعنا احداهما الى الاخرى. وأمنيتي ان نجلس دائماً ونتحدث.

فبراير (شباط) ١٩٧٥،
عزيزتي ساره،
هل ستتساءلين على الاطلاق كيف كنت في شهرك السادس عشر؟ حسناً، لقد رقصنا اليوم كثيراً على أنغام الموسيقى وضحكنا بملء قلبينا.
- اني أحملك كل مساء قبل أن تنامي، واغني لك: "طابت ليلتك أيتها الطفلة". وانك لن تعرفي كيف كنت أشعر ورأسك ذو الشعر المعقوص يستريح الى صدري. ثمّ تشاركينني في الغناء. نغماتك، أيتها الطفلة، تعانق هواء الليل، وهي عذبة فوق ما أستطيع تذكّره.

يونيو (حزيران) ١٩٧٥،
عزيزتي ساره،
اطروحة والدك مهمة جداً بالنسبة اليه. ولقد تجاوزت كونها عملا دراسياً محضاً غايته الحصول على درجة جامعية عليا. فهو بات يحب تولستوي بعدما قضى وقتاً طويلا يتأمل في أفكاره.
وبينما يجلس أبوك مستغرقاً في دروسه، نلعب نحن الاثنين لعبة "الفئران". ترى أيمكننا البقاء هادئتين كيما يتسنى لأبيك التفكير؟
لقد رآنا هذا اليوم نخرج الى نزهتنا الصباحية. وقال: "كلا، لا أستطيع الذهاب معكما لأن لدي أعمالا كثيرة". لكني لم أكن غادرت باحة المنزل حين أمسك بيدي وجاء معنا. وربما تذكر العهد القديم الذي قطعناه على انفسنا، وهو أن سعينا سيكون لا الى الغنى أو المجد، بل الى أن نبقى جنباً الى جنب. واذا لم تحل العائلة دائماً في المقام الاول، فنحن قد نفقد هذه النعمة. ترى هل سيسعفنا الحظ على ألا ننسى هذا العهد؟

يوليو (تموز) ١٩٧٥،
عزيزتي ساره،
الآن نعلم علم اليقين أننا نعيش في ووترتاون (بلدة الماء). لقد أتى المطر بطوفانه على حديقتنا وخرب مزروعاتها، مما جعلنا نذرف دمعاً غزيراً عليها. الا أن أباك يتقبل ما تأتي به الطبيعة. أصغي الى ما دونه في السجل الخاص بالحديقة: "هذه ظروف تتجاوز سيطرة الانسان. والحكمة تقضي بأن نعمل بحماسة ودقة، من غير أن نرفض النظام الكوني". أما أنا فمن الشاق أن أسلم بهذه الآراء.
لقد سهرنا هذه الليلة نتكلم عن صديقك الصغير الذي أصابته حمى قوية. وقلت لوالدك اني لا افهم كيف يتحمل والداه ذلك. اذا كنت مريضة الى ذلك الحد، فاني لن أقوى على الاحتمال. وخوفي الا أستطيع قبول ما لا تمكنني السيطرة عليه.

يوليو (تموز) ١٩٧٥،
عزيزتي ساره،
اننا نزور جديك باستمرار. وقد أفضيت اليهما بالسر الذي أبهج أيامنا كثيراً: "ماما تحمل طفلا في بطنها". ان عائلتنا المؤلفة من ثلاثة أفراد على وشك أن تصبح أربعة. آه كم هي الحياة طيبة!
صحيح أننا لا نحصل على أي مال اضافي. وأحياناً أحار في امر مصروفنا: هل سيمكننا دفع كل ما علينا؟ لكن والدك يقرأ لنا مقاطع من الكتاب الذي لا يفارقه. وعندما أكون حزينة يقرأ علي الشعر. وهكذا تنقضي لحظات الهم. ان حياتنا غنية بمعنى آخر.

اغسطس (آب) ١٩٧٥،
عزيزتي ساره،
هذا الصيف يحمل الينا هنيهات سعيدة. فنحن نمشي معاً كل صباح نستكشف الاعشاب وننحني فوق الزهر. اني أشعر بالطمأنينة والرضا. لقد بدأ الطفل الجديد يتكون داخلي، وأنت، طفلتنا البكر، تكبرين في الحب. وننظر اليك باعتزاز

وأنت تتعلمين اموراً كثيرة. انك تدهشين أباك اذ تركضين بين أثلام الحديقة صارخة: "بندورة (طماطم)، كرفس، خس..." لم يدر في خلدنا أن هناك طفلة صغيرة ستعرف حديقتنا وتحبها هي الاخرى.

سنأخذك مرة اخرى الى جديك لتمضية بعض أيام. أنت التي تبهرك أصغر الكنوز، ترى كيف ستنظرين الى البحر العظيم؟

اغسطس (آب) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

كنا عائدين في السيارة من عند جدتك. ورأسك كما يخيل الي، كان مليئاً بالذكريات عن الرمل والثقوب الكثيرة التي رحت تملأينها أنت ووالدك بماء البحر. كانت أياماً سعيدة حقاً. ألا أن العودة الى البيت هي دائماً أجمل الاشياء.

فجأة مد والدك يده وشد على يدي. وكنا على وشك الوصول الى البيت. وأحسست بك تتلوين، فسألتك: "أتريدين قطعة حلوى؟" ولم أدر، وأنا احاول الوصول اليك، الا أن سيارة بيضاء كانت تتجه نحونا... يا الهي!

والآن يقول لي كل من يراني: "اني متأسف". وأنظر فلا أرى سوى أعين ملؤها الشفقة والاهتمام. ويبدو لي أني تصرفت حسناً اذ اسمعهم يتهامسون: "انها شجاعة حقاً". وأقول لهم ألا يقلقوا علي. ولكن لماذا لساني معقود هكذا؟ لقد أصيب زوجي وابنتي بجروح بالغة. انهما يموتان.

هذا يجب أن يكون حلماً. ان خوفاً كهذا لا يمكنه أن يجد طريقاً الي. اني لا أصدق شيئاً.

اغسطس (آب) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

الحلم ما زال مستمراً. انه لا يبارحني. لكن الزمن سيمضي، معي أو بدوني. وككل يوم آخر، يحملون الي ثلاث وقعات. انهم يظنون أن شؤون العالم ما زالت تسير كما كانت.

لقد وضعوك في مستشفى آخر. أنت تموتين وحدك، بعيدة عني. انه أمر لا يمكنني استيعابه. اني أبكي، لكن الدموع ليست دموعي. فأنا لم أعد أنا.

اغسطس (آب) ١٩٧٥،

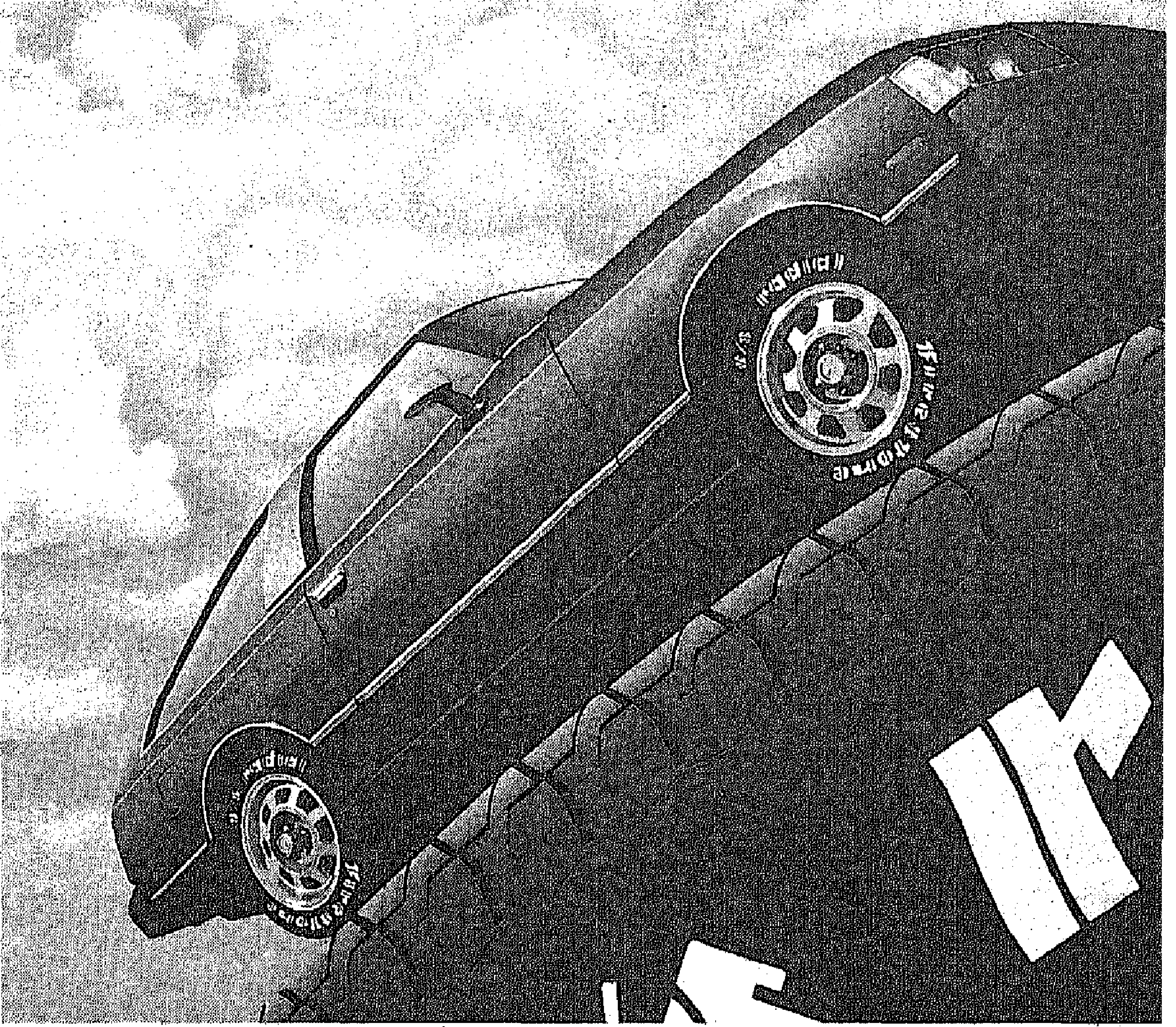
عزيزتي ساره،

يقولون لي: "من الصعب طرح هذا السؤال... ولكن اذا ماتت، أتوافقين على أن تذهب كليتاها الى..." لماذا أنا مريضة في هذه الغرفة، وحولي هؤلاء الناس يطرحون هذه الاسئلة علي؟ أكاد أجن، ولا اريد الاجابة عن اسئلتهم.

اغسطس (آب) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

لقد مزقني الهم قليلا، لكن الامور حسنة الآن. انك ستتعافين وتعودين كما كنت، وأنا سأساعدك. وسيكون كل منا خارج مستشفاه قريباً. كل ما في الامر أنهم فصلوك عن والدك وعني. لكن هذا لن يطول. وسيصحو والدك من غيبوبته ويعنيني على الاعتناء بك. فنحن الثلاثة عائلة.



هلا ذهب أحد اليكما وأخبركما اني احبكما ؟

اغسطس (آب) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

قالوا ان ساره ماتت هذا الصباح. ماذا يعنون بقولهم: "ساره ماتت هذا الصباح"؟ يقولون ذلك كما لو كنت شخصاً منفصلا عني. فأنت لا تموتين. واذا مت، فأنا أموت معك أيضاً. ان والدك سيصحو من الغيبوبة ويجن لهول ما حصل، ولن نستطيع تحمّل الامر والاستمرار.

اغسطس (آب) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

لا يمكنني الاكتراث بعد الآن لما يقولونه حين يدخلون عليّ. ان شعوري تلاشى. لقد قهروني. انتصروا عليّ. قالوا ان أباك مات. نعم، أبوك مات هو الآخر. لقد انتزعوا عالمي كله مني. اني لا أنتظر حقائق بعد الآن، فالحقيقة كلها توارت.

لماذا فعل الله هذا؟ لماذا أخذكما وأبقاني وحدي؟ ألم أكن صالحة بما فيه الكفاية لأموت معكما؟ ترى هل أُعاقب؟ لقد كنتُ حمقاء في أحيان كثيرة ولم يكن حبي صادقاً. وها أنا أدفع الثمن. انك مت لانك كنت لي ولم أكن استحقك. ولكن هل يعقل لالهٔ صالح أن يكون قاسياً الى هذا الحد؟

يجب أن أعود الى حديقتنا أو اعدّ الحلوى للعشاء. غير أني قابعة في هذا المستشفى، ارسل الاقارب لشراء ثياب الدفن، قائلة لكلّ منهم اني بخير. لكني لست بخير. فلماذا مت ؟ انك لم تكوني سوى طفلة. غير أنّ الحزن لن يجد طريقاً اليك بعد الآن. وأنا لا أُريد أن تعرفي ما حلّ بي.

سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

أنا الآن أعيش مع جديك. لقد غادرتُ بيتنا وغرفنا الحبيبة وحديقتنا. الكلّ يقول أني لن اتحمل البقاء هناك الآن. لذلك فعلتُ ما أشاروا عليّ به.

لكني لا اطيق الحياة حتى هنا. اني في غرفتي القديمة بين الاشياء التي ألفْتُها. لكنه ليس بيتي. فأنا لم أعد الشخص نفسه الذي عاش في هذا المكان. ولم أعد ما كنت قبل شهر واحد. كلّ ما لديّ هو ذكرى عن ذاك الشخص، لكني لا أعرف كيف أستعيده. أما شخصي الجديد فلا طاقة لديه على فعل أيّ شيء سوى العيش والكفّ عن النواح.

سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

عزائي الوحيد أنه لا شيء لديّ أندم عليه. فلم يكن في وسعي أن احبكما أنتما الاثنين أكثر مما فعلت. لقد بددت اشياء كثيرة في حياتي. لكني أحمد الله على أني عرفتُ النعمة التي كانت لي عندما حصلتُ عليك. غير أني لم أدرِ قطّ انك تستطيعين مفارقتي.

اني ازعج كلّ الناس حولي، ولا أحد يعرف كيف يعاملني. وقد اختبأت اليوم في زاوية محلّ عندما شاهدتُ صديقة قديمة تدخل، لاني

لم أشأ النظر اليها وهي تقف مرتبكة أمامي. وكلما دخلتُ مكاناً خُيل الي أن الجميع يقولون بصمت: "يا للمأساة".

سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

ذهبتُ الاسبوع الماضي الى البيت حيث اعانني الأصدقاء والأهل على تفريغ منزلنا. وبدا ذلك كما لو كنتُ أهدم كلّ ما بنيناه وانكر كل ما كان قائماً هناك. لقد انتهى كلّ شيء الآن - الهموم والاهتمامات والمناسبات. فهي ذات يوم تستحيل ثياباً وأحذية مهجورة في خزانة. وهذه تجعل كلّ همّ وطموح يبدو تافهاً.



اذا قلقنا على حياتنا، اذا صنعنا الثياب وانشأنا المنازل وسعينا الى الامور العظيمة، فان آمالنا تخيب آخر الأمر. ففي النهاية تبدو هذه الأشياء وقتية. ثمة شيء آخر كان يجب تحقيقه. لكنه فاتني. لقد وضعتُ أملي في الغد وفيكما أنتما الاثنين، وغفلتُ عن السؤال المتعلق بالأمر المهم حقاً، بالشيء الذي يعطي الحياة معنى. ذلك اني كنتُ دائماً منهمكة.

وها أنا الآن، ولديّ متسع من الوقت، ألمس برنس الحمام الذي كان والدك يستعمله، وأحمل لعبتك الطنانة المحشوة. وسأحتفظ بهما. اريد ان اتذكر الشيء الذي يبقى بعد غياب صاحبه حتى اكتشف ذلك الشيء الذي لا يبقى.

سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

ذهبتُ الى عيادة الدكتور اودت، الطبيب الذي اشرف على عملية ولادتك. وكانت الغصة تسدّ حلقي. وقد رأيتُ فيه البرهان على أنّ حياتي انقطعت، إذ راح يتذكر أنكِ جئت الى العالم وكنت حقيقة.

وطلبتُ اليه تحويل الملفّ الخاصّ بي الى حيث يقيم جداك. فأجاب بلطف انه سيرسل نسخة واحدة، وتابع: "اذا قررتِ العودة الى هنا، فستكون لديّ نسخة اخرى فيها جميع المعلومات". لكن هذه الفكرة تطلق دموعي من جديد. فأنا اريده ان يشرف على ولادة الجنين الذي أحمله. لكني أُقصيتُ عن هذا المكان، ولن تمكنني العودة اليه.

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥،
عزيزتي ساره،
انظري الى هذه البطاقات والرسائل. أكاد لا أصدّق أن عددها بلغ المئات. آه كم أنا محظوظة بهذه النعمة، نعمة المحبة التي تحيطني.
لقد كتب اليّ طلاب والدك في الجامعة. وقال أحدهم عنه: "انه اعانني على اكتشاف ذاتي..." وقال آخرون انه كان يتكلم عنك وعني كثيراً في صفوفه ويقول ان عائلته أعزّ من الحياة نفسها بالنسبة اليه، وانه لم يكن ليختار في حياته غير زواجنا وولادتك.
وطالما راقبتُ أباك وهو ينظر اليك. كانت لديه نظرة خاصة بك وحدك يا ساره. ولكم كان يبتهج بك وبحبنا. أتراه يعتني بك بعدُ؟

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥،
عزيزتي ساره،
كنتُ أفكر اليوم في الدكتور اودت. لقد انقضت أسابيع منذ ما رأيته للمرة الأخيرة. الا ان بعض كلماته يتردد في ذهني بالحاح: "اذا قررت العودة الى هنا..." هذه هي المرة الاولى التي تراودني فكرة الخيار. ففي امكاني العودة اذا قرّرتُ ذلك. وفي إمكاني الذهاب حيثما اريد.
ان لديّ خيارات. وحياتي ما زالت ملكاً لي. كيف غاب ذاك عن ذهني؟ وأين تراني كنت؟

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥،
عزيزتي ساره،
يومياً أملأ طلبات التأمين. والجميع يسألني عن قرار المحكمة والرجل الذي قتلك. انهم يريدون ان يعاقب. ولكن ما معنى ذلك؟ فلا المال ولا الثأر يمكنهما ان يرداك. وانتصاري لا يحصل في قاعات المحاكم.
انني في حاجة الى الكلام. وأراني اكرّر العبارة الآتية: "لقد حصل لنا اصطدام مروع توفي على أثره زوجي وابنتي". وأحياناً أقول هذه الكلمات أمام غُرباء من غير تفكير. ان الآخرين لا يحاولون ان يقاسموني المي. واريد ان أحبس مشاعري عن كل شخص يعرفني.
أيمكنك ادراك هذا الأمر؟
إن مشاعري هي كل ما بقي لي مما نملكه نحن الثلاثة. وهذه الدموع هي كلّ ما تبقى منا.

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥،
عزيزتي ساره،
هناك برنامج جديد على التلفزيون وأنت لا تعرفين شيئاً عنه. وأحياناً أقرأ خبراً في الصحيفة من شأنه ان يثير اهتمام والدك، ولكن لا يمكنني ابلاغه اياه. كلّ يوم تحصل امور جديدة أعلم بها وأنتما لا تعلمان.
لقد بت أنظر الى الامور على نحو مختلف عن الماضي. ففي الأمس كنتُ واثقة بمستقبلي. أما اليوم فكلمات والدك تتبعني أينما حللت: "ليس من ضمانات لهذه الحياة". لا ضمان لشيء بعد هذه اللحظة التي نعيشها. واذا لم نستعمل "اليوم" كما يجب، فاننا نخدع أنفسنا.
فكري لحظة في أبيك. كان في الثالثة والثلاثين فقط، لكنه طرح على

نفسه عدداً كبيراً من الأسئلة الخطيرة المتعلقة بالحياة. وتساءل عن الحقيقة المطلقة. وكان يجلس يومياً متأملاً، ساعياً الى فهم أعمق لهذه المسائل. وتسنى له ان يقبض على زمام حياته، مبتعداً عن الثرثرة حول التوافه. ولم يسمح لأيّ عمل بأن يثنيه عن الصلاة والقراءة اليوميين.

ترى ما كان حدث لو أجل التفكير في الله الى وقت لاحق؟ لو فعل ذلك، لكان فاته الوقت. ومن الذي يخطر في باله ان الثالثة والثلاثين هي سن متقدمة؟ هذا هو ضلالنا الكبير.

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

اليوم أخذتُ القرار. لا يمكنني ان أبقى بعد الآن في مكان أرى جميع الأشياء مقلوبة على اعقابها. فهنا طبيب نساء جديد، وطبيب أطفال جديد، ومحلات جديدة. لقد غدا ظاهر حياتي غريباً كباطنها. وانيّ اتوق كثيراً الى أشيائي الأليفة.

لقد رحت أبكي اليوم في المحلّ لأني لم أتمكن من العثور على زبدة الفستق. ثمّ عرفت الجواب: سأذهب من هنا. سأعود الى البيت.

ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

انا وبطني المنتفخ محشوران في مقعد يوجه ذكرياتنا الى هذا البيت الجديد. صحيح ان الغرَف جديدة، كلها جديدة، لكنّ الأرض والشوارع والأصدقاء هم جميعاً بيتي، وطبيبي العزيز هنا أيضاً. واذا ذهبتُ الى محل الأغذية الآن، ففي امكاني العثور على زبدة الفستق بسُهولة. وفي هذا أجِدُ انتصاري. يا لجنوني!

هل لاحظتِ اني لم أكتب اليكِ البتة عن الطفل الجديد؟ ربما أمكنني الانصراف الى التفكير فيه بعد ان يرتاح جسَدي في هذا المكان. أعرف أني لم أكن عادلة. فأنا لم استمتع بوجوده في أحشائي كما استمتعتُ بوجودكِ أنتِ. حتى أني لا أدري اذا كان في وسعي ان أُحبّ شخصاً جديداً. الا ان الطبيعة تحفظ مواعيدها رغماً عنيّ. ولكن ماذا يحدث اذا أحببتُ الطفل الجديد بكل كياني ثم توارى هو ايضاً؟

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥،

عزيزتي ساره،

انه عيد الميلاد. الطفل الالهي وُلد. الله، جلّ جلاله، يحرّك العالم، ووحده لا يتحرك. لقد أحبّ اللهُ العالم. وفي لحظة الصفاء هذه يخيل اليّ أنه يحبني أنا أيضاً. اني جزء من العالم. والله لم يكفل ابقاء شيء ثابتاً سوى محبته.

اني افكر في مريم، عليها السلام، وبيت لحم. لقد فقدتُ أعز ما كان لي، ولكن ليس من الضروري ان تفْقد حياتي معناها. هناك حس في داخلي يقول ان الحزن كان انتصر عليّ لولا عجيبة بيت لحم.

يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

سنة جديدة. لكني لا اريد شيئاً جديداً، بل أريد ان يعود أحدنا الى الآخر كما كنا. ان ذهني يضج في داخلي أكثر فأكثر. ترى ألم يكن في

وسعنا ألا نتوقف لبضع دقائق عند محطة الوقود تلك؟ وهل كان ليحدث ما حدث لو لم أمدّ اليك يدي بقطعة الحلوى وتندفعي الى الأمام؟

هل كان ما حدث ضرورياً؟ هل مت في سن باكرة تحقيقاً لغاية لا ادركها؟ هل يوجه الله كلّ نَفَس من أنفاسنا؟ أم أننا أسياد مصائرنا، وبالتالي نحن مسؤولون عن الظروف التي قادتنا الى تلك النقطة من الطريق في الوقت غير المناسب؟ اذا كان لم يتسنّ للحزن ان يخرجني عن طوري، فهذه الاسئلة تقودني الى حافة الجنون.

اتظنين أني تركتُك وحدك في ذلك المستشفى؟ هناك فكرة تبرّح بي، وهي أنك كنت تحتاجين اليّ وتنادين "ماما" وأنا بعيدة عنك.

هذه الأفكار لا تنفكّ تراودني، ولا استطيع مقاومة الألم الذي تتركه فيّ. أما كان يجب ان تنقضي اسوأ مرحلة قبل اشهر؟ اني خائفة. ايمكنني الاستمرار يوماً بعد يوم في هذه الحال؟

في ظني ان أفكار الناس عني خاطئة. فهم يظنون ان حزني انقضى لان زمناً كافياً مرّ عليه. ويحاولون، ما استطاعوا، "اشغالي" من جديد. لكن محاولاتهم كلها تبوء بالاخفاق. فأنا لست انا. ان كياني يتصدّع.

كلّ يوم انزع شريط الهاتف من مكانه وأقفل الباب وأبكي. وتنهمر دموعي ساعة وراء ساعة. اني أريدك، احتاج اليكِ، ولا يمكنني النسيان.

آه لو أعطي كلّ شيء وتعودين. واذا عدت مريضة، فأنا على استعداد لتمريضك مئة سنة. اني أقبلك حتى وان كنتِ في غيبوبة دائمة. أقبل ان اراكِ حتى وان كنتِ ستغيبين ثانيةً. ولكن تعالي اليّ ولو مرة واحدة.

فبراير (شباط) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

صديقتي تذهب معي الى الدروس الخاصة بتدريب الحوامل على الولادة. كل امرأة هناك لها زوجها، كما يجب ان تكون الحال. أما انا فأجلس الى جانب صديقتي. واني امقت هذا. ويسألونني: "أهذا طفلك الاول؟".

ـ كلا، بل هو الثاني.

"وكم عمر الاول؟"

وتكرّ هذه الاسئلة دونما انقطاع.

فبراير (شباط) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

كم كان سهلا عليّ ان أضع ثقتي في حياتنا القديمة يوم كانت جدراننا مشبعة بالحب وغدنا مليئاً بالوعود. ذلك كان سهلا سهولة الحب الذي نمحضه شخصاً آخر لمجرد كونه لطيفاً وطيباً. غير اني لا أقوى على هذا النوع من الايمان اليوم. ويشقّ عليّ كثيراً ان أصدّق اني لستُ وحيدة مع هذا الاسى كله. كما يصعب عليّ ان أصدق، ان هناك انتصاراً على الجانب الآخر من هذه الدموع. ولكن هذا هو الوعد الذي أعطانا اياه الله. وأصلي كي أجد طريقاً خارج هذه الاحزان. اني أريد تجاوُزها كلها.

فبراير (شباط) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

أمس تناولتُ العشاء مع صديقتي

وعائلتها وحاولت أن أتحدث بمرح الى اولادها • وهذا الصباح قام ابنها، ذو السنين العشر، بفعل لا يُصدَّق • فهو ذهب الى رجل الدين وطلب اليه رؤية صديقة يظن انها تحتاج الى بعض العون • وتلك الصديقة كانت أنا •

وقد سرَّني ذلك في داخلي • فأنا لم أعد احتمل الضغط الذي يخلفه بقائي معك طوال الوقت • اني لا أريد ان أصبح مجنونة • لذلك لا تحنقي اذا قررتُ ان اتكلم عنا جميعاً • وربما كان علينا ان نفترق • وأنا لم أكن أعرف ان الامور ستنتهي هكذا • ولكن ربما كانت هذه النتيجة استجابة لصلاتي •

فبراير (شباط) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

قد لا تصدقين ما أقول، لكنّ رجل الدين أخبرني اني طبيعية كما أنا، اي ان هذا الجنون كله طبيعي • ربما كان هذا صحيحاً، وربما أمكنني ان أكون نفسي في أحد الايام • أعرف الآن ان هذا فكرة محض، لكنها فكرة قوية وايجابية •

أرجوك الا تستائي من عودتي كما كنتُ، معافاة • لا تستائي اذا كنت أريد المولود الجديد بكل جوارحي • فأنا أظنّ أني اجرؤ على الحبّ من جديد •

مارس (آذار) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

لقد عشتُ عمري مع التساؤلات • لكن بعض الاجوبة آخذ طريقه ببطء اليّ •

وأظن انّ جزءاً من الجواب عن سبب الحادث راجع الى كون جميع الناس أحراراً • انهم احرار كي يفكروا ويعملوا ويتخذوا قراراتهم • والقرارات كلها تصدر عنها نتائج تطول حياة الآخرين •

الانسان ليس كاملا • واختياره الحر قد يكون حسَناً او سيئاً • وهذا يعطيه طاقة ضخمة، ولكن مخيفة • فهي قد تكون معبراً للنور او للظلام •

ترى الى ايّ حدّ أنا مذنبة؟ ما الذي سبَّبَتْه أفعالي غير المدروسة؟ وكم من مرّة كان قعودي عن العمل مَنْفَذاً للظلمة؟ آه كم هو الانسان مسؤول عن هذه الحياة •

والله... أين هو؟ انه لا يغير شيئاً من أحداث الطبيعة او افعال الانسان • فنحن نبقى أحراراً، ومع هذه الحرية الرهيبة نحيا • الا اننا حين نختار النور ونفضّله على الظلمة، يجعلنا الله نبصر على نحو آخر ما كان هناك طوال الوقت • فما كان لا يتغير، وانما نحن الذين نتغير •

مارس (آذار) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

ان لك الآن اختاً صغيرة سمّيتها بيث ـ ستار • هل ترينها نائمة هنا؟

لقد تمنى مئات الاشخاص لنا نحن الاثنين الصحة والسعادة، وربما ظنوا ان الامور الآن تسير على خير ما يُشْتَهى • وفي ودّي لو كان الامر على هذه السهولة • الا ان شقيقتك تذكرني بك، من رأسها حتى أخمص قدميها • انها تذكّرني بالطريقة التي شعرنا بها أنا ووالدك بأنك لنا • وأنظرُ الآن، فلا أجد عائلة حوليّ •

لم أدرك قبل اليوم ان سواي حزن

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

املأ القسيمة – بالعربية او الاجنبية – وارسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش م ل
ص ب ١٩٢٤
بيروت - لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار".

ايضاً. وكيف كان لي ان أعرف ذلك؟ فهناك أصدقاؤنا وأقرباؤنا. أجل، هناك كثيرون شعروا بالخسارة. ان والدي أبيك فَقَدا وَلَداً كذلك. لكنّ هذه الامور غابت عن ذهني الذي كان شارداً في البعيد.

مارس (آذار) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

لقد كان أبوك على حق. فالحياة أعمق كثيراً من الوجود الفرديّ. أما انا فكنت عمياء آنذاك. ولم أدر ان التاريخ أعاد تمثيل روايتي آلاف المرات. وعلى رغم ان الافراح والاحزان القصيرة الاجل مهمة في حياة الافراد، الا انها خالية من المعاني البعيدة. ولو لم تكن كذلك لتغلّب الالم على الانسان.

ان كلّ ما يبقى من كلّ ما كنّاه هو الحبّ. نور العالم هو المحبة. والسؤال الذي ينبغي ان يطرحه المرء على نفسه يومياً ليس الآتي: ما الذي يسعدني؟ او: من أرضي؟ او: ماذا يمكنني ان افعل او احقق؟ السؤال، بالاحرى، هو هذا: كيف أحبّ؟

انني متأكدة من أمر واحد يا صغيرتي، وهو ان الفراغ يحيطنا. ولكن اذا اختار المرء ان يسعى الى الله، فهو لن يبقى فارغاً. ولن تظل حياته كما كانت. الله أعطانا ذلك الوعد. ولا مفرّ لنا من اتخاذ ذلك القرار، لان التجاهل هو في ذاته قرار.

ابريل (نيسان) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

قليلا قليلا تعود اليّ قدرتي على مواجهة الذكريات، ذكرياتي عنكِ وعن والدك.

يؤسفني انك لن تعرفيني أفضل مما عرفتِ أو تنظري الي الا كأمّ جديدة مضطربة وزوجة شابة. لو بقيت حية لكانت نفوسنا جميعاً تكشّفت عما هو أجمل. آه كم كنت أودّ ان تريني مع والدكِ ودراجته النارية التي كان فخوراً باقتنائها. لقد ذهبنا في رحلات كثيرة على تلك الدراجة. ولكم كنتُ أحب ان أطوّق والدك بذراعيّ بينما الاشجار والجبال تعبر سراعاً.

آلاف الاحلام راودتني آنذاك ونحن نقطع المسافات، وكنتُ أُسِرّ بها الى الريح. كما كنت أضمّ والدك واحبّ حريتنا والشمس وهروبنا الى الربيع. ولم يبقَ لي سوى الالم لعجزنا عن الابحار في الريح والمدى بعد الآن. والالم يولده الحبّ، ذلك الحبّ، الذي سُلب منا.



الكاتبة بولا دارسي مع طفلتها الثانية بنيث - ستار.

يوليو (تموز) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

انني اتقدم نحو الافضل، على رغم ان موتك ما زال قائماً هناك. فأنا لم أعد واقفة خارج الحياة، أنظر اليها من بـُعـْد . انك الآن، ومنذ مدة غير قصيرة، رَفيقة افكاري الدائمة. لكني اليوم أقبل هذا وأمضي.

كنتُ أفكر في الآتي: الا تشتاقين الى يوم تمكنني الكتابة اليك كما كنت أفعل سابقاً، عن ذكريات النعمة والخير؟ ولكن يدور في خلدي انه اذا حان ذلك اليوم فلن تكون هناك رسائل، أو بالاحرى لن تكون هناك رسالة اليك . هل تفهمين ذلك؟

اغسطس (آب) ١٩٧٦،

عزيزتي ساره،

جلستُ على شرفة المنزل اليوم وأنا أشعر بالوحشة.

انني لن أكون قطّ كما كنتُ من قبل بالتمام. لكني أعرف انّ لديّ استعداداً للاستمرار. ولئن يكن حبّنا يتجاوز جميع المقابر، الا اني أحيا هنا من غير ان تكوني معي. لقد غدوت بذرة لبداية جديـدة فـي مكان عليّ اكتشافه. انا ما زلت أذرف الدمع عليـك وعلـى أبيـك، وربمـا بقيتُ هكذا على الدوام. ثمة أيام وأوقات ستحمل اليّ الدموع كلما جاءت. وأنا أفهم هذا الامر وأقبله كجزء من الحبّ. ولكن اتعرفين ما أحاول قوله؟ انني أقول: "وداعاً".

هل تذكرين حين ذهبنا الى البحر كيـف كان المـاء يحتضـن شمـس الصباح؟ انه كان يحتويها من غير ان يمتلكها. ولسوف احتضنك أبداً كما البحر يحتضن الشمس. سأحتضن التهويدة التي غنيناها معاً. لذلك صلي من أجلي بينما أصلي انا من أجلك . ثم دعيني أذهب.

يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩،

عزيزتي ساره،

اليوم زرتك فـي المقبـرة. لـم أزر ساره الحقيقية، بل ساره التي في قلبي.

عندما أفكّر فيك أحياناً وتهيج الذكريات، ازور ترابَك وأترك لك البنفسج: بـاقة مـنه لَذكريـاتـنـاَ الـبهيجة، للاوقـات التـي ستبـقـى باسمة.

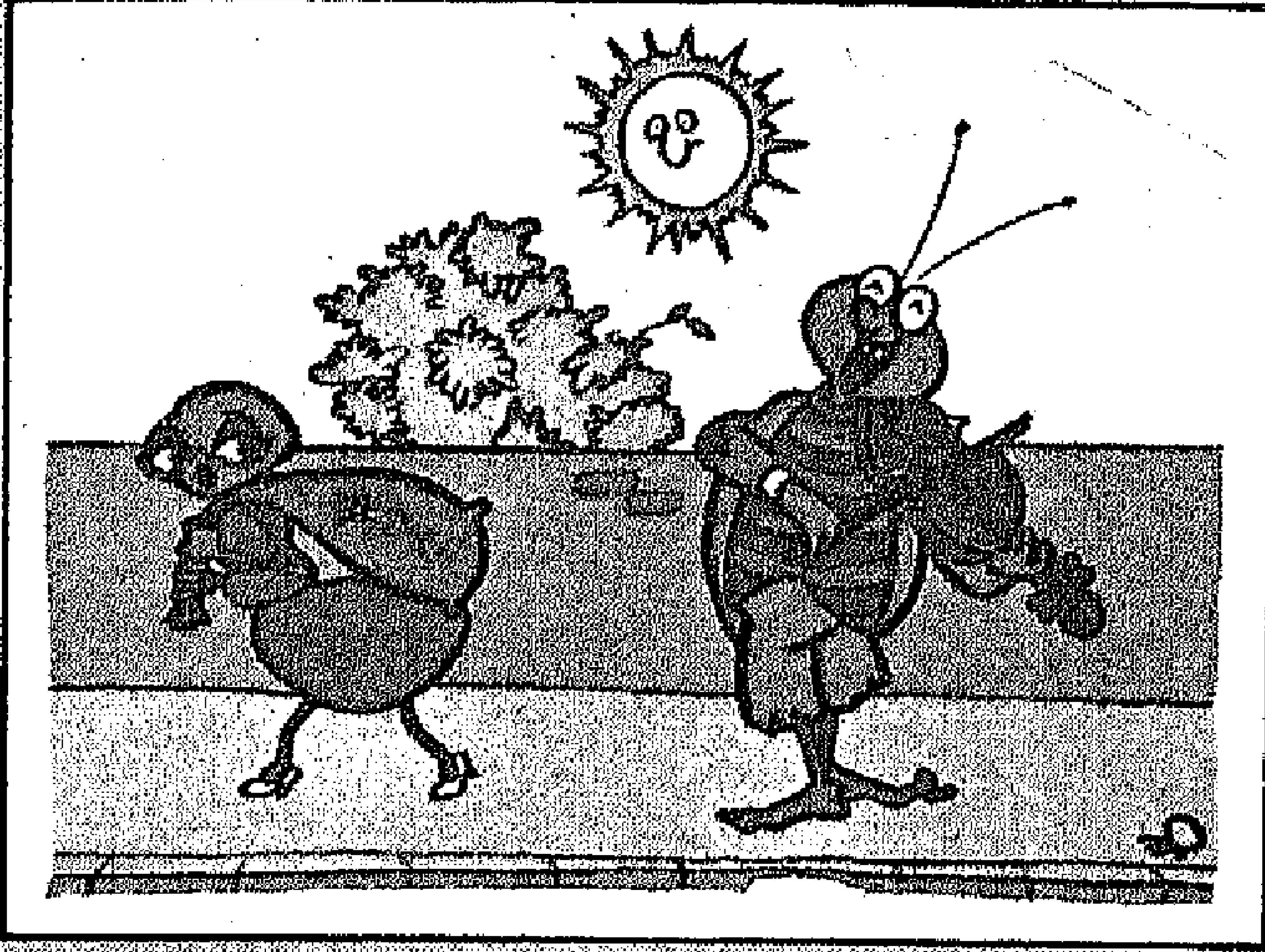
وأنظر الى ما كتبتُه على شاهدة ضريحك : "الربّ راعي فلا يعوزني شيء". الآن ادرك تماماً صحة هذا الـقـول. انّ يـد الـربّ هـي فـوق الجميع. وهو كان لي دائماً هناك، في كل لحظة، حين خُيّل اليّ اني وحيدة. ولم يكن حضوره يحتاج الى شعوري به او الى مدى ايماني. لقد كان الله هناك وكفى.

انـي تـوجعتُ واكتأبـتُ كثيـراً لفقدك ، لكن الالم، في النهاية، لم تكن لهَ الكلمة الاخيرة. لذلك لم يكن ما حدث خسارة، بل انتصاراً.

■ **بولا دارسي**

الحبّ كأس تتحطم اذا حملتها بكثير من الشدة أو كثير من الرخاوة.

مثل روسي



حديقة أفكار

■ لا بد ان احداً حذرك من مغبة اضاعة الدقائق الذهبية ، لكن بعض هذه الدقائق اصبح ذهبياً لأننا أضعناه .

ج.ب.

■ ليس هناك فن مجرد ، عليك دائماً الانطلاق من شيء ما ، وبعد ذلك تعريه من ابعاده الحسية .

بيكاسو

■ اذا كان ذهني قادراً على تصور فكرة وقلبي قادراً على الايمان بها ، فاني أستطيع تحقيقها .

القس جسي جاكسون

■ الرجل العادي تهمه المرأة التي تهتم له أكثر مما تهمه امرأة ذات ساقين جميلتين .

مارلين ديتريتش

■ اذا شئت أن تحافظ على مهنتك كعالم بأحوال الطقس ، فاحرص على اعطاء الناس رقماً او تاريخاً ، ولكن اياك ان تعطيهم الاثنين في وقت واحد .

ج.ب.ك.

■ الضجر دواؤه حب الاستطلاع ، لكن هذا لا دواء له .

ا.ب.

■ الحياة قصيرة ، ولا وقت لدينا على الاطلاق لنفرح قلوب اولئك الذين يقطعون الطريق معنا ، لذلك على كل منا ان يكون سريعاً الى الحب لئلا يفوته الوقت .

هـ.ف.ا.

